

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُشَّارِ الْقَرْضَاوِيِّ



المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٦٧

خطب الشیخ القرضاوی

٤

إعداد

د. خالد السعد

نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿يَبْنَىٰ عَادَ حُدُواً زِينَتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأْشِرِبُوا
وَلَا شُرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي
أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبَابَتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ثَانِيَةً أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُونَ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْكَدَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَنَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ
هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٤٠].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلتُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنَّكَ يا أبو بكر باثنين الله ثالثهما». متفق عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيةٌ، وإذا استنفرتم فانفروا». متفق عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حقٌّ على كل مسلم أن يغسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده». متفق عليه.







مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض،
وملء ما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد.

وأزكى صلوات الله وسلاماته على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

(أماً بعد)

فهذا هو الجزء الرابع من «خطبي» يمضي على سنة ما سبقه من الأجزاء الثلاثة، وقد أعدَّه كذلك الأخ الكريم العالم، الباحث الداعية الفاضل: الشيخ خالد السعد، وعلق على حواشيه، وخرج أحاديثه.

وعلى عادته في كل جزء يرده إلى لأرجعيه، لأكمل بعض الكلمات التي قد تكون قد ضاعت أو شوشت في التسجيل، وقد أهدب بعض العبارات بالإضافة أو الحذف أو التحسين، كما أخرج بعض الأحاديث التي ربما تستعصي على الأخ خالد، وربما لا يتسع وقته لتحريرها، لا سيما وهو مشغول بإتمام رسالته للدكتوراه، أسأل الله أن يسدد خطاه، ويُنير طريقه، ويُتَمَّ عليه النعمة.

وقد تميّز هذا الجزء بأنّه فيه موضوعات جديدة، وربما لا يطُرقها كثيرون من الخطباء، مثل زياراتي ورحلاتي إلى البلاد المختلفة، كالهند واليابان وأمريكا وغيرها. فأحببت أن أشرك الإخوة القراء معي في حصيلة هذه الأسفار.

على أنَّ مردَ الخطب كُلُّها في النهاية إلى النبع الصافي: من كتاب الله تعالى، ومن سُنَّة رسوله ﷺ، مستأنسين بتراث الأمَّة الغنيِّ، الذي لا يستغني عن الاستفادة منه عالِمٌ أو داعيٌّ أو مربٌّ، وبذلك تتوالى أجيال الأمَّة بعضها مع بعض، ويستغفر لاحقها لسابقها، كما قال الَّذين جاؤوا من بعد الصَّحابة: ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

شكري للأخ خالد السعد على ما قام به من جهد، ونفع به كلَّ من قرأه، وجزى الله «مكتبة وهبة» خيراً على نشره وتعديله به، وأدعوه الله سبحانه ألا يحرمني من أجره، إنَّه سميع الدعاء.
وآخر دعوانا أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الفقير إليه تعالى
يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي الحجة سنة ١٤٢١ هـ
مارس (آذار) ٢٠٠١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

(وبعد)

فهذا هو الجزء الرابع من «خطب الشيخ القرضاوي»، يسر الله إخراجه وطباعته بعد أشهر معدوداتٍ من صدور الجزء الثالث، وقد ضم عدداً من خطب الجمعة والعيددين، بعضها جديد، وبعضها قديم، ومنها مجموعة من الخطب التي تعنى بالشباب ومشاكله وقضاياهم.

وإنني أحمد الله تعالى على ما لقيته هذه الخطب من قبولٍ وثناء، وما حظيت به من تقديرٍ وانشراحٍ لدى جمهرة من القراء، لا سيما طلاب العلم وخطباء المساجد، الذين وجدوا فيها مادةً صالحةً للتعويل عليها في خطبهم ودروسهم.

وكلما صدر جزءٌ من هذه السلسلة لقيني بعض هؤلاء الإخوة، واستحوذوني لأسرع في إعداد الجزء الذي يليه.

وقد تلقيت مكالمتين من أخي كريم - لا أعرفه - من الأردن،

إضافة إلى من لقيتُ من الإخوة بالبحرين، وكلّ يسأل عن الأجزاء التي صدرت، والدار التي تتولّ نشرها، ليحاول الاتصال بها، والحصول عليها.

ولعلَّ ممّا يميّز هذه الخطب عن غيرها، وينجحها أهميّة خاصّة وقوياً لدى جماهير الصّحوة وشبابها، هو أنَّ قائلها «داعية فقيه»، عرف حقيقة الإسلام وما يجري في هذه الحياة، ولم يعشْ مُنعزِّلاً عن عصره وما يدور فيه من تيارات، وما يعترىه من مشكلات.

داعية يفْقَه الأولويات، ولا يشغل النّاس بالجزئيات على حساب الكلّيات، ولا يشغلهم بالمُختلف فيه على حساب المُتفق عليه، أو بالشكل والصورة على حساب الجوهر والرُّوح.

هدفه هداية البشر إلى الإسلام، وحشدتهم في ساحته الرّحبة، حتّى يرتبطوا به علِّما وعملاً، وفيكراً وسلوگاً.

داعية أحسنَ عرض الإسلام وإفهامه للناس، وعامل الناس بروح الأبوة والأخوة والمَحَبَّة، لا بروح الاستعلاء والاتهام.

داعية يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويوازن بين الثوابt والمتغيّرات، ويدعو إلى: احترام العقل، وتجديد الفكر، والاجتهاد في الدين، والابتكار في الدنيا.

داعية فتح للناس قلبَه وبنته، وأصغرى إليهم، واستمع إلى مشكلاتهم وآهاتهم، برغم أنَّ واجباته وأعباءه تفوق أوقاته بكثير.

لذلك أحبَّه الناس واستراحوا إليه، ووثقوا به وأقبلوا عليه، و﴿ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١، الجمعة: ٤].



موعدنا بمشيئة الله تعالى مع الجزء الخامس، الذي سوف ترتكز خطبه حول موضوع الساعة وقضية المسلمين الأولى في هذا العصر، قضية فلسطين وانتفاضة شعبيها المباركة، فحتى ذلك الحين أستودعكم الله، وأسئلته العون والتسهيل، إنه بالإجابة جدير، وهو نعم المؤلِّى ونعم النَّصِير.

خالد السعد

* * *





ملامح من الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وننعواذ بالله من شرور أنفسنا ومن سُيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضيل له، ومن يُضلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصَّنا بخَيْرِ كِتَابٍ أُنزَلَ، وأكرمنا بخَيْرِ نَبِيٍّ أُرْسَلَ، وأتَمَّ عَلَيْنَا النَّعْمَةَ بِأَعْظَمِ دِينٍ شُرُعٍ، دِينَ الإِسْلَامِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ إِلَّا إِسْلَامَ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ إِلَّا إِسْلَامِ دِينَكُمْ فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه، أَدَى الْأَمَانَةَ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَنَصَحَ لِلْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جَهَادِه، حَتَّى تَرَكَنَا عَلَى الْمَحَاجَةِ الْبَيْضَاءِ، عَلَى الطَّرِيقَةِ الْوَاضِحةِ الْغَرَاءِ، لِيَلْهَا كَنْهَارَهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، فَمَن يَطْعِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَن يَعْصِيهِمَا فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهُ شَيْئًا، وَمَن يُطْعِمُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا، وَمَن يَعْصِي اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبی الکریم، وعلى آلہ وصحابته، وأحینا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، مع الذین أنعمت عليهم من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین، وحسن أولئک رفیقا.

أمما بعد، فیا أیها الإخوة المسلمين:

نستقبل اليوم الجمعة الأولى من العام الخامس بعد أربعة عشر قرناً من هجرة رسول الله ﷺ (١٤٠٥هـ)، ذلك الحدث العظيم الذي أللهم الله عمر وأصحاب رسول الله ﷺ معه: أن يجعلوه بداية لتاريخ الإسلام.

ذلك أنّ دولة الإسلام إنّما قامت بالهجرة، أسس رسول الله ﷺ الدولة الإسلامية، دولة العدل والإحسان، دولة العلم والإيمان، دولة الفضيلة والأخلاق، دولة الحق والخير، أسسها رسول الله ﷺ في مدینته المُنورَة بعد هجرته ﷺ.

ولهذا كان من حقنا أو من حق الهجرة علينا أن نتحدث عنها بعض الشيء، لتألق الضوء على هذا الحدث التاريخي الجليل.

دعوة التوحيد:

لقد شاء الله تعالى أن يبعث رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق في «مكة» أرض البيت الحرام والمسجد الحرام، أن يبعثه بدعوة التوحيد، ليُحيي ملة إبراهيم ﷺ، أن يدعو الناس إلى تحريرهم من عبادة غير الله، من عبادة العباد، من عبادة الذات، من عبادة الأوثان، فلا يشركوا بالله شيئاً، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، كانت هذه هي دعوة رسول الله ﷺ.

إنَّ الدُّعَوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ الْحَقِّ، وَالدُّعَوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ الْحَقِّ تَعْنِي: الدُّعَوَةَ إِلَى التَّحْرِيرِ الْحَقِّ، تَحْرِيرِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، مِنَ الْعَبُودِيَّةِ لِلْأَشْيَاءِ، وَالْعَبُودِيَّةِ لِلْأَشْخَاصِ، وَالْعَبُودِيَّةِ لِلْأَهْوَاءِ، وَالْعَبُودِيَّةِ لِلْأَوْثَانِ، وَالْعَبُودِيَّةِ لِلْأَوْهَامِ.

وكان هذا التوحيد هو مصدر الحرية والإخاء والمساواة، ما دمنا كُلُّنا عبادًا لله، فليس هناك أحد يستذلُّ أحدًا، وليس هناك أحد يخضع لأحد، ولا تُعَفَّر جبهة إلا ساجدة لله، ولا ينحني ظهر إلا راكعاً لله، النَّاسُ كُلُّهم إخوة، كُلُّهم متساوون، ربُّهم واحد، وأبُوهُم واحد، كُلُّهم لآدم وآدم من تراب.

كانت هذه الدُّعَوَةُ الْجَدِيدَةُ إِيذَانًا بِمِيلَادِ إِنْسَانٍ جَدِيدٍ، إِنْسَانٍ عَزِيزٍ كَرِيمٍ حَرِّ، لا يخضع ولا يذلُّ، ولا يَدِينُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَا مَرْأَةَ اللَّهِ.

المشركون يعارضون دُعَوَةَ التَّوْحِيدِ:

ولهذا وقف الطغاة، وقف المُتَّالِّهُون، وقف المستكرون ضدَّ هذه الدُّعَوَةِ، هذه الدُّعَوَةِ الَّتِي لم يُرِدْ صاحبُها مِنْ أَحَدٍ جَزَاءً وَلَا شَكُورًا، وَلَمْ يَبْغِ مَالًا وَلَا أَجْرًا، إِنْ أَجْرَهُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وقفوا ضده وهم يعلمون أنَّه على حقٍّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنُتُهَا أَنفُسُهُمْ ظَلَمًا وَعُلُوًا﴾ [الثَّمَل: ١٤]. الظلم والعلو، البغي والحسد، الكبر والأنفة، الجمود والتقليد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا إِبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إِنْتِرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزُّخْرَف: ٢٣]، كلُّ هذه المعاني وقفت حائلاً بين هؤلاء النَّاسِ واتباع مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي لم يُجَرِّبُوا عَلَيْهِ يوْمًا كَذِبًا قط، والَّذِي كانوا يُسَمُّونَهُ: «الْأَمِين»، وَالَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا عَلَيْهِ لَوْثَةً فِي قَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ، مَا سَجَدَ لِصَنْمٍ، مَا شَرَبَ يوْمًا خَمْرًا، مَا عَبَثَ يوْمًا كَمَا يَعْبَثُ الْفَتَيَانُ، كَانَ مَثَالُ الطَّهَارَةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَالشَّرْفِ وَالْفَضْيَلَةِ.

ولكن هؤلاء النّاس أبْتَ عليهم أهواوْهُم وآنفُسِهِم الأمّارة بالسوء
وشياطينهم، إِلَّا أَن يحاربوا الْهُدَى ويَتَّبعُوا الْهُوَى، ويقفوا ضَدَّ
رسُولِ اللَّهِ ﷺ .

عشيرته من قريش وقفت ضَدَّه، وضَدَّ أَصْحَابِهِ، فنالُهُم مِنَ الْأَذِى
ما نالُهُمْ، وصُبِّطَ عَلَيْهِم سُوطُ العَذَابِ ثَلَاثَة عَشَرَ عَامًا، لَم يَدْعُ النَّبِيُّ ﷺ
فِيهَا أَمْرَ دُعْوَتِهِ، كَانَ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ سَرًّا وجَهَارًا، وَلِيلًا وَنَهَارًا، مَعَ أَهْلِ
مَكَّةَ، وَمَعَ مَنْ يَأْتِي إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْقَبَائِلِ فِي مَوَاسِيمِ الْحَجَّيجِ.

كَانَ يَعْرَضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ الْوَافِدَةِ إِلَى مَكَّةَ، يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ قُرْآنَهُ،
وَيَعْرَضُ عَلَيْهِمْ دُعْوَتِهِ، وَيُرْغِبُهُمْ وَيُرْهِبُهُمْ، يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذْ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى
سَاحَةِ اللَّهِ، أَنْ يَقْوِدْهُمْ إِلَى هَذَا الْهُدَى الْجَدِيدِ.

وَلَكِنْ هَنَاكَ مِنْ يُشْتَرِطُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ إِذَا انتَصَرَ،
لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَدْخُلُوا اللَّهَ وَإِنَّمَا لِغَنِيمَةٍ، وَيَأْبَى النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ هَذَا الشَّرْطِ،
فَمَنْ دَخَلَ الإِسْلَامَ دَخْلَهُ اللَّهُ لَا لِمَغْنَمٍ وَلَا لِدُنْيَا.

وَهَنَاكَ مِنْ يَرِدُهُ أَقْبَحُ الرَّدِّ: كَانَ عُمَّهُ (أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ
عَبْدِ الْمُظَلَّبِ) يَمْرُّ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، أَدْعُوكُمْ إِلَى كَلْمَةٍ إِذَا
آمَنْتُمْ بِهَا وَاتَّبَعْتُمُونِي، دَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعِجْمُ، وَمَلَكُتُمْ بِهَا الْعَرَبَ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ». كَلْمَةُ التَّقْوَى، كَلْمَةُ التَّوْحِيدِ، كَلْمَةُ الْإِخْلَاصِ، كَلْمَةُ التَّحرِيرِ لِلْبَشَرِيَّةِ.
وَأَبُو لَهَبٍ يَقُولُ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، لَا تَسْمَعُوا لَهَذَا الصَّابِعِ؛ فَإِنَّهُ
مَجْنُونٌ يَهْذِي. فَيَقُولُونَ لَهُ: عَشِيرَتُكَ أَعْلَمُ بِكَ، حِيثُ لَمْ يُصَدِّقُوكَ^(١).

(١) كَمَا فِي حَدِيثِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَادِ الدِّيلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ فَقَالَ: رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَفْلِحُوا». وَيَدْخُلُ فِي فَجَاجَهَا وَالنَّاسُ مُتَقْصِفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يُسْكِتُ، يَقُولُ:

بيعة العقبة:

ومنّت السنون والمواسم، حتّى أراد الله لدِينه أنْ ينتصر، ولدعوه أن تستقرّ على أرض صلبة، وكان من صنيع الله لرسوله أن هيأ له جماعة من يشرب الّتي سُمِّيتُ فيما بعد: «المدينة».

جاء هؤلاء إلى مكّة في موسم الحجّ، فعرض النّبِيُّ ﷺ عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى دِينه، وكانوا قد سمعوا من قبل من حلفائهم وجيرانهم من اليهود: أنَّ نبِيًّا أوشك أن يُبعث، قد اقترب زمانه، وكانوا يتوعّدونهم ويهذّدونهم: أنَّ هذا النّبِيٌّ إذا بُعث سئمن به، ونكون معه عليكم، ونقتلكم قُتلَ عادٍ وإرم.

فلما سمع هذا النفر من الخزرج - الّذين وفدوه إلى الحجّ - هذه الدعوة الجديدة، من مُحَمَّد بن عبد الله الهاشمي القرشي: نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لعلَّ هذا هو الّذى توعّدكم به يهود فلا يسبقُنكم إليه، وشرح الله صدورهم للإسلام، فأسلموا^(١).

كانوا طليعة المسلمين في هذا البلد الكريم، وعادوا إلى قومهم مُبَشِّرين ومُنذِّرين، فدخل في الإسلام من دخل.

ورجعوا في العام القادم في الموسم التالي أكثر عدداً - ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان - فباعوا رسول الله ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه

= «أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». إلا أنَّ وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنَّه صابئ، كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمّه أبو لهب. رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المستند (١٦٠٢٣)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٢٩، ٤٢٨/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ودلائل النبوة للبيهقي (٧٦، ٧٥/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



نساءهم وأبناءهم، كما يُحامي الرجل عن أسرته وذراریه يُحامون عن رسول الله ﷺ.

وأراد أحدهم - وهو العباس بن عبادة - أن يُنَبِّه القوم إلى ما يُقدِّمون عليه فقال: أتَعْرِفُونَ عَلَى مَا تُبَايِعُونَه؟ إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَه عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ والأسود - أَرَى أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا سِيرَمُونَكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةً، وَسِقَافُونَ ضَدَّ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَسِيقَافُونَ ضَدَّكُمْ، وَيَشَهُرُونَ السَّلَاحَ فِي وُجُوهِكُمْ - قال القوم: نعم نُبَايِعُه عَلَى هَذَا!

ثُمَّ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَنَا إِنْ نَحْنُ بَايِعُنَاكَ عَلَى هَذَا؟
قَالَ: «الْجَنَّةُ».

فَقَالُوا: قَبْلَنَا، لَا نُقْبَلُ وَلَا نُسْتَقْبَلُ، قَبْلَنَا الصَّفَقَةُ.

وَبَايِعُوا اللَّهَ وَبَايِعُوا رَسُولَهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ: أَنْ يُنَصِّرُهُ وَيُحَمِّلُهُ إِذَا وَفَدَ إِلَيْهِمْ مَمَّا يَمْنَعُونَ وَيُنَصِّرُونَ مِنْهُ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْجَنَّةَ^(١).

أول مبعث في الإسلام:

وتکاثر الإسلام بالمدينة، وأرسل النبي ﷺ إلى المدينة مبعوثه الأول: الشاب الداعية المؤمن «مصعب بن عمير»^(٢).

مصعب بن عمير أحد فتيان مكة المُدَلَّلين، الذي كان يعيش بين أهل يطعمنه أحسن الطعام، ويكسونه أحسن اللباس، يعيش حياة مرفهة، كان يستخدم من العطور ما إذا مشى في طرقات مكة قال فتياتها: هذا مصعب بن عمير يمضي في الطريق^(٣).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٤٦/١ و ٤٥٤).

(٢) المصدر السابق (٤٣٤/١).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١٦٦/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، ط١، ١٩٦٨ م.

بعد أن أسلم هَجَرَهُ أهْلُهُ، وحرَمُوهُ الْمَالَ وَالْعَيْشَ الرَّخِيْقَ، فَقَبْلَ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَلَمْ يَبَالِ، وَعَاشَ فِي ظَرُوفٍ خَشِنَةً حَتَّى بَعْثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ مُعَلِّمًا وَدَاعِيًّا إِلَى الإِسْلَامِ، وَبَعْثَ مَعَهُ ابْنَ أَمْ مَكْتُومٍ^(١)، فَدَخَلَ الْإِسْلَامَ كُلَّ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، دَخَلَهَا سَلَمًا لَا حَرَبًا، فَتَحَاهَا بِالْقُرْآنِ، بِالدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ أَحْسَنَ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا يَجْرِي، أَحْسُوا بِهَذَا الْمَنْطَلِقَ الْجَدِيدِ لِلْإِسْلَامِ، شَعَرُوا بِأَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَاجَ - وَهُمْ أَهْلُ مَنْعَةٍ وَشُوكَةٍ - قَدْ نَاصَرُوا مُحَمَّدًا وَدَخَلُوا فِي دِينِهِ، وَحَسَبُوا حَسَابَ الْغَدِ، خَشِنُوا أَنْ يَأْوِي إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَعْدَ، ثُمَّ يَأْتِي إِلَيْهِمْ مَحَارِبًا، فَيُشَتَّدُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، فَقَالُوا: لَا بدَّ أَنْ نَتَدَبَّرَ الْأَمْرَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْخَطَرُ، وَيَتَطَابِرَ الشَّرُّ!

اجتماع المشركين في دار الندوة:

وَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ نَدْوَتِهِمْ يُفَكِّرُونَ مَاذَا يَصْنَعُونَ؟

قَالَ قَائِلٌ: نَجْبِسُ مُحَمَّدًا، نَشَدُّ عَلَيْهِ الْوَثَاقَ فَلَا يَخْرُجُ عَلَى التَّاسِ.

قَالُوا: لَا تَدْعُكُمْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ تَفْعَلُونَ هَذَا.

قَالَ قَائِلٌ: نَنْفِيَهُ إِلَى بَلْدٍ آخَرٍ يَخْرُجُ عَنَّا.

فَقَالُوا: أَلَا تَعْرُفُونَ حَلاوةَ لِسَانِهِ وَنَصَاعَةَ بَيَانِهِ، إِنَّ أَيِّ بَلْدٍ نَفِيتَهُ إِلَيْهِ، سَيُؤْثِرُ فِيهِمْ وَسَيَسْحَرُهُمْ بِقُولِهِ.

وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: عَنِّي رَأَيْتُ مَا أَرَاكُمْ وَقَعْدَتُ عَلَيْهِ: أَنْ نَخْتَارَ ثَلَاثَيْنَ فَتَّى جَلَدًا مِنْ أَقْوَيَاءِ الشَّبَابِ مِنْ سَائِرِ بَطْوَنِ قَرِيشٍ وَقَبَائِلِهَا، وَنُعْطِي كُلَّ

(١) عن البراء بن بلال قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم». رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٢٤).



واحد منهم سيفاً صارماً، يضربونه ضربةَ رجلٍ واحد، فيتفرق دمه في هذه القبائل، فلا تقدر بنو عبد مَنَافٍ على حرب جميعهم، فلا يمكنهم إلَّا أن يأخذوا الدِّيَة، ونسوق إليهم الدِّيَة مهما يبلغ مقدارها^(١).

واستحسنوا هذا الرأي، وبَيْتُوا أمرهم على ليلةٍ موعدة، يُنْفِذُون فيها هذا الأمر، ولكن الوحي كان أسبقَ منهم!

أوحى الله إلى رسوله إلَّا يبيت تلك الليلة في فراشه، ورتب الأمر مع صديقه ورفيقه أبي بكر، على أن يهاجر إلى المدينة بعد أن أذن الله له في الهجرة إليها، وأمر ابن عمّه عليّ بن أبي طالب أن يبيت مكانه.

وجاء الفتىَان بأسيافهم تقطَّر أعينهم وقلوبهم شرراً، يريدون أن يُجهزوا على مُحَمَّد بضربة واحدة، ولكن الله أراد أمراً، وأرادوا هم أمراً؛ فنفذ أمر الله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَنْكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

خرج النَّبِي ﷺ وهم واقفون على الباب، وقرأ عليهم سورة «يس» إلى أن وصل إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدَّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾ [يس: ٩]، فكانَ الله أصابهم بالعمى، فما رأوه!

وجاءهم من قال لهم: علام تقفون ومُحَمَّد قد خرج وترككم؟!

فهاجوا وماجوا، ونظروا فقالوا: هذا هو في فراشه، فلما دخلوا لم يجدوا النائم على الفراش «محمداً»، وإنما هو «علي بن أبي طالب» الذي عرض نفسه للخطر، فأنجاه الله تعالى^(٢).

إنَّ الله حينما يريد أمراً، يهيء له الأسباب، ويزيل الموانع والعقبات.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨١/١، ٤٨٢).

(٢) المصدر السابق (٤٨٢/١، ٤٨٣).

هجرة النبي ﷺ وصاحبـه أبو بـكر رضيـ الله عنهـ :

ذهب النبي ﷺ إلى أبي بكر، وكان قد رتب للهجرة كل شيء يمكن للبشر أن يرتبوه، ما كان في مكنته وقدرته هيأ أمره، وما لم يكن في قدرته تركه الله تعالى، لم يدع الأمور تجري في أعتتها، فليس هذا من الإسلام في شيء، الإسلام تفكير وتحطيم، وحسن تدبير وترتيب، مع التوكل على الله تعالى.

لهذا أعدّ الرسول الكريم الرفيق الذي يهاجر معه، وهو «أبو بكر»، وأعد الدليل الذي يدلّهما على الطريق، وكان رجلاً مشرقاً مؤتمناً اسمه «عبد الله بن أريقط»، وأعد المكان الذي يختبئان فيه حتى يهدأ الطلب ويخفّ، وكان «غار ثور»، وكان إلى الجنوب في غير طريق المدينة؛ تعمية على القوم وتمويهـا عليهم، وأعد من يأتي لهما بالزاد والطعام «أسماء بنت أبي بكر»، وأعد من يعفي على آثار أسماء وهو «عبد الله بن فهيرة» الذي يأتي بالغنـم يأخذ منها اللبن، ويعـفي على الآثار بـسـيرـها، وأعد «عبد الله بن أبي بـكر» يأتي بأخـبارـ القـومـ وماـذاـ يقولـونـ، وماـذاـ يـفـكـرونـ، يـنسـلـ إـلـيـهـمـ كـواـحـدـ منـهـمـ يـسـمـعـ منـهـمـ، ويـذـهـبـ لـيـبـيـتـ عـنـدـ النـبـيـ ﷺ فيـ أوـلـ لـيـلـهـ، وـفيـ آخرـ اللـيـلـ يـعـودـ وـكـأنـهـ نـائـمـ فيـ مـكـةـ^(١).

رتب لكلـ أمرـ ماـ يـسـتـطـيعـ أنـ يـرـتـبـهـ الإـنـسـانـ، ولكنـ هـنـاكـ أـشـيـاءـ لاـ تـدـخـلـ فـيـ مـكـنـةـ الـبـشـرـ، هـذـهـ تـرـكـهـ اللهـ.

ولهذا حينما انطلق القوم هنا وهناك، يبحثون عن محمد ورفيقه أبي بكر، شرقوا وغربوا، ذهبوا شمالاً وجنوباً، حتى وصلوا إلى الغار

(١) انظر: حديث عائشة، الذي رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٥)، وانظر: سيرة ابن هشام (٤٨٥/١) وما بعدها.



بالفعل، ووقفوا على باب الغار، ولكنَّ الله صنع لرسوله ﷺ ولصاحبه ما لم يكن يخطر بالبال.

وقف القوم على باب الغار، ولو كلف أحدهم خاطره وطأطأ رأسه، ونظر إلى من داخل الغار، لرأى طلبه التي يبحث عنها، ولكنهم لم يفعلوا! وقال أبو بكر في خشية المُشْفِق على رسوله ﷺ وعلى دعوته: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا!

فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١)؟! ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ربط الله على قلب رسوله، وأنزل السكينة عليه؛ لأنَّه بذل ما عنده وما في وسعه، فلم يبق إلا ما عند الله عز وجل، وهو مُوقن أنَّ الله لن يتخلى عنه في مثل هذه اللحظة، لهذا قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وهذا هو شأن رسول الله تعالى.

قال قوم موسى من قبل لموسى، حينما خرج مع قومه من مصر وجاء فرعون وجنوده يتبعون أثره، حتى وصل موسى إلى البحر، وصار البحر من أمامه وفرعون وجنوده من خلفه، هنالك ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعَنِي رَبِّي سَيِّدِنَا﴾ [الشعراء: ٦٢، ٦١]، هكذا قال موسى، وقال محمد ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

وردَ الله المشركين مدحورين، ومحمد ﷺ على مدد اليد منهم، إنها القدرة الظاهرة!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، عن أبي بكر.

هل كان هناك عنكبوت؟ هل كان هناك حمام؟

أمّا الحمام فلم تصحّ فيه روایة قطّ، ولم تأتِ روایة لا صحیحة ولا حسنة ب لهذا الأمر، وأمّا العنکبوت فوردت هناك روایة^(١)، حسّنها من حسّنها، وضعفها من ضعفها.

وعلى كلّ حالٍ، فإنَّ الله جنودًا، قد يكون منها هذا العنکبوت الذي وصف الله بيته بأنه أوهن البيوت؛ كما قال تعالى: ﴿مَثُلُ الَّذِينَ أَخْذَوْا مِنْ دُورِ اللَّهِ أُولَئِكَ أَمْثَلُ الْعَنْكَبُوتِ أَخْتَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَتِ لَيْسَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنکبوت: ٤١]، فلا عجب أنْ يحفظ الله رسوله بأوهن البيوت، ولا عجب أنْ يحفظ الله رسوله بغير الأسباب التي نراها، لعلَّه حفظه بجنود غير مرئية كما قال الله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْكَدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرُوهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ٤٠].

هكذا نصر الله رسوله في يوم الغار، وهكذا ردّ المشركين خائبين لم يصنعوا شيئاً، بذلوا الأموال ورصدوا الجوائز؛ لمن يأتي بمُحَمَّدٌ ﷺ وأبي بكر حيّين أو ميّتَين، ولوه دِيَتان: دِيَة كلّ واحد منها مائة من الإبل، ومائة من الإبل هذه كانت ثروة عظيمة عند العرب، فكيف بماشين؟!

ومن هنا تناشر الخبر في أنحاء الجزيرة، كلّ طامع في ثروة عاجلة يريد أن يقبض على مُحَمَّدٍ وصاحبه.

(١) رواه أحمد (٣٢٥١)، وقال محرّجوه: إسناده ضعيف. وقال ابن كثير: وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنکبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ. البداية والنهاية (٤٥٠/٤)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



وعند بني مُدلج مرَّ النَّبِيُّ ﷺ وأبو بكر؛ فبصر بهما رجل فقال: لقد لمحت أَسْوَدَةً - أشباحاً - من بعيد، أحسب إِنَّها مُحَمَّدٌ وصاحبه.

سمع بذلك أحد فرسان بني مُدلج: «سراقة بن مالك» ووقع في نفسه أنهما بالفعل، فأراد أنْ يعمي على القوم فقال: لا أعتقد، إنهم فلان وفلان. وترك القوم متظاهراً أنه ذاهب لقضاء حاجة؛ يريد ألا يشاركه أحد في الغنية المضمونة.

أجل، انسَلَّ من القوم وعاد إلى بيته، وقال لخادمه: خُذ فرسي في خفية واجز به إلى العراء، واحذر أن يراك أحد، وأخفى سلاحه ورممه وخرج متسللاً مستخفياً، ثم ذهب إلى الفرس وركبه، ولحق بالنَّبِيِّ ﷺ.^(١)

وعد النبي ﷺ لسراقة بسواري كسرى:

وأحسنَّ به النَّبِيُّ ﷺ وأبو بكر، وأدركَ أَنَّ سراقة، فهما يعرفان قبائل العرب وفرسانها والطامعين منهم، فدعا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يكفيه الله شرَّ سراقة؛ فساخت أقدام فرسه في الأرض، فعرف سراقة أَنَّ هذا من دعاء رسول الله ﷺ؛ فقال: ادعُ اللهَ أَنْ ينجيني وأنا أرُدُّ عنك الطلب، خُذ مني عهداً أَنْ أرُدَّ عنك، وصدقه رسول الله ﷺ^(٢) وقال له: «كيف بك يا سُراقة إذا ألبسك الله سِواريْ كِسْرَى؟!» - يقول هذا وهو مطارد مهاجر من بلده - قال: كسرى بن هُرْمُز؟! قال: «نعم»^(٣).

(١) حديث سراقة رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٥)، ومسلم في الأشربة (٢٠٠٩)، كما رواه أحمد (١٨٤٧١) عن البراء بن عازب.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٩٧/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

تصوّروا حينما تقول الآن لواحدٍ من أعراب الباذية: كيف بك إذا سكنت البيت الأبيض في أمريكا أو الكرملين في روسيا؟
هكذا كان كسرى، وهكذا كان قيصر في تلك الأيام.

وعاش سراقة وأطال الله عمره، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وفي عهد عمر بن الخطاب جاءت الغنائم من بلاد الفرس، ومنها غنائم كسرى وتحفه الشخصية وحليه، ومنها سواراه، وتذكر عمر بن الخطاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبشارته لسراقة بن مالك فقال: أين سراقة بن مالك؟

فقام رجل من القوم وقال: ها أنا يا أمير المؤمنين.

قال: أتذكر يوم قال لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا؟

قال: نعم أذكره ولا أنساه.

قال: فتعال ألبسك سواري كسرى، فارفع يديك وقل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي^(١)!

هكذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والأمور مدلهمة من حوله، لا يكاد يُرى فيها بصيص - ينظر بنور الله إلى الغيب، وتنكشف له الحجب فيرى مستقبل الإسلام المشرق المضيء، وكيف يفتح الإسلام بلاد الله، وكيف ينشر فيها العدل والإحسان، وكيف تتغير الأحوال، ويجعل الله الذين استضعفوا في الأرض أئمة و يجعلهم الوارثين.

هذه أيّها الإخوة بعض ملامح الهجرة، إنّها هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحب بلاد الله إليه، وأحب بلاد الله إلى الله، ما كان يحب أن يفارق مكّة، وما يحب

(١) انظر: الأم للشافعي (٤/٦٥)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.



أحد أن يفارق موطنه ومسقط رأسه، ومجمع ألفائه، وملتقى أحبائه، وموطن صباح وشبابه. فكيف إذا كان هذا الموطن مكة البلد الحرام؟!

ولكن إذا تعارضت العقيدة وتعارض حب الوطن، فالعقيدة أغلى من الوطن، والعقيدة أغلى من العشيرة، والعقيدة أغلى من الدار، ومن المال، ومن كل ما يحرص الناس عليه.

لقد هجر النبي ﷺ وطنه وتركه، وكذلك تركه أصحابه ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَرِهِم بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، هان عليهم كل شيء في ذات الله، كانوا يريدون أن يؤسسوا للإسلام داراً، ولا بد للإسلام من دار، دار مستقلة تعلو فيها كلمته، وتحكم فيها شريعته، وتُقام فيها شعائره، ويظهر فيها سلطانه.

مجتمع المدينة المنورة:

كانت هذه الدار هي دار يثرب، هي دار الهجرة، وهي الدار التي أوى إليها النبي ﷺ وكان فيها أنصاره، وظهرت منها كتائب الرحمن، وجند الإيمان، تنطلق في الآفاق، تحارب الوثنين واليهود وغيرهم من المبدلین لأديان الله، والمتربيين هنا وهناك.

أقام النبي ﷺ داره بعد الهجرة، أقامها على تقوى من الله ورضوان، بنى فيها المسجد، وأنشأ فيها السوق، وأخى فيها بين المهاجرين والأنصار خاصة، وبين المسلمين عامة.

أقام مجتمع الفضل، مجتمع الخير، مجتمع الحق، المجتمع الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، ذلك المجتمع الرباني الإنساني الأخلاقي الذي جمع كل خصال الخير.

كانت الهجرة مصدر خير وبركة على الإسلام، وعلى أمّة الإسلام، وكانت بداية لتاريخ هذه الأمة، علينا أن نستخلص منها الدروس وال عبر.

فهذا الدين الذي ننعم في ظلاله لم يصل إلينا إلا بعد جهود وتضحيات، بذل فيها من بذل، واستشهد فيها من استشهد، أُرِيقت دماء، وأُزْهقت أرواح، وبُذلت أموال، وفُورقت أوطنان، صنع ذلك كل المسلمين الأوائل، حتى وصل إلينا هذا الإسلام العظيم.

يا أيها الإخوة، علينا أن نحافظ على هذه التركة النفيسة ولا نفرط فيها، ولا نكون كالذي يرث من أبيه أو جده ترفة جمعها بكد يمينه، وعرق جبينه، وهو لم يتعب فيها، فنراه يبذدها ويعثرها ذات اليمين وذات الشمال.

نحن مسؤولون عن هذا الدين العظيم، عن هذه التركة العظيمة، مسؤولون أن نقيمه في أنفسنا، في بيوتنا، فيمن حولنا، عاملون به، وعاملون له، وداعون إليه، حتى يتم الله نوره، وسيتمه إن شاء الله ولو كره الكافرون: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرُهُ عَلَى الْأَدِينَ كُلِّهِمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

يقول رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»^(١).

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجihad والسيير (٢٧٨٣)، ومسلم في الإمارة (١٣٥٣)، عن ابن عباس.

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿غَافِرُ الذُّنُوبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الْطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الملك وهو على كل شيء قادر.

وأشهد أن محمداً عبد رسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد، أيها الإخوة:

ممّا يُثليج صدور المؤمنين أنَّ الله يَعْلَمُ يقينيض لهذا الدين ما بين فترة وأخرى من يؤيده وينصره: ﴿وَمَمَنْ خَلَقَنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدَى يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتّى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»^(١).

ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمة على ضلاله، وكلما حدثت انتكاسات، وظنَّ الناس بالإسلام الظنو، وحسبوا أنَّ بساط الإسلام قد طوى أو أنَّ شجرته قد ذوت، كلما حسبوا ذلك ظهر للإسلام قوَّة في

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٦)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

وقد روی الحديث بالفاظ مختلفة عن عدد من الصحابة في الصحيحين أو أحدهما أو كتب السنة الأخرى: عن المغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وجابر، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وقرة بن إياس. انظر: الجامع الصغير وزيادته، الأحاديث من (٧٢٩٦) إلى (٧٢٨٧).

مكان جديد وأرض جديدة: ﴿فَإِن يَكْفُرُوا بِهَا هُوَلَّاً فَقَدْ وَكَلَّا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَفِيرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان:

لقد حضرت في هذا الأسبوع المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان^(١)، في الخرطوم، ورأينا ما يبشر بالخير، رأينا توجّهاً صحيحاً إن شاء الله نحو الإسلام، رأينا القوم مصمّمين على أن يحيوا بالإسلام، وأن يحيوا للإسلام.

الحمد لله لا زال الإسلام بخير، ولا زالت شعوب هذه الأمة بخير.

ليس هناك شيءٌ يعبر عن ضمير هذه الأمة إلا «الإسلام».

لقد خرجت مسيرة في الخرطوم قوامها نحو مليون شخص، خرجت في الحرّ والعطش والظماء والزحام، لا ترفع إلا المصاحف، ولا تهتف إلا بـ«لا إله إلا الله والله أكبر»، «الإسلام منهجنا، القرآن دستورنا وأساس حياتنا».

هذا والحمد لله مما يبشّرنا بأنّنا على الطريق، وأنّنا لا بدّ عائدون إلى أصولنا وجذورنا، وأنّ لا شيء يجمع كلمتنا إلى الهدى، وقلوبنا على التقى، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل: إلا «الإسلام».

وقد أتعجبني أنّ القوم يسمون هذه المرحلة: «مرحلة التحوّل نحو الإسلام»، أيّ أنّهم لا يعتقدون أنّهم طبقوا الإسلام مائة في المائة (١٠٠٪)، ولكنّهم يتحوّلون نحو الإسلام، وإذا صدق العزم وضح السبيل، ومن سار على الدرب وصل.

(١) كان ذلك في عهد الرئيس جعفر نميري.

الحمد لله الذي هدى إخواننا لهذا، والحمد لله الذي جعل في المسلمين من يؤيد هذا الإسلام وينصره.

ونسأل الله تعالى أن ينتشر هذا النور في كل مكان، وأن تعود شريعة الإسلام حاكمة في أرض الإسلام، كل أرض الإسلام إن شاء الله.

أيها الإخوة، في هذا الأسبوع تأتي عاشوراء، وقد كان النبي ﷺ يصوم عاشوراء، ويحث على صيامه، ويقول: «صيام يوم عاشوراء إنّي أحتسب على الله أنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَه»^(١).

و قبل أنْ يموت قال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لِأَصُومُنَّ التَّاسِع»^(٢)، أي: مضموماً إلى العاشر.

يريد أنْ يصوم تاسوعاء وعاشوراء؛ لأنَّ اليهود كانوا يصومون اليوم العاشر، فأراد أنْ يتميَّز عنهم بضمِّ التاسع إلى العاشر.

فاحرصوا على صيام هذين اليومين، فما أكثر ما نقع فيه من ذنوب، وما أحوجنا إلى التكفير والتطهير.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِلْأَخْرَيْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا أَغْلَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) رواه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاماً في الصوم، عن أبي قتادة.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٣٤)، وأحمد (١٩٧١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.



اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصِيمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي
فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتُنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيادةً لَنَا
فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

عبد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [التحل: ٩٠].

* * *



الرياضية في الإسلام

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

جاء الإسلام دينًا شاملاً متوازناً، جاء ينظم شؤون الدنيا والآخرة، ويعنى بحياة الفرد والمجتمع، يهتم في شأن الفرد بالجسم والروح والعقل؛ لأنَّه يريد المسلم القوي في جسمه، القوي في عقله، القوي في روحه وإيمانه، «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١).

إذا كانت هناك بعض الأديان لا تهتم بالجسم الإنساني، ولا تهتم إلا بالروح - بل بعضها يقوم على تعذيب البدن؛ لتصفو الروح وترقى - وتُحرّم على الجسد الطيبات من الرزق ومن زينة الله، فإنَّ الإسلام يعارض هذه الوجهة ويقول: ﴿يَنْبَغِي إِلَيْهِ أَدَمَ حُذِّرَا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢، ٣١] من حرم هذه الزينة وحرّم الطيبات من الرزق على الإنسان؟ ومن ذا الذي يدعى أنَّ له حق التحريم غير

الله سبحانه؟

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

جاء الإسلام يعني بالجسم الإنساني، وسمع الناس لأول مرّة في جوّ الدين هذه الكلمة النبوية: «فإنَّ لجسْدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(١)، من حقّ جسدك عليك أن تقوّيه إذا ضعف، أن تطعّمه إذا جاع، أن تسقيه إذا ظمئ، أن تنظّفه إذا اتسخ، وأن تُريحه إذا تعب، أن تعالجه إذا مرض، بل أن تقيه ما استطعت من الأمراض.

هكذا أراد الإسلام أن ينشئ أمّة قويّة، ولا يمكن أن تكون الأمّة قويّة إلّا إذا كان أفرادها أقوياء، فمن الأفراد يتكون المجتمع، كما يتكون البناء من اللبنات.

أيمكن أن يوجد بُنيانٌ قويٌّ من لبناتٍ خاويةٍ ضعيفةٍ؟!
لا يمكن، لهذا كان حرص الإسلام على إنشاء الفرد الصالح القويّ في كلّ ناحيّةٍ من النواحي، ومنها الناحيّة الجسميّة.

يريد الإسلام أنْ يُرَبِّي الإنسان من الناحيّة الجسميّة على ثلاثة عناصر أساسية:

العنصر الأول الصحة والعافية والسلامة من الأمراض:

أن يكون الإنسان معافى في بدنـه، كما جاء في الحديث: «من أصبح آمناً في سربـه، معافـى في بدنـه، عنده قوتـ يومـه، فـكـأنـما حـيزـتـ له الدـنيـا بـحـذـافـيرـهـ»^(٢).

عافية البدن أول مقومات الحياة الآمنة الهائمة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلامـما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الترمذـي (٢٣٤٦)، وقال: حـسنـ غـرـيبـ. وـابـنـ مـاجـهـ (٤٤١)، كـلامـما في الزـهدـ، وـحسـنـهـ الأـلبـانـيـ فيـ الصـحـيـحةـ (٢٣١٨)، عنـ عـبـيدـ اللهـ بنـ مـحـصنـ الـأـنصـارـيـ.



وكان النبی ﷺ يسأّل الله العفو والعافية ويقول: «سّلوا الله العفو والعافية؛ فإنَّ أحدًا لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية»^(١).

ويدعو الله في قنوطه فيقول: «وعافني فیمن عافیت»^(٢).

ويقول بين السجدةين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدّني، وارزقني»^(٣).

ومن أجل هذا شرع الإسلام النّظافة، وأوجب الطهارة في الصلاة: طهارة الثوب والبدن والمكان، وهذه هي الطهارة الحسّية، الطهارة من الخبرث.

وهناك طهارة أخرى، هي الطهارة من الحدث، وهي الطهارة الحكميّة، أوجبها بالغسل وبالوضوء؛ فإنَّ الإنسان لا يمكن أنْ يعافى إذا تعرض للأقدار باستمرار، ولم ينظف نفسه، حتى جاء في الحديث: «حقُّ الله على كل مسلم أن يغسل في كل سبعة أيام يوماً: يغسل فيه رأسه وجسده»^(٤) إذا لم تأتِ الظروف الطبيعية وتوجب عليه الغسل بالجنابة أو نحو ذلك، فينبغي في كل أسبوع مرّة على الأقلّ، يوم يغسل فيه رأسه وجسده.

هذا في الوقت الذي كان الرهبان في العصور الوسطى في أوربا يتقرّبون إلى الله بالقدرة، وكلّما كان أحدهم أقدر ظنَّ أنه إلى الله أقرب!

(١) رواه أحمد (٣٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذی في الدعوات (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب. وصحّحه الألبانی في صحيح الجامع (٣٦٣٢)، عن أبي بكر.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذی (٤٦٤) وحسنه، والنسائي (١٧٤٦)، وابن ماجه (١١٧٨)، أربعتهم في الوتر، عن الحسن بن علي.

(٣) رواه أحمد (٢٨٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٨٥٠)، والترمذی (٢٨٤)، كلاهما في الصلاة، وقال النووي في المجموع (٤٣٧/٣): إسناده جيد. عن ابن عباس.

(٤) متّفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

حتى قال بعضهم: رحم الله الراهب فلاناً؛ لقد عاش خمسين سنة، لم يقترف إثم غسل الرجلين!

وقال آخر من هؤلاء: وأسفاه؛ لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم طوال عمره لا يبل أطرافه بالماء، فأصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمامات^(١)!

وإنما دخلوا الحمامات عدوى من المسلمين، المسلمين في الأندلس كان عندهم في قرطبة مئات الحمامات، وهؤلاء ما كانوا يعرفون هذا.

حق على الإنسان من ناحية تكوينه البدني الصحيح أن ينْظُف جسمه، وأن يبتعد عن كل ما يجلب عليه الأمراض: البول في الماء الراكد، البول في الطريق، البول في الظل، وفي موارد الماء.

الإسلام اعتبر هذه الأشياء - التي تجلب على الناس الأمراض المعدية - من اللواعن الثلاث التي تجلب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(٢).

جاء الإسلام يعلم الإنسان المسلم الذوق الراقي، فلا يليق به أن يبول في الطريق، أو في موارد المياه، أو في الظل، أو نحو ذلك، فهو يحافظ على صحته من ناحية، ويعلمه الذوق، ويعلمه المروءة والترفع والرقي من ناحية أخرى.

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ للعلامة أبي الحسن الندوبي ص ١٥١، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة.

(٢) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد [أي: مجاري الماء وطرقه]، وقارعة الطريق، والظل». رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١).



حرّم الإسلام على المسلم أن يشرب المُسْكَرات أو يتناول المُخَدِّرات؛ فقد «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَن كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتَّرٍ»^(١).

بل نهى عن كُلِّ ما يضر بالبدن: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩]، «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَلْكَةِ» [البقرة: ١٩٥]، «لا ضرر ولا ضرار»^(٢)، أي: لا تضر نفسك ولا تضار غيرك.

ومن هنا حرّمنا التدخين^(٣); لأنَّ الإنسان يضر نفسه بنفسه، يشتري ضرره بماله!

(١) رواه أحمد (٢٦٦٣٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ومفتر». وأبو داود في الأشربة (٣٦٨٦)، والطبراني (٣٣٧/٢٣)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٤٤/١٠)، عن أم سلمة. وقال المناوي في فيض القدير (٣٣٨/٦) برقم (٩٥٠٧): قال الزين العراقي: إسناده صحيح. وذكر المناوي أنَّ عجميًّا حضر القاهرة وطلب دليلاً لتحرير الحشيش، وعُقد له مجلس حضره أكابر علماء العصر، فاستدلّ الزين العراقي بهذا فأعجب من حضر. فيض القدير (٣٣٨/٦)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري. وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد. وله طرق يقوى بعضها بعضاً.

قال ابن الملقن: وصححه إمامنا - أي الشافعي - في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوهه، ومجموعها يقوى الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. انظر: جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢)، (٢١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٦٦٩ - ٦٥٤/١) فتوى: أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعد الشرعية، نشر دار القلم، الكويت، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٠م، وخطب الشیخ القرضاوی (٢٦١ - ٢٤٥/٢)، خطبة: التدخين آفة ضارة وهو حرام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

ينبغي للإنسان أن يحافظ على نفسه، لا ينبغي أن يسهر طويلاً فيُضيّن نفسه، ويُضيّن جسده، وهو مَطِيّته، ويصبح في الصباح متعباً مكدوّداً مهدوّداً، حتى لو كان هذا السهر في الطاعة والعبادة.

نصح النبي ﷺ الصحابي الذي جار على حقّ نفسه وأهله ومن حوله، بالتوغل في عبادة الله تعالى، والمبالغة في طاعته، نصحه أن يقتصر في صيامه وقيامه وقراءاته، قائلاً له: «إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً [أي: في الراحة]، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً [أي: في النوم]، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ [لزوجك] عَلَيْكَ حَقّاً [أي: في المؤانسة والإمتاع]، وَإِنَّ لِرَوْرِكَ [أي: زوارك] عَلَيْكَ حَقّاً [أي: في القرى والإكرام]»^(١) فعلى الإنسان أنْ يعطي كلّ ذي حقّ حقّه.

يجب على الإنسان أنْ يحافظ على صحة جسمه وعافيته وسلامته.

هذا هو العنصر الأول الذي جاء به الإسلام.

العنصر الثاني المرونة والقدرة على الحركة والسرعة:

أنْ يكون الإنسان ذا جسم مُتَحَرِّك قادر على أداء الواجبات الدينية والدنيوية.

إنَّ الإسلام أوجب علينا واجبات دينية متنوعة: أوجب علينا الصلوات الخمس، يصليها الإنسان ما استطاع في المسجد، يغالب الكسل، ويغالب الهوى، ويذهب إلى المسجد ويصلّي، هذه تحتاج إلى قدرة جسمية.

وصوم رمضان من كلّ عام هو لون من الجوع الإجباري، وهو يحتاج أيضاً إلى قوّة جسمية.

(١) سبق تخرّجه ص ٣٢.



وفي الحج: الإنسان كأنما هو كشاف أو حوال، بيت فيما اتفق، ويمشي فيما اتفق، هذا يحتاج إلى قوّة جسمية.

وفي الجهاد: إذا اعتدى على دينه أو أرضه أو عرضه، فيجب أن يدافع.

كيف يدافع الإنسان الضعيف؟

لا بد أن يكون قويًا: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ» [الأنفال: ٦٠]، ومن القوّة التي يجب أن تُعد: قوّة الأجسام.

ولهذا كان النبي ﷺ قوي الجسم، وصارع رجلاً عُرف بالمصارعة اسمه ركانة فصرعه^(١)، وكان يركب الفرس معروفاً (ليس عليه سرج ولا لجام)^(٢).

وكان في الصحابة العداون والراكضون، وكلهم يتقنون الفروسية، وركوب الخيل، ورمي السهام، وكانوا يلعبون ألعاب الفروسية، يُعدون أنفسهم للجهاد، هذه هي الأمة الحقيقية.

لم يكن في الصحابة مثل هؤلاء المتدينين المتماوتين.

رأى سيدنا عمر رجلاً متماوتاً في صلاته، فقال له: يا هذا، ارفع رأسك؛ فإن الخشوع في القلوب، ليس الخشوع في الرقاب^(٣).

(١) رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذى (١٧٨٤)، وقال: حديث غريب، وليس إسناده بالقائم. كلامها في اللباس، وحسنه الألبانى في غایة المرام (٣٧٨)، عن محمد بن علي بن ركانة.

(٢) كما في حديث أنس، المتفق عليه: قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا. وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف فقال: «لقد وجدته بحراً» أو «إنه لبحر». رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٧).

(٣) الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢٨٠/١)، تحقيق علي محمد البحاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة، لبنان، ط. ٢.

ورأت إحدى الصحابيات بعض الشباب يمشون متهاوين متھالکین
متماوتين، فسألت: من هؤلاء؟

قالوا: هؤلاء نساك (أي: عباد).

قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكلّم أسمع، وإذا ضرب أوجع،
وكان هو الناسك حقاً^(١).

وهنالك واجبات دنيوية أوجبها الإسلام: السعي على المعيشة،
والسعي على العيال، وهذا يحتاج إلى قوة، فلا بد للإنسان أن يكون قوياً
قادراً على الحركة.

ومن هنا شرع الإسلام كلَّ الرياضيات المنشورة التي تقوِي الجسم:
السباحة، والرمادية، وركوب الخيل.

وقد رُويَ في بعض الأحاديث والأثار: «حقُّ الولد على الوالد أنْ
يعلّمه الكتابة والسباحة والرمادية»^(٢).

وجاء عن عمر: علّموا أولادكم السباحة والرمادية، ومروهم فليثبوا
على ظهور الخيل وثبياً^(٣).

هذه أنواع من الرياضيات كانت معروفة عندهم.

وفي عصرنا وجدت رياضيات، وأصبحت الرياضية علمًا وفنًا.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٢٨٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) رواه البيهقي في السبق والرمي (١٠/٢٦)، وضفه، عن أبي رافع مولى النبي ﷺ.

(٣) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، تحقيق مشهور حسن محمود سلمان، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



أصبح هناك معاهد للرياضة - متوسطة وعالية - تُعلّم النّاس كيف يروضون أنفسهم، وخصوصاً في عصرنا، بعد أن أصبح النّاس لا يكادون يمشون.

كان النّاس في الزمن الماضي يمشون لحاجاتهم أمياً وأميالاً، أما النّاس الآن فيركبون لأي غرض، فهم يحتاجون إلى تمرينات رياضية تقوى أجسامهم؛ حتى لا يتلّوّ بالأمراض من كثرة الراحة.

الإسلام لا يرفض أيّ لعبة من الألعاب؛ بشرط عدم المبالغة؛ فالبالغة تفسد الأمور كلّها، إذا زاد الشيء عن حده انعكس إلى ضده!

لا بأس أن يلعب النّاس كرة القدم، أو كرة الطائرة، أو كرة السلة، أو كرة التنس، أو أي نوع من الأنواع، ولكن على ألا تطغى الرياضة على الواجبات الأخرى، ولا تصرف النّاس عن ذكر الله وعن الصلاة، وعلى ألا ينقسم النّاس بعضهم على بعض فيتحزبوا، وتتصبح الكراهة وثناء يعبد.

هذا ما لا ينبغي.

والرياضة ليست خاصة بالرجال، يمكن للنساء أن يلعبن الرياضة، ولكن بضوابط شرعية وقواعد مرعية.

نحن لسنا أمّة سائبة، لسنا كالغربيين، الغربيون لهم دينهم ولنا ديننا، هم ليس عندهم أي تحفظ.

ولكن نحن إذا أردنا أن نُعلّم المرأة الرياضة؛ فلا بدّ أن يكون ذلك في نوادي خاصة بها.

في جامعة «قطر» هناك قسم للرياضة، فيه أنواع من الرياضات، ولكنه لا يدخله رجل، لا يدخله إلا النساء.

في أيام المؤتمر الإسلامي: مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الذي عُقد بالدوحة، زارتني مجموعة من النساء الإيرانيات، وقالوا: إنَّ عندنا رياضة نسائية، للنساء فقط، ولا تظهر الصور في الصحف، ولا في الإعلام، ولا في التلفزيون؛ لأنَّ من آفة الرياضة النسائية الإعلام عنها بالصور ونقلها إلى العالم في الخارج؛ ليتفرج الناس عليها وهي تسبح، أو تلعب «الجمباز» وغيرها.

وهذا لا يجوز.

لا مانع أن تلعب المرأة الرياضة، ولكن بضوابطها.

لم تعد المرأة السمينة المترهلة هي المطلوبة في عصرنا، ولا هي المطلوبة في الإسلام.

المرأة المطلوبة هي القوية الجسم، القادرة على خدمة بيتها، وخدمة زوجها، وخدمة أولادها، وخدمة مجتمعها، وخدمة دينها، والجهاد في سبيله عند اللزوم.

رأينا من الصحابيات ومن أمَّهات المؤمنين - في بعض الغزوات - من شاركن في الجهاد، بخدمة المقاتلين، وإسعاف الجرحى، وسقاية المقاتلين، ومن شاركن بالقتال في بعض الأحيان.

كانت أم عمارة نسيبة بنت كعب وأم سليم الرثميصاء، وأمثالهما من الصحابيات يقاتلن في غزوة أحد، ونظر النبي ﷺ إلى نسيبة بنت كعب وهي تقاتل؛ فدعا لها، وقال: «لِمَقْامِ نَسِيْبَةِ بَنْتِ كَعْبٍ مِّنْ مَقَامِ فَلَانَ وَفَلَانَ وَفَلَانَ»^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤١٣/٨).



لا بد للMuslim أن يكون قادرًا على الحركة، ومن هنا عليه أن يمارس أنواعًا من الرياضة التي يحتاج إليها، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

هذا هو العنصر الثاني.

العنصر الثالث الخشونة:

وهذا خاص بالرجال، لا بد أن تربّي الشباب على الخشونة؛ فليست الحياة كلهَا ورداً بلا شوك، الحياة ورود وأشواك، الحياة نسمات وأعاصير، الحياة حلوٌ ومُرّ.

فلا بد أن يؤهل الإنسان نفسه لملاقاة الحياة كما هي، يستطيع أن يجوع عند اللزوم، وأن يعطش عند اللزوم، وأن يتحمل الآلام عند اللزوم. من أجل ذلك فرض الإسلام الصوم شهراً في كل سنة، ليُدرِّب المسلم على أن يجوع ويعطش، وقد تقتضي سنن الحياة هذا رغمًا عنه.

لا بد للإنسان أن يتحمل، ولا بد أن يدرب على الخشونة، كما جاء:

«تمعددوا واخشوشنوا»^(١).

تمعددوا: كونوا كمَعْدٌ بن عدنان، الذي كان رجلاً خشنًا قويًا.

اخشوشنوا؛ فإن النعمة لا تدوم، النعيم والرفاهية لا يدومان باستمرار، دوام الحال من المحال، قد تتغير الدنيا ويتغير الزمان، والدهر قلب ﴿وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فمن عاش طول عمره على الرفاهية وعاش على التنعم: لا يستطيع أن يواجه الحياة إذا تغيرت، إنما يواجهها إذا عوَّد نفسه الخشونة، وعوَّد نفسه ركوب المصاعب.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦٨٥٤)، من قول عمر بن الخطاب.

هذه هي العناصر الثلاثة التي يريد لها الإسلام ل التربية الجسم البشري، و التربية جسم الإنسان المسلم، فهو أمر لا بد منه لتكوين الشخصية المسلمة.

الشخصية المسلمة: جسم قوي، و عقل قوي، و روح قوي.

هذه هي معالم الشخصية التي يريد لها الإسلام.

نحن نرحب بالرياضة، و نرحب بتنوع الرياضة، و نرحب بالرياضيين من أي بلد كان، ولكننا لا نقبل باسم الرياضة و بدعوى الانفتاح على رياضي العالم: أن نخسر أنفسنا، و نخسر قيمنا.

المجتمع «القطري» مجتمع عربي مسلم أصيل:

ينبغي أن نعرف ضيوفنا من الرياضيين وغيرهم: أننا قوم لنا ديننا، قوم توجّههم عقيدة، و تحكمهم شريعة، و تضبطهم قيم و أخلاق، وتسودهم آداب و تقاليد.

فلا بد لمن يتعامل معنا أن يحترم عقائدها و شرائعها، و قيمها و أخلاقنا و تقاليدها.

هناك تقاليد صنعتها العرف يمكن أن تتغير، وهناك تقاليد صنعتها الدين لأهداف يتحققها، وهذه لها ثباتها، ولها حرمتها، ولها قدسيتها، لا يجوز أن نفرط في أصولنا، لا يجوز أن نفرط في ركائز حياتنا المشخصة لنا، المميزة لهويتنا عن العالمين.

نحن أمّة متميزة، الله جعلها خير أمّة أخرجت للناس، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [آل عمران: ١٤٣] فلسنا أذناباً للغرب ولا للشرق، لسنا أسرى لأحد، نحن أسرى ديننا فقط، نحن لا نقييد إلا بأحكام ربنا و شريعة ربنا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ.



ولذلك أقول للإخوة الذين يُشرفون على أنواع الرياضيات المختلفة: إياكم أن تخلطوا بين الرياضة والتسبيب، فالرياضية شيء، والتسبيب شيء آخر، فليس من الرياضة إقامة حفلات راقصة، ترقص فيها راقصة شرقية عارية أو شبه عارية، كما رأينا في الصورة التي نُشرت في بعض الصحف القطرية، وأسف لها كل ذي دين في هذا البلد، غيره على هذا البلد أن ينجرف إلى ما انجرف إليه غيره.

لا يجوز لنا - ما دمنا مسلمين مُعْتَزِّين بِإِسْلَامِنَا - أن نُقلّد قوماً هم مختلفون عَنَّا، الزنى عندهم شيء طبيعي، بل الشذوذ الجنسي - وهم لا يُسَمُّونه شذوذًا جنسياً - عندهم أمرٌ مشروع!

هم يقولون: لماذا لا يستمتع الذكر بالأنثى؟!

بل لماذا لا تستمتع الأنثى بالأنثى ويستمتع الذكر بالذكر؟!

أَيُّهَا الْغَرَبِيُّونَ، لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلَنَا دِيْنُنَا:

نحن لو سرنا في ركاب هؤلاء فلن يقفوا عند حدٍّ، إنَّك ستقدم لهم الخمر من باب الانفتاح والتشجيع، ولكنَّهم لا يكتفون بالخمر، سيقولون لك: الخمر لا تتمُّ إلَّا بأمرأة، فأين الأنثى؟ وأين الجليس؟! فربما استجبت لهم وجئت بأمرأة من بنات جنسهم، استوردتتها من أوروبا أو أمريكا، فهنا يقفزون قفزة أخرى ويقولون: إنَّ عندنا تشبعاً من هؤلاء، إنَّما نريد من بنات جنسكم! لا يكتفون بالأوروبية ولا بالأمرיקية، إنَّهم يريدون مذاقاً جديداً وطعماً جديداً ولو ناً جديداً! لا تعجبوا لهذا، إنَّ الشر إذا انفتح بابه لا يقف عند حدٍّ!

ولهذا ينبغي أن نقف في وجه الشر، وأن ننبه الغافلين، ونذَّكر

الناسين، ونوقظ النائمين، ونُعَلِّمُ الجاهلين، وأنا أعرف من قادة هذا البلد - من أميره ومن المسؤولين فيه - أنَّهم حريصون على أن يبقى هذا البلد مُتَمَيِّزاً بقيمه وبدينه، وبعقيدته وبأخلاقياته.

فلا يجوز أنْ يأتي آتٍ - زيد أو عمرو من النَّاس - ليجرف هذا البلد إلى ما لا يجوز الانجراف إليه.

هذا لا ينبغي.

الغربيون لهم فلسفة خاصة، منبثقة من فلسفة الحضارة الغربية المعاصرة، وهي تقوم على أمرَيْن أساسَيْن: المادِيَّة في الفكر، والإباحيَّة في السلوك.

ونحن نرفض الْأَمْرَيْن معًا:

لا نقبل المادِيَّة؛ لأنَّا نؤمن بالله ربَّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولًا.

ولا نقبل الإباحيَّة؛ لأنَّا نلتزم بقيم هذا الدين وبأخلاقياته.

ومن أجل هذا رأينا هذا البلد حريصاً على أن يكون هناك مدارس للبنين ومدارس للبنات، ومبني لجامعة البنين، ومبني لجامعة البنات، وحربياً على هذا في أمور كثيرة، مما يدلُّ على أنَّه مُتَمَسِّك بدينه وبقيمه.

الغربيون يؤمنون بالمادِيَّة في الفكر، والإباحيَّة في السلوك، فليؤمنوا بما شاؤوا، ولكنَّا نقول لهم: إنَّ هذا البلد بلدُ عربيٍ مسلمٌ أصيلٌ، مستمسِك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، فلا يجوز أن ننجرف به إلى ما لا يحبُّ الله ويرضى.



والله لن نسعد في الدُّنيا ولا في الآخرة، ولن نعزَّ ونقوى، ولن تتحقق لنا الآمال؛ إِلَّا إذا استمسكنا بهذا الدين، بالعروة الوثقى، لا انفصام لها.

وبغير هذا سنظلُّ ندور وندور، ونسير ونسير، كالحمار في الرَّحْيِ، أو كالثور في الساقية، يدور ويدور، والمكان الَّذِي انتهى إِلَيْهِ هو الَّذِي ابتدأَ منه.

وصدق ابن الخطاب حينما قال: نحن كنا أَذْلَّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العِزَّة بغيره أَذْلَّنا الله^(١).

ادعوا الله تعالى يستجب لكم، واستغفروه إِنَّهُ هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

سألني كثير من الإخوة عمّا نشرته الصحف منسوباً إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حول قضية الحجاب في فرنسا^(١).

شيخ الأزهر وقضية الحجاب في فرنسا:

وقلت للإخوة الذين سألوني: إنّي لم أتبين ممّا نُشر في الصحف ماذا قال الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُ؛ لأنّ بعضها قالت: إنّ شيخ الأزهر قال لوزير الداخلية الفرنسي الذي كان يزور مصر: إنّه لا يجوز لفرنسا أن تجبر المسلمين على أمر يخالف عقيدتهم.

هكذا قرأت عنواناً في بعض الصحف، وهذا هو المظنون من مثله، وهو الذي نقوله ونكرره دائمًا.

وقالت صحف أخرى: إنّه قال: إنّ المسلمين في فرنسا عليهم أن يلتزموا بقوانين البلاد، وإلا فليرحلوا عنها!

قال ذلك في شأن الكلام عن حجاب الطالبات المسلمات.

وأنا في الواقع لا أحب أن آخذ الكلام من الصحف؛ لأنّ الصحف كثيرة ما تختصر الكلام، أو تنقله بالمعنى فتحرفه.

وهذا ما شاهدته فيما يؤخذ عنّي أحياناً من تصريحات، كلمة صغيرة ينقلها الصحفي بمعنى من عنده فيغير المعنى الذي أردته.

(١) انظر: خطب الشيخ القرضاوي (١٩٥/٢ - ٢١٠)، خطبة: معركة الحجاب في فرنسا.



ولذلك نناقش القضية من حيث هي: قضية الحجاب في فرنسا.

كَنَّا نود أن يقول الشيخ لهذا الوزير ولأمثاله: ما يضركم - أيها الفرنسيون - أن تلبس فتاة مسلمة خماراً على رأسها؟ هل يضر هذا بالدولة الفرنسية؟ أيصيب هذه الدولة في أمر من أمورها؟ وكما قال الناس في مصر: (واحد شايل ذقنه وأنت تعان ليه)! واحدة تلبس غطاء على رأسها؛ ما الذي يزعجك في هذا؟!

كان ينبغي أن يقول: إنَّ الحجاب فريضة إسلامية، ويجب على المسلمة أن تؤدي ما فرض الله عليها، وأنَّ هذا أمر أجمع عليه المسلمين، فلا تفتنوا المسلمة عن دينها، وتوجبوا عليها أنْ ترتكب ما حرم الله عليها، وتترك ما أوجب الله عليها.

كنا نود أن يُقال هذا؛ لأنَّ الحجاب معناه: أن تلبس المرأة ما يغطي الجسم ما عدا الوجه والكفين، وبعض العلماء أضاف القدمين.

هذا أمر واجب، فلماذا يُفرض على الطالبة المسلمة أن تخالف دينها، وترتكب ما حرم الله عليها؟!

والقول بأنَّ من لم يعجبه ذلك، فعليه أنْ يترك البلد، لو صحَّ هذا بالنسبة للمقيمين، كيف يصحُّ هذا بالنسبة لمن يحمل الجنسية الفرنسية؟ هناك حوالي مليونين يحملون الجنسية الفرنسية، بعضهم أصليون وبعضهم جزائريون أو مغاربة أو توانسة أو غير ذلك، وبعضهم ولد في فرنسا، ولا يعرف الكلمة في اللغة العربية؛ لأنَّ أباه من عشرات السنين في فرنسا، ولعلَّ جده كان في فرنسا، ويحمل الجنسية الفرنسية!

فماذا يُقال لهؤلاء الذين يحملون الجنسية الفرنسية؟ أتيركون بلد़هم؟
هذا أمر لا يجوز أن يُقال.

إنَّما الَّذِي يُقال: إِنَّ الْعَلْمَانِيَةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَقْفَ مَوْقِفًا مَحَايدًا
مِنَ الدِّينِ، الْعَلْمَانِيَةُ لَا تَؤْيِدُ الدِّينَ وَلَا تَرْفُضُهُ، لَا تَوَالِيهُ وَلَا تَعَادِيهِ.

هذا هو شأن العلمانية، ليست مع الدين ولا ضدَّ الدين، إنَّها تدع
النَّاسَ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنفُسِهِمْ.

الدستور الفرنسي نفسه قام ليحمي الحريات ويوطدها، وفرنسا تزعم
أنَّها أَمَّا الحريات، وَأَنَّمَا الثورات قامت فيها! فكيف تفرض على الإنسان
ما يُنافي حريته الدينيَّة، وحريته الشخصيَّة؟!

حرية الإنسان الدينية أن يلتزم بدينه:
وحريته الشخصية: أن يتصرف في حياته بما يروق له، وما يختاره
لنفسه.

وإذا كان هناك من تلبس القصير ولا يقول لها أحد كلمة نقد أو
اعتراض؛ لأنَّ هذا من حريتها الشخصية، فلماذا لا يقف نفس الموقف
من المحشمة، الَّتِي تلبس الطويل، أو تغطي الرأس، فما يضركم منها؟

هذا هو الَّذِي ينبغي أن يُقال.

أمَّا ما سمعناه فهو أمر غريب.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنِيرَ لَنَا الطَّرِيقَ، وَأَنْ يَهْدِنَا جَمِيعًا سَوَاءَ السَّبِيلِ.
اللَّهُمَّ هَبِّنَا لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِيدًا.

اللهم افتح لنا فتحاً مبيناً، واهدنا صراطًا مستقيماً، وانصرنا نصراً عزيزاً، وأتمنّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، وانصرنا على الصليبيين الكائدين الحاقدين، وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على الملاحدة الجاحدين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين.

اللهم ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدهم.

اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونوعذ بك من شرورهم.

اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم مجرمين.

اللهم أيد إخوتنا المجاهدين في فلسطين، وأيد إخوتنا المجاهدين في لبنان، وأيد إخوتنا المجاهدين في كشمير، وأيد إخوتنا المجاهدين في السودان، واجمع كلمة إخواننا في أفغانستان على الحق والهدى، وإخواننا في الصومال، وإخواننا في الجزائر، وإخواننا فيسائر بلاد الإسلام.

اللهم اجعل يوم المسلمين خيراً من أمسهم، واجعل غدهم خيراً من يومهم، وأحسّن عاقبتهم في الأمور كلّها، وأجزّنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائراً بلاد المسلمين.



اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنبنا من
لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتتك وغضبك عنا.

﴿رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَسِّرِيَّا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آل
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ
اللَّهِ أَكْبَرُ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



هدم مسجد «بابري» في الهند^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

قدّر على جيلنا هذا أن يعيش مآسي المسلمين في كلّ مكان.
ولا أدرى: أكان من حسن حظنا أم من سوءه أن عصرنا يسمّى عصر
الاتّصال والاقتراب؟! حتّى وصف بعض الأدباء العالم بأنّه قريتنا الكبرى!
لا يحدث حادث في مشرق أو مغرب، في شمال أو جنوب، إلّا وعرفه
الناس بعد لحظات، وكالات الأنباء تطير الحادث بالصوت وبالصورة.
ولهذا فنحن نرى مآسي المسلمين ونتابعها، نسمعها بأذاننا،
ونشاهدها بأعيننا، لأننا نعيشها.

(١) كان ذلك في السادس من ديسمبر عام ١٩٩٢م، وفي مدينة «أيودهيا» بشمال الهند على أيدي متطرفين هنود، وقد أدى تدمير المسجد إلى أعمال عنف دينية أوقعت ألفي قتيل، وشوهرت سمعة الهند. وكشفت التحقيقات عن تورّط عدد من الوزراء والمسؤولين الكبار من الهندوس في هذه الحادثة من بينهم: وزير الداخلية لال كريشنا أدفاني، وزیر الرياضة أو ما بهاري، وزیر تنمية الموارد البشرية مورلي مانوهار جوشي، ولا تزال لجنة التحقيق الرسمية تحتفظ بصورهم وأصواتهم مسجلة على أشرطة الفيديو وهم يهتفون لهدم المسجد. صحيفة أخبار الخليج البحرينية، العدد (٨٢٩٤)، ١١ رمضان ١٤٢١هـ - ٧ ديسمبر ٢٠٠٠م، ورسالة الإخوان، العدد (١٦٩)، ٢ رمضان ١٤٢٠هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٩٩م.

فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عاش في هذه الهموم،
همماً بعد هم، ومؤسسة بعد مؤساة!

لم نفرغ من مؤساة البوسنة والهرسك، لم نفرغ من مؤساة فلسطين
والمسجد الأقصى - المؤساة المزمنة الدائمة، قضيَّة المسلمين المركزية
الأولى - لم نفرغ من مؤساة الصومال، لم نفرغ من مؤساة كشمير وجامو،
لم نفرغ من مأسى الجائعين الذين يهلكون جوعاً في بلاد شتى.

مأسٍ وكوارث معظمها في بلاد المسلمين:

حيثما فتحت المذيع، أو شاهدت التلفاز، وجدت أخبار المسلمين
تحرُّز في القلب حزاً، تصيب القلب في أعماقه، إذا كان لنا قلوب.

أحدث المآسي - وليس بحديثة - هي مؤساة مسجد «بابري» بالهند،
المسجد الذي هدمه الهنود عباد البقر وعباد الأصنام، على مرأى
ومسمع من مليار وربع مليار أو أكثر، من المسلمين في أنحاء العالم،
سمعنا الخبر بأذاننا وشاهدناه بأبصارنا في التليفزيون.

كان المسلمون قدِّيماً تحدث لهم مأسٍ، وقلماً يعرفون عنها إلا بعد
أن تحدث بمدة، لم يكن هذا التواصل العالمي.

هدم المسجد الذي صار له خمسة قرون، بناء ذلك السلطان المسلم
العظيم «ظهير الدين بابر» أحد ملوك المسلمين العظام في الهند، وأحد
أولئك الأبطال الذين تركوا بصماتهم على تاريخ الهند.

كان هناك السلطان محمود الغزنوي، والسلطان شهاب الدين الغوري،
وهذا السلطان «ظهير الدين بابر التيموري» المنسوب إلى تيمورلنك.

من روائع هذا الدين:

من روائع هذا الدين أنَّ التتار «المغول» الَّذين قضوا على الخلافة العباسية في بغداد، وأسالوا الدماء أنهاراً، حتَّى كانت تسيل من الميازيب، هؤلاء انتصر الإسلام عليهم بعد ذلك مرتين: انتصر عليهم عسكريًّا في «عين جالوت» بقيادة سيف الدين قطز وجيش مصر، وانتصر عليهم معنوًّا حين دخلوا في دين الله مختارين.

في أول الأمر لم يكونوا حسني الإسلام، ثمَّ حسن إسلامهم، وكان لهم دور في تاريخ الإسلام وخصوصًا في الهند.

حكموا الهند قرونًا، فتركوا فيها آثارهم، هم الَّذين أدخلوا إلى الهند ما لم يكن معروفاً في ذلك الوقت.

معظم الآثار الَّتي تفخر بها الهند وتعتبرها من معالم حضارتها، ومن آثار عمرانها ومدنيتها، ومن جاذبات السياحة الَّتي تجذب إليها الناس من شرق وغرب: تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع^(١)، والقلعة الحمراء، ومنارة قطب الدين في دلهي^(٢)، والمنارات الأربع في حيدر آباد، وغيرها وغيرها، هذه الآثار والمعالم كلُّها إسلامية.

المسلمون في الهند تركوا آثاراً دالة عليهم، كانت الهند في عزلة عن العالم، لا تأخذ من العالم شيئاً ولا تعطي شيئاً، المسلمين هم الَّذين وصلوها بالعالم.

(١) بناه الملك «شاه جهان» أحد ملوك الهند، وأراد به تخليد ذكرى زوجته «ممتناز محل» التي لم يكن لحسنها نظير في الحسن، ولا لحبه إياها مثيل في الحب.

(٢) كان قائداً للسلطان شهاب الدين الغوري الذي ملك شمال الهند، ثم ولـي الملك من بعده، وهو الذي فتح «دلهي» وبنـى فيها منارته المشهورة التي يقف اليـوم أمام عظمتها كل سائـح يـرد الهند.

كانت في حالة خمود وركود، المسلمين هم الذين حرّكواها، هم الذين أحيوا الزراعة، وحفروا القنوات، وصنعوا البرك، وأدخلوا كثيراً من أنواع المزروعات والزهور، وجمّلوا الحياة، وأنشأوا الحدائق، وبنوا المساجد، وأسسوا المدارس والمعاهد.

اعترف بذلك المؤرخون الهنود أنفسهم والمؤرخون العالميون، «جواهر نهر» اعترف بفضل المسلمين على الحياة الثقافية والاجتماعية في الهند.

هذا المجتمع الذي يعيش على نظام الطبقات: ما بين البراهمة الذين خلقوا من فم الإله، والمنبوذين الذين خلقوا من أقدام الإله، أو لم يخلقوا من الإله قط!

عرف الهنود المساواة الحقيقية حينما دخل الإسلام الهند، مستهم نفحة من التوحيد فدخل الملايين وعشرات الملايين في الإسلام مختارين.

الإسلام هو الذي عرّفهم الحياة الاجتماعية، عرّفهم كيف يحترمون المرأة، وقد كانت المرأة عندهم شيئاً من الأشياء، أو متاعاً من الأمتعة، كما هي نظرة الجاهليات عموماً للمرأة.

صنع الإسلام الكثير بالنسبة للهنود، وكان من الذين أثروا في تاريخ الهند هذا الرجل باني هذا المسجد، الذي حاول أن يجمع أمراء المسلمين، فقد أراد بعض ملوك الهندوس المشركين أن يفرقوا بين المسلمين: بأن يتولوا بعضهم، ويعادوا بعضهم، ويضربوا بعضهم ببعض، فوقف هذا الملك العظيم ضد هذه التفرقة، وحاول أن يجمع المسلمين، وانتصر على الخونة من أمراء المسلمين.



لذلك تجمَّع كُلُّ ملوك الشُّرك على «ظهير الدين بابر» ليقتلعوا جذوره، ولكن الرجل أبى إِلَّا أن يقاتل، وجمع رجاله وقال لهم: هل تبايعونني على أحد أمرین: النصر أو الشهادة؟ - البيعة الَّتِي بايع عليها النَّبِيَّ ﷺ أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان - قالوا: نبايعك، فوضع المصحف، وكان هو أَوْلُ من أَقْسَمَ عليه، وأَوْلُ من بايع، وبايده رجاله وجنوده، وقد نصرهم الله على الشُّرك.

وكان من الإصلاحات العظيمة الَّتِي صنعها ومن مشروعاته الكبيرة: بناء هذا المسجد «مسجد بابري» نسبة إلى «ظهير الدين بابر».

ولذلك فالمسألة ليست في أَنْ هناك معبدًا يريدون أن يقيموه، هذه خرافة، أسطورة، المؤرخون المحققون قالوا: لم يكن هناك معبد، هذه أسطورة، كالتي تشييع أحياناً في بعض قرى الريف، ويقول بعض الناس: قد جاءني في المنام من يقول: إن في الحقل الفلاني أو الغيط الفلاني قبر ولد من الأولياء، ويذهب بعض الجهلة والغوغاء ليقيموا قبراً على شيء لا حقيقة له، إِنَّه وهم من الأوهام، وأسطورة من الأساطير.

ومع هذا فالواقع يفرض نفسه، وهذا مسجد للمسلمين صار له قرون يصلون فيه ويقيمون فيه الجُمُع والجماعات، وتقام فيه الدروس، وتخطب فيه الخطب، فكيف يُهدم والمسلمون يرون ويسمعون ويشاهدون؟ ما الَّذِي حدث؟!

لقد عرفنا أَنَّ مسجداً يمكن أن يُهدم وال Herb قائمة، وروح الحرب دائرة، تنزل عليه قنبلة تهدمه أو نحو ذلك.

يمكن أَنْ ينزع ناس من منطقة، فيتركوا مسجدهم؛ فيحوله أعداؤهم

إلى متحف من المتاحف، أو إلى كنيسة من الكنائس، كما صُنعت بمساجد المسلمين في الأندلس، بعد أنْ أجبر المسلمون على التنصير أو الهجرة أو القتل - يختارون إحدى هذه الثلاث - فتركوا مساجد عامرة وجوامع شامخة، فمنها ما حُول إلى متحف، أو حُول إلى كنائس، أو حُول إلى أشياء أخرى.

رحم الله أبو البقاء الرِّندي الذي رثى الأندلس بعد سقوط غرناطة - آخر مدن الأندلس - في قصيده الشهيرة، التي ينبغي أن يحفظها أبناء المسلمين ويتغنو بها، حينما قال:

فلا يغر بطيب العيش إنسان
من سرّه زمانٌ ساءته أزمانٌ

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ
تلك الأمور كما شاهدتها دولٌ

إلى أن قال:

كما بكى لفارق الإلف هيماً
حتى المنابر ترثي وهي عيدانٌ
قد أفترت ولها بالكفر عمرانٌ
فيهن إلّا نوقيسٌ وصلبانٌ
إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانٌ^(١)

تبكي الحنيفةُ الغراءُ من أسفٍ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
على بلادِ من الإسلام خاليةٌ
حيثُ المساجد قد صارت كنائسَ ما
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ

هذا ما رثاه أبو البقاء الرِّندي عن مساجد الأندلس، وقد قُتل أهلوها أو هُجروا، أو أجبروا على التنصير الظاهري في أول الأمر، إلى أن تحول بمرور السنين إلى تنصير حقيقي، ثم ذهب الإسلام من تلك

(١) انظر: مجاني الأدب في حدائق العرب (٢٤٥/٥، ٢٤٦)، نشر مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.



البلاد الّتي عاش فيها أكثر من ثمانية قرون، وأقام المسلمون فيها
حضارة رفيعة البنیان!

أمّا مشكلتنا أو مأساتنا هذه، فهي مأساة مسجد أهله باقون لم
يرحلوا، وليس هناك حرب دائرة، ولا قبلة تسقط.

أن ينوي أناس ويصمّموا ليهدموا مسجد المسلمين، والمسلمون
أحياء ينظرون ويشهدون، هذا ما لم نره ولم نسمع به!

هذا تحدي لهذه الأمة، هذا اختبار لقوة هذه الأمة.

أهذه الأمة حيّة أم ميّة؟ أهذه الأمة نائمة أم يقضى؟ أهذه الأمة ساكنة
أم متحركة؟ أهذه الأمة تسمع أم بها صمم، تنظر أم بها عمى؟ ما الذي
يحدث؟!

ألف مليون أو يزيدون، بضع وأربعون دولة أو تزيد، ما بال هؤلاء لم
يتحرکوا كما ينبغي؟

احتتجوا، ولكنّه احتجاج هامس ضعيف خافت، نريد احتجاجاً جهيراً
صارخاً يُسمع الصم، إنَّ الهمس ينجم اليقظان، لكن الصراخ يوقف النائم.

لا نريد نوح الحمام، نريد زئير الأسود، نريد دويًا يملأ الآفاق،
ويُسمع هؤلاء الناس أنَّ المسلمين لا زالوا أحياء، وأنَّ المسلمين
لهمهم مُرّ، وأنَّ المسلمين يغضبون لمقدساتهم، وأنَّ المسلمين
يحمون حرماتهم.

لا بدَّ من هذا الدوى الإسلامي، أمّا أن تحدث احتجاجات متفرقة
متناشرة حبيبة خجولة، فهيهات أن يكون لها صدى.

لماذا لا يجتمع المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا يجتمع مؤتمر القمة؟

القضية اختبار لنا، والله لو سكتنا على ذلك لأمكن لليهود بعد ذلك أن يحطموا المسجد الأقصى، وهم يعرفون أن المسألة لا تعود أن تكون عدة احتجاجات، واحتجاجات ليست قوية كما ينبغي، ثم ينتهي الأمر!

الذين يدرسون ويقرؤون: يعرفون أن اليهود قد أصدروا خريطة لإسرائيل ليس فيها المسجد الأقصى، أي أن هذه هي خطتهم المستقبلية: أن تكون القدس بلا أقصى، وأن يبنوا هيكلهم المزعوم على أنقاض الأقصى، ولا نستبعد شيئاً من ذلك، كل الأمور التي استبعدها قامت وتحققت.

ما كان أحد يظن أن تقوم دولة لإسرائيل، رفضنا التقسيم، ورفضنا غير التقسيم، وبعد مدة من الزمن أصبحنا نقول: ليتنا قبلنا ما كان بالأمس وأول الأمس!

هذا اختبار لهذه الأمة، اختبار لقوتها، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين أشركوا، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين هادوا، وهناك حلف نجس دنس بين اليهود والذين أشركوا، وقد خبرنا القرآن أنهما أشد الناس عداوة للذين آمنوا: ﴿لَتَرَدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ إِيمَانُهُمْ أَلَّيْهُمْ وَالَّذِينَ أَشَرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

المئات الآن يُقتلون، أكثر من تسعمائة قتيل، وبعضهم يحرقون أحياء، ولا يتحرك أحد، يالله للمسلمين.

لو كان هذا المسجد بيعة يهودية، أو كنيسة نصرانية أو معبدًا مجوسيًا، أو أي شيء، لقامت له الدنيا ولم تقعده، أمّا نحن المسلمين فقد

أصبحت كل أمورنا هينة، هنا على الناس؛ لأننا هنا على أنفسنا، فهانت علينا مقدساتنا وحرماتنا.

الهندوس موجودون في بلاد المسلمين بالملايين، ويحولون المليارات إلى بلادهم من أيدي المسلمين، لتحول هناك إلى خناجر، وطلقات رصاص، وسفاكين تقتل المسلمين، وإلى فؤوس ومعاول تهدم مساجد المسلمين.

وطالما قلنا من قديم ما جاء في الحديث النبوى: «لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى»^(١).

حتى المسلم العاصي ينبغي إلا يأكل طعامك، فما بالك بالمشرك الذي لا يلتقي معك في شيء؟!

الإسلام أجاز للMuslim أن يتزوج الكتابية لضرورة أو حاجة معينة، ولكن لم يجز له أن يتزوج مشركة: ﴿وَلَا تنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنْنَ وَلَآمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُكُمْ وَلَا تنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَبْيَنُ لَهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومع هذا يدخل المسلمين هؤلاء إلى بيوتهم ويعايشونهم، يراوونهم ويغادونهم، ويصاحبونهم ويماسونهم!

لا بد أن يكون لنا وقفة، وقفـة مراجـعة أمام هذه القضايا.

(١) رواه أحمد (١١٣٣٧)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسنه الألباني في مشكاة المصاصيح (٥٠١٨)، عن أبي سعيد الخدري.

لَا بَدَّ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، يَسْعى بِذَمِّهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدْعُونَ مِنْ سُوَاهِمْ، وَأَنَّهُمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالْحَمْىِ وَالسَّهْرِ.

يُجَبُ أَنْ نَرَاجِعَ أَنفُسَنَا فِي مَوَاقِفَنَا مَعَ كُلِّ مَنْ يَعَادِيِ الْإِسْلَامَ، وَمَعَ كُلِّ مَنْ يَغْتَالَ حَرَماتَ الْمُسْلِمِينَ.

لَا بَدَّ مِنْ وَقْفَةٍ:

الْمُسْلِمُونَ مُتَهَمُونَ بِالتَّعَصُّبِ: الْمُسْلِمُونَ مُتَعَصِّبُونَ، الْمُسْلِمُونَ مُتَطَرِّفُونَ، الْمُسْلِمُونَ إِرْهَابِيونَ! وَالْمُسْلِمُونَ هُمُ الَّذِينَ يُذْبَحُونَ وَيُقْتَلُونَ، دَمَاؤُهُمْ تُسْفَكُ، وَأَعْرَاضُهُمْ تُهْتَكُ، وَحُرْمَاتُهُمْ تُنْهَتُكُ، وَمَسَاجِدُهُمْ تُدْمَرُ، وَبَيْوَتُهُمْ تُهْدَمُ.

هذا هو أمر المسلمين.

يُوْمَ مَلِكِ الْمُسْلِمِينَ الْهَنْدَ، وَيُوْمَ كَانُوا هُمْ حُكَّامَهَا، مَاذَا صَنَعُوا؟ عَاشُوا فِي غَايَةِ التَّسَامُحِ مَعَ الْفَئَاتِ الْأُخْرَى مِنَ الْهَنْدُوسِ وَالسِّيَخِ وَالْمَجُوسِ وَالْبُوَذِيْنِ.

كَانُوا أَكْرَمُ النَّاسِ مَعْهُمْ، وَأَعْدَلُ النَّاسِ مَعْهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ هُنَّا مَا يَفْرَضُهُمُ الْإِسْلَامُ.

الْمُسْلِمُونَ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا الإِنْجِلِيزَ، قَاتَلُوا الإِنْجِلِيزَ بِبِسَالَةَ، وَتَارِيخُ الْمُسْلِمِينَ فِي كَفَاحِ الْاسْتِعْمَارِ الإِنْجِلِيزِيِّ تَارِيخٌ مَشْهُودٌ.

لِلأسف نحن المسلمين قلما نقرأ التاريخ، وقلما نعرف تاريخ الأمة الإسلامية وخصوصاً بعد ظهور النزعـة القومـية، قلما نهـتم - نحن

العرب - بغير العرب، ولا نعرف ماذا صنع المسلمون الذين قاوموا الاستعمار الإنجليزي منذ السلطان «تیبو»، ذلك الرجل العظيم الذي قاوم الإنجليز إلى أن قُتل، وقد أبى إلا أن يُستشهد ولا يُؤسر، وقال كلمته الشهيرة: «لأن أحيا يوماً واحداً حياة الأسد خير من أن أحيا مائة سنة حياة الفئران»!

لم يُرد أن يكون جرداً أو أن يكون ابن آوى على حد تعبيره، وإنما أراد أن يعيشأسداً، إما أن يعيش عزيزاً، وإما أن يموت كريماً، وقد مات الإنجليز عرفوا هذا، ويوم قُتل السلطان «تیبو» قالوا: اليوم طابت لنا الهند.

وكان يمكن لهذا السلطان أن ينتصر على الإنجليز، وأن يهز مهم شر هزيمة، لو لا خيانة بعض الملوك من الهنودس ووقفهم بجوار الإنجليز المحتلين.

المسلمون ليسوا متعصبين، المسلمين متسامحون، وربما كانوا متسامحين في بعض الأحيان أكثر من اللازم.

لكن التعصب إنما هو من غير المسلمين، كل الفئات تتغصب ضد المسلمين، ويالي بعضها بعضاً إذا كان العدو هو الإسلام!

كثيراً ما يختلفون فيما بينهم، فإذا كان العدو المشترك هو الإسلام اتفقوا عليه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَيْرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَتَخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

فعلينا أن يوالى بعضاً، وأن يساند بعضاً، وأن يشد بعضاً أزر بعض؛ حتى لا نؤكل لقمة ساعنة؛ حتى لا تدوينا الأقدام؛ حتى لا يفترسنا أولئك الظلمة الطغاة.

كان الناس قديماً يقولون: «أذل من يهودي»، كان اليهودي يُضرب مثلاً في الذلة.

الآن كأنَّ المثل يقول: أذل من مسلمة! لأنَّ المسلمة تُنتهك حرمتها من صربي متواحش حاقد صليبي، ولا يغضب لها المسلمون، ولا تجد «معتصماً» يقول لمن نادته: واغوثاه، ليك يا أختاه!

والمساجد تُهدم ولا نجد الذي يغضب لحرمة الإسلام وقدسيات الإسلام.

أصبحنا أذلاء للأسف.

لِمَ هَذَا؟!

ما الذي جعلنا نذل ونستخذى ونحن خير أمَّةٍ أخرجت للناس، وعندنا مصادر القوَّة، وعندنا المقدرة أن نتبُّوا مكانتنا تحت الشمس؟

عندنا القوَّة المادِّيَّة، والقوَّة البشريَّة، والقوَّة الروحيَّة، عندنا كلُّ القوى التي تجعل مِنَّا أمَّةً عظيمة، لو أنا استفدت من إمكاناتنا وطاقتنا.

يكفي أن عندنا الإسلام، فهل نستمسك بهذه العروة الوثقى؟ وهل تجتمع كلمتنا عليها؟ وهل نعتص بحبل الله جمِيعاً ولا نتفرق؟



لقد فرّقتنا أهواء شتّى، ومصالح مختلفة، جعلتنا نرى هذه المآسي ولكننا مشغولون عنها، مشغولون عنها بأمور كثيرة: بحرب الأصوليين، بالنزاع الحدودي، بالقتال الكروي، بالملاهي، وبكذا وكذا.

أمور كثيرة شغلتنا عن أخطر القضايا وأعظم المآسي، التي ينبغي أن يعيش الناس لها وفيها صباح مساء، تورق عليهم ليلهم، وتنغص عليهم نهارهم.

أول ما نطلب من المسلم هنا: الوعي الذي ينگد عليه، نريد أن يحزن لمصاير المسلمين، لا ينبغي أن يضحك لنا سنُّ، لا ينبغي أن يتسم لنا ثغر، وهذه المآسي قائمة في حياة الأمة الإسلامية.

المشركون من قريش بعد أن هزموا في بدر، حرّموا على أنفسهم البكاء والنشيج والعويل، اعتبروا أنَّ هذا يخفف عنهم، قالوا: لا بكاء ولا نشيج ولا عويل حتّى نأخذ بثارنا.

خرج بعضهم فسمع من يقول شعراً ينشد فيه، فظنَّ أنه قد سمح بقول شعر، يرثون فيه الموتى ويبيكون عليهم، فقيل له: إنَّ فلاناً قد ندَّ بعيده فهو يقول الشعر يندب حظه في ضياع البعير، فقال: يبكي بعيداً ولا يبكي قتلانا^(١)!

فعل المشركون ذلك، ولا يبيحون لأنفسهم هذا التغني بشعر الحزن والبكاء؛ إلَّا بعد أن يأخذوا بالثار، وهذا ما فعلوه بعد أحد.

(١) القائل هو الأسود بن عبد المطلب، وكان ضرير البصر، وكان قد أصيب له ثلاثة من أبنائه يوم بدر. انظر: السيرة التَّبُوية لابن هشام (٦٤٨/١).

هذا موقف الناس الذين يريدن أن يعيشوا رجالاً أحراراً.

إنَّ مسجد بابري هذا اختبار للأمة الإسلامية: أتغار على حرماتها أم لا تغار؟

أستطيع أن تقول كلمة مسموعة، أم تكتفي بالهمس والقول الخافت، والاحتجاج المؤدب المهدب، الرفيق الرقيق، اللطيف الخفيف، إكراماً للهند الكبرى؟ الهند الصديقة؟

لا بدَّ أن يسمع الناس صراخنا وزئيرنا، ودوي أصواتنا من أجل حرماتنا، هذا ما يجب على الأمة الإسلامية، لا ينبغي أن نتهاون في حرماتنا، فتذهب كلُّ حرماتنا بعد ذلك؛ لأنَّ من فرَط في الصغير فرَط في الكبير!

المسألة ليست مسألة مسجد، يمكن أنْ يبني المسلمون مسجدهم، ويمكن أنْ تبني الحكومة الهندية مسجداً بعد ذلك، ولكن أنْ يهدم معلم من معالم المسلمين، ومسجد يتبعدون الله فيه صار له قرون، وتتحدى الأمة الإسلامية ولا تواجه هذا التحدي، هذا هو الخطر، الذي يمكن أن يحيط بهذه الأمة.

أيها الإخوة، إنَّ الإسلام هو عزنا في الدنيا، وسعادتنا في الآخرة.

ينبغي أن نستمسك بالإسلام، ونغار على كلِّ حرمات الإسلام، وعلى كلِّ مقدَّسات الإسلام.

لا بدَّ للمسلمين أن يقفوا كتلة واحدة أمام الباطل، وأمام الكفر الذي يستفزهم، ولا يبالي بهم، وكأنهم غثاء كغثاء السيل.



ندعو الأمة الإسلامية أن تستمسك بالإسلام وبُعْرِي الإسلام، وتتنادى فيما بينها؛ لتقف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، يشد بعضه ببعضًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولهم، فاستغفره إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد ورد أَنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إِلَّا استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي
فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتُنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةَ لَنَا
فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍ.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.



طاعون الهند

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

يشغل الناس في هذه الأيام حدث جلل، هو ذلك الطاعون الذي أصاب الناس في الهند، وأصبح يهدّد الآلاف بالموت السريع والمفاجئ.

وهذه إحدى العجائب التي يصنعها الله في هذا الكون، يسلط على الناس الأمراض والأوبئة، إذا أخلوا بسننه أو ابتعدوا عن تعاليمه، فسرعان ما تصيبهم الآفات، وتفتك بهم الأوبئة والأمراض.

عقوبة الفاحشة:

في أوربا وفي أمريكا وفي غيرهما عرف الناس مرض الإيدز، الذي يفتك بالملايين ويهدّد ملايين آخر، ولم يعرف الناس له علاجاً إلى اليوم.

هذا المرض أصاب الناس نتيجة البعد عن وحي السماء، وعن شرائع الأديان؛ نتيجة التحلل الجنسي؛ نتيجة الإباحية التي أحلو فيها الزنى الذي حرّمه الله، وحرّمته جميع الأديان، ولم يحرّمها الإسلام وحده، حتى

إِنَّ الْمُسِيحَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ قَالَ فِي الْإِنجِيلِ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَقُولُونَ: لَا تَرْزُنِ، وَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ نَظَرِ عَيْنِهِ فَقَدْ زُنِى»^(١).

وَهُوَ نَفْسُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْعَيْنَانُ تَرْزُنُانُ، وَالْيَدَانُ تَرْزُنُانُ، وَالرِّجْلَانُ تَرْزُنُانُ، وَالْفَرْجُ يَرْزُنُ»^(٢).

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَهِ مِنَ الرِّزْنَى، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزَنَ الْعَيْنَانُ النَّظَرَ، وَرَزَنَ الْلِّسَانَ الْمُنْطَقَ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشَتَّهَيْ، وَالْفَرْجُ يَصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُه»^(٣).

سُلْطَنُ اللَّهِ عَلَى هُؤُلَاءِ هَذَا «الْإِيدَرُ»، وَلَمْ يُسْتَطِعُوا أَنْ يَفْعُلُوا أَمَامَهُ شَيْئًا؛ رَغْمَ تَقْدُمِهِمْ فِي الْعِلُومِ الطَّبِيَّةِ وَالْأَدْوِيَّةِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا جَزَءٌ وَفَاقًا، لَمَّا انْهَرُوا عَنْ سُنْنِ الْفَطَرَةِ وَسُنْنِ اللَّهِ، وَأَبَاحُوا الرِّزْنَى وَأَبَاحُوا الشَّذُوذُ الْجَنْسِيِّ؛ أَنْ يَسْتَغْنِيَ الرَّجُالُ بِالرَّجُالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، بَلْ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُالُ الرَّجُالَ، وَتَتَزَوَّجَ النِّسَاءُ النِّسَاءَ! وَيَبْارِكُ ذَلِكَ بَعْضُ الْقَسِيسِ، وَتَعْقِدُ لَهُمُ الْكَنَائِسُ هَذِهِ الْعَقُودُ الْبَاطِلَةُ النَّجْسَةُ!

فَلَا غُرُورٌ أَنْ سُلْطَنُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَذَا الطَّاعُونُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ: «الْطَّاعُونُ الْأَبِيْضُ»، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمَاهُ «الْطَّاعُونُ» مِنْ قَدِيمٍ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ ماجِهِ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ:

(١) إِنْجِيلٌ مَتَّى (٢٩، ٢٨/٥).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٩١٢)، وَقَالَ مُخْرِجُوهُ: حَدِيثٌ صَحِيفٌ. وَالبَزَارُ (١٩٥٦)، وَأَبُو يَعْلَى (٥٣٦٤)، وَنَسْبَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمُوعِ الرَّوَائِدِ (١٠٥٤٣) إِلَى الطَّبَرَانِيِّ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَنَّ إِسْنَادَ البَزَارِ وَالطَّبَرَانِيِّ جَيْدٌ. عَنْ ابْنِ مُسْعُودٍ.

(٣) مَتَّفِقُ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي الْإِسْتِئْذَانِ (٦٢٤٣)، وَمُسْلِمٌ فِي الْقَدْرِ (٢٦٥٧)، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ.

«لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط، حتى يعلنوا بها؛ إلّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(١).

هذا ما حدث هناك.

والى يوم يحدث هذا الطاعون القديم الجديد، يحدث في الهند، والعجيب أن يصيب الهندوس ولا يصيب المسلمين!

ما السر في هذا؟

السر في هذا: أنَّ هذا مرض وبايٍ، سببه ميكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان، والهندوس في مذهب كثير منهم: أنَّهم لا يقتلون ذا روح، لا يقتلون فأراً ولا يقتلون برغوثاً.

الشيء الوحيد الذي يُباح قتله عندهم من ذوي الأرواح هم «المسلمون»! فهم يقتلون المسلمين في كشمير، وفي بابري، وفي بومباي وفي غيرها، أمّا تلك الأرواح من القوارض والحشرات فلا يجوز الاعتداء عليها!

وعندما كنت في الهند منذ سنوات ونزلت في فندق يملكه الهندوس، وهو من أكبر الفنادق في نيو دلهي، كان هناك بعض نشكو منه، وطلبنا منهم بعض المبيدات التي تقتل البعوض، فقالوا: هذا لا يوجد عندنا، ونحن لا نوزع هذه الأشياء؛ لأنَّ البعوض روح محترمة!

ومنذ مدة من الزمن أصابت الهند مجاعة؛ لأنَّ الفئران أكلت القمح، وطلبو المعونات، وجاءتهم المعونات من أمريكا وغيرها، ولكن وقف بعض الأعضاء في الكونجرس الأمريكي يقولون: لماذا نعين هؤلاء

(١) رواه ابن ماجه في الفتنة (٤٠١٩)، والحاكم في الفتنة والملاحم (٥٤٠/٤)، وصححه على شرط الشیخین، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحیحة (١٠٦).

النّاس، وهم لا يعيّنون أنفسهم؟! إنّهم تركوا الفئران تأكل القمّح؛ دون أن يبيدوها.

هذا ما يصنعه هؤلاء.

ولذلك لا عجب أن انتشر هذا الطاعون بينهم هذا الانتشار الفظيع، ولكن الخطر يمكن أن يضم الجميع: المسلمين وغيرهم، بسبب هذه البراغيث التي تنتقل من مكان إلى مكان.

هذا الطاعون مرض وبائي خطير، والنّبِي ﷺ جاء عنه في الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه»^(١).

لا تدخلوا فيها؛ حتّى لا تعرّضوا أنفسكم للهلاك؛ فالMuslim لا يجوز أن يضرّ نفسه، ولا أن يضارّ غيره: «وَلَا نَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩]، «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتَّلْكُثَةِ» [البقرة: ١٩٥]، «لا ضرر ولا ضرار»^(٢)، فلا يجوز أن يقحم Muslim نفسه في الخطر.

وكذلك ينبغي حصار المرض في أضيق نطاق، فلا يجوز أن يخرج الإنسان من القرية أو البلدة التي أصيّبت بهذا الداء.

لم يكن الأقدمون يعرفون السرّ في هذا، ولكن عرفنا ذلك ووجدناه من دلائل نبوة مُحَمَّد ﷺ: إنّ الإنسان قد يكون ظاهر الصحة في البلد الموبوء، وهو يحمل الميكروب ولا يدرّي ولا يشعر، فإذا انتقل إلى بلد

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٣)، ومسلم في السلام (٢٢١٨)، عن أسامة بن زيد.

(٢) سبق تخرّيجه ص ٣٥.



آخر أصاب الأصحاء، فلهذا طلب من الناس أن يبقوا في بلد الوباء، ولا يخرجوا منه.

ولكن هذا في القرية الموبوءة أو البلدة الموبوءة، أمّا الهند، وهي شبه قارة كبيرة، فيجوز للناس البعيدين عن هذا الوباء - من أهل الخليج وغيرهم - أن يعودوا إلى بلادهم؛ لأنّهم ليسوا في قرية الوباء، ويمكن أن يعرف: هل يحملون الميكروب أو لا؟ وأن يأخذوا الأمصال الوقية، قبل دخولهم إلى بلدانهم.

إنَّ الإسلام قد حافظ على صحة الإنسان، ولو أنَّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم وأحكام شرعهم لكانوا أصح الأمم أجساداً، وأقواهم أبداناً؛ لأنَّ تعاليم الإسلام تنشئ الصحة والعافية، تنشئ المؤمن القوي وهو «خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١).

إنَّ أول ما يدرس المسلم وأول ما تدرسه المسلمة من فقه الإسلام: «باب الطهارة»، أي: النَّظافة، الطهارة مفتاح الصلاة، كما أنَّ الصَّلاة مفتاح الجنة، الطهارة من الأحداث، والطهارة من الأخبات.

والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل.

وهناك أسباب موجبة للغسل، وأسباب يندب من أجلها الغسل.

وينبغي للمسلم أن يغتسل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ إذا وجد بدنـه عرقاناً أو مُتسخاً، وخصوصاً عندما يلتقي بالأخرين، ولهذا جاء في الحديث: «غسل يوم الجمعة واجب على كلّ محتمل»^(٢).

(١) سبق تخریجه ص ٣١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٥٨)، ومسلم في الجمعة (٨٤٦)، عن أبي سعيد الخدري.

وفي الحديث الآخر: «حق الله على كل مسلم: أن يغسل في كل سبعة أيام يوماً، يغسل فيه رأسه وجسده»^(١)، يجب على المسلم أن يغسل رأسه وجسده في الأسبوع مرّة، كحد أدنى.

هذا ما عرفه المسلمون في وقت كان الرهبان النصارى في أوربا يعتبرون النّظافة ممّا يبعد عن الله! ويعتبرون القذارة ممّا يقرّب إلى الله! حتى إنَّ بعضهم مدح أحد الرهبان فقال: إِنَّه عاش طول عمره ولم يقترف إِثْم غسل الرجلين!

وقال: لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم عمره، ولا يبل أطرافه بالماء، ولكنَّا وأسفاه أصبحنا في زمن يدخل فيه النّاس الحمامات^(٢)!

وإنَّما دخل النّاس هناك في أوربا الحمامات عدوى من المسلمين، انتقلت إليهم من قرطبة وغرناطة والأندلس وغيرها.

الإسلام يعتبر الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخبات - طهارة الثوب، والبدن، والمكان - من شروط صحة الصلاة، وشاع عند المسلمين هذه الكلمة التي لم تشع عند أمّة من الأمم: «النّظافة من الإيمان»، وهي مقتبسة من حديث في «صحيح مسلم»: «الظهور شَطَر الإيمان»^(٣)، أي: الطهارة نصف الإيمان، وهي تشمل: طهارة البدن وطهارة القلب، الطهارة المادّية والطهارة المعنوية.

الإسلام جاء وشرع الطهارة والنّظافة: نظافة الإنسان كُلُّه بالغسل.

(١) سبق تخریجه ص ٣٣.

(٢) سبق تخریجه ص ٣٤.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

نظافة الأعضاء التي تتعرض للأتربة وللاتساح بالوضوء.

نظافة الشعر: «من كان له شعر فليُنْكِرْهُ»^(١).

نظافة الفم والأسنان: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»^(٢).

نظافة الأنف بالاستنشاق، فقد شرع في الوضوء المضمضة والاستنشاق، وهما من فرائض الوضوء في مذهب الإمام أحمد.

الطهارة للإنسان كله، والنّظافة للإنسان كله.

وشرع مع ذلك نظافة البيت: «نظفوا أنفيتكم ولا تشبهوا باليهود»^(٣).

وشرع نظافة الطريق: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»^(٤).

ولهذا اعتبر إماتة الأذى من الطريق صدقة^(٥); فكل ما يؤذى الناس - ولو بالرائحة الكريهة - يجب أن يزال.

ومنع النبي ﷺ البول في الماء الراكد أو الماء الدائم، ونهى عن الاغتسال فيه، ونهى عن البول أو التبرز في الماء، أو في موارد الماء، أو

(١) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٣٦٥)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وصححه الألباني في الصحيفة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

(٢) علقة البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال محرّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

(٣) رواه الترمذى في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالفه بن إلیاس يضعف. والبزار (١١١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٤) رواه الطبراني (١٧٩/٣)، وحسن إسناده المتذرى في الترغيب والترهيب (٢٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٢٣)، عن حذيفة بن أسيد.

(٥) أورد الحافظ المتذرى في الترغيب والترهيب عدداً من الأحاديث الدالة على ذلك، فلتراجع في كتاب الأدب، باب الترغيب في إماتة الأذى عن الطريق.

في الطريق، أو في الظل، واعتبر هذا من الملاعن، أي: التي تجلب لعنة الله ولعنة الناس على فاعله.

هذا جاء الإسلام بالنظافة، وهي من أهم أسباب الوقاية.

وجاء الإسلام يدعو المسلمين إلى الحركة وإلى النشاط، ويستعيد بالله من العجز والكسل، هكذا كان النبي ﷺ يستعيد بالله منهما^(١)، ويعلم أصحابه أن يستعيدوا منهما.

واعتبر من خصائص المسلم الملائم أنه إذا أصبح، أصبح طيب النفس نشيطاً، أمّا غيره فيصبح خبيث النفس كسلان^(٢).

ودعا إلى البكور: «اللهم بارك لأمتى في بكورها»^(٣); ليتلقى الإنسان الصباح طيباً من يد الله تعالى، قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، ويتلقى هذا النسيم المبارك من بدء اليوم.

جاء الإسلام ودعا إلى هذا كله.

ودعا إلى أن يداوي الإنسان نفسه إذا مرض، والنبي ﷺ تداوى، وأمر أصحابه بالتداوي، وحينما سأله الأعراب: أنتداوى يا رسول الله؟

(١) كما في الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». متافق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، عن أنس.

(٢) متافق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذمي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

قال: «نعم، يا عباد الله، تداووا؛ فإنَّ الله ما وضع داء إلَّا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»^(١).

وضع النَّبِي ﷺ مبادئ خالدة هي تعتبر حجر الأساس لقيام صرح طبي سليم مشيد على أساس قوية.

النَّبِي ﷺ قرَرَ حقَّ البدن بعبارات صريحة تُسمع لأَوْلَى مرَّة في جو الدين، كان النَّاس يعتقدون أنَّ البدن هذا ينبغي أن يُعذَّب حتى تصفو الروح.

هذا ما عرفته الأديان والفلسفات السابقة: المانوية في فارس، والبُوديَّة في الصين، والبرهمية في الهند، والرواقية في اليونان، والرهبانية عند النصارى، كلُّ هؤلاء جاروا على حقِّ الجسم؛ بدعوى الرقي بالروح!

ولكن الإسلام حافظ على الجسم، ونهى عن إرهاقه بأي وسيلة من الوسائل، ولو كان بالعبادة.

وحينما بالغ أحد الصحابة في عبادة الله، وصام النَّهار وقام الليل باستمرار، جاء به النَّبِي ﷺ ووقفه عند حد الاعتدال، وقال عبد الله بن عمرو: «صم وأفطر، وقم ونم؛ فإنَّ لجسده عليك حقًا (أي: في الراحة)، وإنَّ لعينك عليك حقًا (أي: في النَّوم)، وإنَّ لزوجك عليك حقًا (أي: في الإمتاع والمؤانسة)، وإنَّ لزورك (زوارك من المجتمع) عليك حقًا (أي:

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال محرر جوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذى (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. وأبن ماجه (٣٤٣٦)، والحاكم (٣٩٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، أربعتهم في الطب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠)، عن أسامة بن شريك.

في الإكرام والمشاركة)، وإن بحسبك أن تصوم كلَّ شهر ثلاثة أيام، فإنَّ لك بكلِّ حسنة عشر أمثالها^(١).

«فإنَّ لجسده عليك حقًا». كلمة جديدة في ظلِّ الدين، لم يسمع الناس مثلها من قبل، فلا يجوز أن يُرهق البدن، ولا يجوز أن يُجار عليه لأي سبب. ولهذا شرع الإسلام الرُّخص والتخفيفات، إذا كان الصوم يضرك فأفطر، المرض سبب للرخصة، والسفر سبب للرخصة «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَدَّهُ مِنْ أَيْمَانِ أُخَرَ» [البقرة: ١٨٥].

ويُكره الصوم، بل ربما يحرم إذا كان السفر شاقًا، وحينما رأى النبي ﷺ رجلاً قد ظللَ عليه، والناس يرشون عليه الماء، وسأل عنه. قالوا: يا رسول الله، صائم. قال: «ليس من البر الصيام في السفر»^(٢)، أي: في مثل هذا السفر الشاق.

ورأى أيضًا رجلاً يهادى بين ولديه، يعتمد عليهما لا يقدر على المشي وحده، فسأل عنه، قالوا: نذر أن يحج ماشياً. فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَنِ تَعذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغْنِي»^(٣). وأمره أن يركب.

هكذا حافظ الإسلام على الجسد الإنساني؛ لأنَّه مطية الإنسان لأداء واجباته الدينية والدنيوية، فله حقٌّ: «فإنَّ لجسده عليك حقًا»^(٤)، عليك حقٌّ لهذا البدن: أن تطعمه إذا جاع، وترويه إذا عطش، وتريحه إذا تعب، وتنظفه إذا اتسخ، وتداويه إذا مرض.

هذا أول مبدأ أقرَّه النبي ﷺ في الجانب الصحي والطبي.

(١) سبق تخریجه ص ٣٢.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاماً في الصوم، عن جابر بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٦٥)، ومسلم في النذر (١٦٤٢)، عن أنس.

(٤) سبق تخریجه ص ٣٢.



إقرار سنة الله في العدوى:

من ناحية أخرى، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْرَرَ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْعُدُوِّيِّ.

العدوى سُنَّةٌ مِّنْ سُنَّةِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «فِرْ مِنْ الْمَجْذُومِ فَرَارُكَ مِنَ الْأَسْدِ»^(١).

وَجَاءَ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فِي بَعْضِ الْوَفُودِ يُرِيدُ أَنْ يَبَايِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ ﷺ: «قَدْ بَايِعْتَنَاكَ»^(٢)، وَلَمْ يَضْعِفْ يَدَهُ فِي يَدِهِ؛ لِيَقْرَرَ هَذِهِ السُّنَّةَ.

بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَقْرَرَ هَذِهِ السُّنَّةَ بَيْنَ الْحَيَوانَاتِ وَقَالَ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»^(٣).

الْمُمْرِضُ: صَاحِبُ الْإِبْلِ الْمَرَاضِ بِمَرْضِ الْجَرْبِ، وَالْمُصِحُّ: صَاحِبُ الْإِبْلِ الصَّحَّاحِ.

وَالْإِبْلُ حِينَما تلتقي عند موارد المياه تترافق، ويتحتك بعضها ببعض، فيعدي بعضها بعضاً، وفي هذا إِيذاء لَهُذَا الْحَيَوانِ مِنْ نَاحِيَّةِ، وَمِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى خسارة مادِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ مَالٌ لِلْإِنْسَانِ.

وَلِهَذَا قَالَ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، صَاحِبُ الْإِبْلِ الْمَرَاضِ يَنْتَظِرُ حَتَّى يَسْقِي الْمُصِحَّ إِبْلَهُ، ثُمَّ يُورِدُ إِبْلَهُ الْمَرِيضَةَ دُونَ أَنْ تَخْتَلِطَ بِالْإِبْلِ الْأُخْرَى.

هَذَا مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ.

(١) رواه أحمد (٩٧٢٢)، وقال مخرجوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف. والبخاري تعليقاً (٥٧٠٧) مجزوئاً به، والبيهقي في النكاح (١٣٥/٧)، وصححه الألباني في الصحيحه (٧٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٣١)، وأحمد (١٩٤٧٤)، عن الشريذ الثقفي.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الطه (٥٧٧٠، ٥٧٧١)، ومسلم في السلام (٢٢٢١)، عن أبي هريرة.

الإسلام يقف في وجه المدعين في قضية الطب:

جاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِقولِهِ: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طَبٌ؛ فَهُوَ ضَامِنٌ»^(١)، أيَّ أَنَّهُ لَمْ يُفْتَحْ الْبَابُ لِكُلِّ مَنْ يَدْعُونَ أَنَّهُ طَبِيبٌ، إِذَا لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ الطَّبُ، وَأَنَّهُ مُخْتَصٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَهُوَ ضَامِنٌ إِذَا أَصَابَ إِنْسَانًا بِشَيْءٍ.

فوقَفَ ضَدَّ الدُّجَالِينَ، وَضَدَّ الْمَدْعِينَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

كَذَلِكَ قَاتَمَ الْإِسْلَامَ الطَّبَ الَّذِي يُسَمِّيهُ بَعْضُهُمْ: «الْطَّبُ الرُّوحَانِيُّ» الْقَائِمُ عَلَى التَّمَائِمِ وَالْكَهَانَةِ وَالْوَدَعَ، وَرَفَضَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَاعْتَبَرَهَا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْ ضَرُوبِ الشَّرِكَ: «إِنَّ الرُّقْبَى وَالْتَّمَائِمَ وَالْتَّوْلَةَ شِرِكٌ»^(٢)، «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشَرِكَ»^(٣)، «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَّ إِلَيْهِ»^(٤).

لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلُقَ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ: الْخَرَزَاتُ وَالْأَحْجَبَةُ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَعْلُقُهَا النَّاسُ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَأَجَازَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ^(٥).

(١) رواه أبو داود في الديات (٤٥٨٦)، والنسائي في القسام (٤٨٣٠)، وابن ماجه في الطب (٣٤٦٦)، والحاكم في الطب (٢١٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيح (٦٣٥)، عن عبد الله بن عمرو. ومعناه: أن من تعاطى الطب ولم يسبق له تجربة فهو ضامن لمن طبَه بالدُّيَةِ إِنْ مات بِسَبِيلِهِ؛ لتهوره بِإِقدامِهِ عَلَى مَا يَقْتَلُ.

(٢) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥). عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرجوه: إسناده قويٌّ. وصححه الألباني في الصحيح (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٤) رواه أحمد (١٨٧٨١)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والترمذى في الطب (٢٠٧٢)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠٧٩)، عن عبد الله بن حكيم.

(٥) انظر كتابنا: حقيقة التوحيد صـ ٥٣ - ٥٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.



إِنَّمَا تشرع الرُّقَى - والرُّقَى دعاء ورجاء إلى الله - ترقى المريض وتقول له ثلث مرات: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهَبْ الْبَأْسَ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شَفَاءَ إِلَّا شَفَاؤُكَ»^(١).

أو يقول: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُشْفِيكَ»، سبع مرات^(٢).

فهذا لا بأس به؛ لأنَّه دعاء إلى الله.

والمسلم يجمع بين الدواء المادي، والدواء الروحي، فهو يدعو الله تعالى، ولكنَّه يحترم الأسباب والأسبابات.

التداوي والإيمان بالقدر:

مما وضعه النَّبِيُّ ﷺ من المبادئ المهمة أنَّه حل مشكلة «الإيمان بالقدر»؛ فقد كان في أذهان النَّاسِ وفي أوهامهم أنَّ التداوي ضد التوكل^(٣) ضد الإيمان بالقدر والرضى بالقدر، فإذا أصاب الإنسان مرض فعلية أن يستسلم له ويرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء، ولا يستعمل الدواء!

ولذلك عندما سُئل النَّبِيُّ ﷺ: يا رسول الله، أرأيت رُقَى نسترقِيها، ودواء نتداوِيه، وتقاة نتقيقها: هل تردد من قدر الله شيئاً؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٥٠)، ومسلم في السلام (٢١٩١)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٢١٣٧)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجنائز (٣١٠٦)، والترمذى في الطب (٢٠٨٣) وقال: حسن غريب. والحاكم في الطهارة (٣٤٢/١)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. وصحح إسناده ابن حجر في نتائج الأفكار (١٨٤/٤)، عن ابن عباس.

(٣) من أراد التوسيع في هذا فليراجع كتابنا: التوكل ص ٧٥ - ٩٤، الفصل الخامس، نشر مكتبة وهبة، ط ٧، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

قال: «هي من قدر الله»^(١).

الأدوية التي تتداوون بها، والأسباب التي تتقون بها الأمراض هي من قدر الله، فكما أنَّ الله قدَّر المرض قدَّر الدواء، هذا من قدره.

وال المسلم الفقيه هو الذي يدفع قدر الله بقدر الله، يدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، ويدفع قدر العطش بقدر الشرب من الماء، ويدفع قدر الداء بقدر تناول الدواء.

وعندما ذهب سيدنا عمر في خلافته إلى الشام، قيل له - قبل أن يدخل الشام - : يا أمير المؤمنين، إنَّ هناك طاعونًا انتشر في بلاد الشام.

هنا وقف عمر يفكِّر ماذا يصنع؟ أيخاطر بأصحابه أصحاب النبي ﷺ ويدخل هذه البلاد الموبوءة، ويعرضهم للخطر؟ أم يرجع؟ واستشار الناس فاختلفوا عليه.

ولكنَّه بنور بصيرته وفقهه الراشد، وفهمه السديد للإسلام: صمَّ على أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح - أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة - : يا أمير المؤمنين، أتفر من قدر الله؟

قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، ما كنت أنتظر من مثلك أن يقول هذه الكلمة، نعم نفُر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان معك إبل ونزلت واديين أحدهما مخصب والآخر مجذب، أليس إن رعيت المجذب رعيته بقدر الله، وإن رعيت المخصب رعيته بقدر الله؟!

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف، على خطأ فيه. والترمذى (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاما في الطب، وحسنه الألبانى في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.



فَأَنْتَ تُرْكِ الْمَجْدِبِ وَتَرْعِي الْمَخْصُبَ (أَيْ: تَغْلِبُ قَدْرًا عَلَى قَدْرٍ).

وهذا من فقه عمر رضي الله عنه.

ثُمَّ جاء عبد الرحمن بن عوف - وكان غائباً - فقال له: إن عندي علمًا من رسول الله صلوات الله عليه وسلم في هذا الأمر، وقضى عليه الحديث: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فَرَارًا مِنْهُ»^(١).

فعرف عمر أَنَّهُ وُفِّقَ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ، وَقَدْ كَانَ مُوْفَّقًا، وَكَثِيرًا مَا نَزَلَ القرآن بِمَوْافِقَتِه.

حلَّ الرسول مشكلة الإيمان بالقدر؛ حينما قال عن الأدوية: هي من قدر الله.

تشريع الشخص من أجل سلامته البدن:

وشرع النبي صلوات الله عليه وسلم الرُّخْصَ والتخفيفات، وحرَّم كلَّ ما يؤذِي البدن كـ المسكرات والمخدّرات، حتَّى الإسراف في الطعام أو في الشراب **﴿وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأعراف: ٣١]، «ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنِه، بحسب ابن آدم أكيالاتٌ يُقْمنَ صُلْبَه، فإنْ كانَ لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفْسِه»^(٢).

كُلُّ هذا حماية لبدن الإنسان أن يُصاب؛ وهو عدة الإنسان ومطيته، في رعاية الحقوق وأداء الواجبات.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في الآداب (٢٢١٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال مخرجوه: رجاله ثقات، غير أنَّ يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدام، فإنَّ صَحَّ سَمَاعَهُ مِنْهُ فَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، وَإِلَّا فَمُنْقَطِعٌ. والترمذمي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٣٣١/٤)، وصححه الذهببي، ووافقه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصححه الألباني في الصحيح (٢٢٦٥)، عن المقدام بن معديكرب.

هذا ما جاء به النَّبِيُّ ﷺ، جاء بكلِّ ما يحفظ البدن، كما جاء بكلِّ ما يحفظ العقل والروح.

واشتكى إليه بعض أصحابه، ممن كانوا مع عمرو بن العاص في إحدى الغزوات، وقالوا: يا رسول الله، صلَّى بنا وهو جُنب!

فسأل النَّبِيُّ عَمْرًا، فقال: يا رسول الله، كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وتذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فتبسم النَّبِيُّ ﷺ.

معنى هذا أَنَّه أَقَرَّ فعل عمرو.

على حين أنكر على جماعة آخرين أفتوا رجلاً من الصَّحابة - أصابته جراحة - أن يغتسل رغم جراحته!

فاغتسل فتفاقم عليه الجرح، وتضاعفت عليه الآثار، حتى مات بسبب هذا الغسل وهو جريح.

فلما بلغ ذلك النَّبِيُّ ﷺ قال: «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألو إِذ لم يعلموا، وإنَّما شفاء العِيَّ السُّؤال، إنَّما كان يكفيه أن يَعْصِبَ عَلَى جُرْحِه وَيَتِيمَّم»^(٢).

(١) رواه أحمد (١٧٨١٢)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٣٤)، وعلقه البخاري مختصراً قبل الحديث (٣٤٥)، وصححه التَّنووي في المجموع (٢٢٠/٢)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه أبو داود في الطهارة (٣٣٦)، والدارقطني في الطهارة (٧٢٩)، ونقل عن شيخه فيه أبي بكر بن أبي داود قوله: هذه سنة تفرد بها أهل مكة، وحملها أهل الجزيرة. لم يروه عن عطاء، عن جابر، غير الزبير بن خريق، وليس بالقوى. وخالقه الأوزاعي فرواه عن عطاء، عن ابن عباس، وهو الصواب. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٦٤)، دون قوله: «إنَّما كان يكفيه...».



اعتبرهم قتلة، ودعا عليهم؛ لأنّهم أفتوا بحراة في أمر لا يعلّمونه، كان يجب أنْ يسألوا إذا لم يعلّموا؛ فإنّما شفاء العيّن السؤال.

إنَّ الإسلام قد جاء بهذه المبادئ لإرساء دعائم طب علمي موضوعي قائم على أساس صحيح، وجاء كذلك بالطب الوقائي الذي يقوم على أسباب الوقاية من الأمراض.

فلو أنَّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم، واتبعوا أحكام ربِّهم في رعاية هذا الجسم الذي هو هبة من الله تعالى لنا، ونعمّة منه علينا، ووديعة منه لدينا، لكانوا أصحَّ الأمم وأقواها أجسامًا.

لكل داء دواء:

ينبغي للMuslimين أنْ يحفظوا هذه الأجسام بحفظهم لتعاليم وحي السماء، التي فيها وحدها الشفاء من كل داء، لقد علّمنا النبي ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهَلَهُ»^(١).

وقال: «لكل داء دواء، فإذا أصيّب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»^(٢).

وبهذا فتح أبواب الأمل أمام الأطباء، وأمام المرضى؛ ليفتّشوا عن أدوية الأمراض، التي يعتقد الناس أنّها مستعصية، وأنّها مُعضلة، وأنّه لا علاج لها.

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحّه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧)، عن جابر.

هناك علاج، وهناك دواء، ولكن لم يهتدِ إليه الإنسان، ولا بدَّ أن يسعى للبحث عن هذا الدواء، وهو واصلٌ إليه إذا وفَّقه اللهُ الَّذِي ﴿عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾ [العلق: ٥].

فتح الإسلام أمام الأطباء وأمام المرضى بباب الأمل، وباب الرجاء واسعًا ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُنَّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

كذلك ربط الإسلام بين صحة الجسم وصحة النَّفس، ولا يصحّح النَّفس ويضمن لها السَّلامَة، مثل الإيمان بالله وبالدار الآخرة وبقدَر الله تعالى، ومثل التَّزامُ أحْكَامَ الشَّرْعِ، فهذه وحدتها هي الَّتِي تعطِي الإنسان العافية النَّفْسِيَّة، مع العافية البدنية.

وخير ما يُعطِاهُ الإنسان هي هذه العافية: صحة البدن، وصحة النَّفس، وهي أَجْلُ النَّعْمَ على الإطلاق كما يقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

ويقول فَلِتَسْلَمُوا فيما رواه الترمذى: «من أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ، معاً في جسدهِ، عندهِ قوت يومهِ، فـكأنَّما حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بـحـدـافـيرـهـا» (٢).

من أعطِيَ الأمان والعافية في نفسه وفي جماعتهِ، والقوتُ اليوميُّ المنتظم ولو بالقليل، فـكأنَّما حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بـحـدـافـيرـهـا.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَّةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعَطِّ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَّةِ» (٣).

(١) انظر: زاد المعاد (٤/١٩٦)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢) سبق تخریجه ص ٣٢.

(٣) سبق تخریجه ص ٣٣.



ولذلك شرع الإسلام أن نقول في القنوت: «وعافني فيمن عافيت»^(١).
وأن نقول بين السجدين: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني،
واهدني، وارزقني»^(٢).

وأن نقول في الأدعية المأثورة: «اللهم إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايِّ وَأَهْلِيِّ وَمَالِيِّ، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عُورَاتِي، وَآمِنْ رُوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيِّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شَمَالِيِّ، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٣).

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *



(١) سبق تخریجه ص ٣٣.

(٢) سبق تخریجه ص ٣٣.

(٣) رواه أحمد (٤٧٨٥)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو داود في الأدب (٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٢٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٧١)، والحاكم في الدعاء (٥١٧/١) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.

مشاهداتي في الهند

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

كنتُ في زيارة للهند^(١)، زيارة جامعاتها ومؤسساتها العلمية والدينية، وبقيت أسبوعين في تلك البلاد الواسعة الشاسعة، ومن حقكم أن تعرفوا شيئاً عن الهند، أو عن مسلمي الهند؛ فلا يجوز للمسلم أن يجهل حال أخيه المسلم.

المسلمون أمّة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدُّ على من سواهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فهل يصح لأخ أن يجهل أحوال أخي؟ ما يجوز هذا.

والحديث الشريف يقول: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويسمى ناصحاً لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامة المسلمين، فليس منهم»^(٢).

(١) كان ذلك في شهر جمادى الثانية ١٤١٧هـ - أكتوبر ١٩٩٦م.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، وفي الأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد =



فينبغي أن نهتم بأمر إخوتنا المسلمين في أنحاء الأرض، ومن هؤلاء المسلمين: إخوتنا في الهند.

والهند تربطها ببلاد الخليج روابط قديمة وحديثة، وروابط تاريخية، فيجب أن تتعرفوا على أحوال إخوانكم هناك.

الهند قارة أو شبه قارة واسعة، يبلغ تعدادها حالياً ما يقارب الألف مليون! وهم يتزايدون ويتناسلون.

والمسلمون يقدّرون فيها بما لا يقل عن مائة وخمسين مليوناً، وبعضهم يقول: إن المسلمين لا يقلّون عن مائتي مليون، فإن الإحصاءات الرسمية تحاول أن تقلّل أعداد المسلمين؛ حتى لا يطالبوا بحقوق أكثر.

ومعنى هذا أن المسلمين في الهند يكادون يقاربون أعداد المسلمين في العالم العربي كله.

المسلمون في الهند يمثلون التجمع الثاني للمسلمين في العالم. أكبر تجمع للمسلمين في العالم في جمهورية إندونيسيا التي تبلغ الآن المائتي مليون، وال المسلمون يشكلون أكثر من تسعين في المائة (٩٠٪) من عدد سكانها.

والتجمّع الثاني للمسلمين في الهند، قبل باكستان وقبل بنغلاديش. ليس المسلمين إذن بالعدد الهين أو القليل.

(٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان، عن حذيفة بن اليمان. وال الحديث وإن لم يبلغ درجة الصحة، لكن معناه صحيح.

صحيح أنَّهم أقلَّية بالنسبة للكثرة الهندوسية، ولكنَّهم أقلَّية ذات وزن، وذات شأن، ولها أهميتها، ولها تاريخها، ولها دورها في حياة الهند.

ال المسلمين لهم مساجدهم وجوامعهم، لهم مدارسهم وجامعاتهم، لهم ثقافتهم ولغتهم، لهم حياتهم الخاصة المتميزة في ذلك المجتمع الذي له سمات خاصة، لا توجد في غيره من المجتمعات.

سمات المجتمع الهندي:

١ - الوثنية:

المجتمع الهندي العام مجتمع وثني، تكثر فيه الأصنام والآلهة، يكاد الناس يعبدون كلَّ شيء!

هناك من يعبدون الأنهر، هناك أنهر مقدسة في الهند تُعبد! هناك من يعبدون القردة! هناك من يعبدون الفرج! هناك من يعبدون الشيطان! هناك بعض الجبال تُعبد! هناك من يعبدون البقرة ويقدسونها، وهي إذا سارت في الشارع لا يستطيع أحد أنْ يمسها؛ بل قال بعض الإخوة المسلمين: رأيت من يأخذ بولها وروتها ويتمسح به!

هذه البقرة الأنثى، أمَّا الثور، فإنه يجرُ الأثقال ويُضرب بالسياط.

الأنثى هي المعبودة، أمَّا الثور الذكر، فليس له قيمة، وكذلك بنت عمها «الجاموسة»، وهي أغلى منها ثمناً، وأكثر منها نفعاً، وأدسم منها لبناً، هذه الجاموسة لا تُعبد، بل تسقي الأرض، وتجرُ المحراث، وتجرُ العربات، وتعمل ما تعلم، فهم يعبدون البقرة وحدها!

هذا مجتمع وثني معروف.



ومن العجائب حينما كنت هناك وجدت أمام الفندق الذي أسكن فيه تمثالاً من الورق مُعدّاً، قلت لهم: ما هذا؟

قالوا: في يوم الاثنين سترى، هذا الإله «راون»، والإله «راون» تقول عنه الأساطير الهندوسية: إنَّه اغتصب زوجة الإله «راما»!

وهذه المنطقة - في شمال الهند، في لكنو وما حولها - تقدس الإله «راما»، ولذلك كلُّ سنة يقيمون تمثالاً للإله الذي اغتصب زوجة إلههم ويحرقونه!

وفعلاً رأيت بعد أيام مئات الآلاف من النَّاس يتجمعون وهم يشاهدون إحراق هذا الإله المُغتصب! لأنَّه إله شرير.

والعجب أنَّه في جنوب الهند يحدث العكس.

في جنوب الهند يحرقون «راما» إله الشمال، هم يعبدون الإله المُغتصب؛ لأنَّه الأقوى، ويحرقون خصمه الأضعف «راما»، وهؤلاء وهؤلاء هندوس!

هذا من سمات هذا المجتمع الوثنى.

٢ - التناقضات الهائلة:

من سمات هذا المجتمع التناقضات الهائلة، ففيه كبار الأغنياء «المهراجات» الذين يملكون المليارات، ويسكنون القصور المشيدة، ويعيشون بالمالين عبَّا، وهناك أناس آخرون لا يجدون القوت، يبحثون في أكياس القمامات وفي صناديق الزبالات؛ عسى أنْ يجدوا فيها شيئاً يؤكل من فضلات النَّاس!

هناك من يسكنون القصور الفاخرة، وآخرون يولدون ويعيشون
ويموتون في الشوارع!

رأيت هؤلاء في مدينة «بومباي» وفي «دلهي» القديمة.

وفي مدينة «لكنو» أمام «ندوة العلماء» و«دار علومها» على حافة نهر
«كُنتن»، وجدت الناس بنوا لأنفسهم (عششاً) عشوائية، وظللوها ببعض
الأقمصة، ويعيشون فيها، وبيتون فيها، وهذه هي كلُّ حياتهم.

هذه الهند بلاد التناقضات: فيها فلاسفة والدكتاترة، وفيها الأميين،
مئات الملايين من الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

٣ - الطبقية:

ثمَّ هي بلاد الطبقات، التي يُولد كلُّ إنسان عليها، كلُّ إنسان يُولد في
طبقة هي قدره الأبدى، ولا يستطيع أنْ يرتفع منها.

هناك أربع طبقات:

هناك الذين خلقوا من فم الإله!

والذين خلقوا من ذراعي الإله!

والذين خلقوا من فخذِي الإله!

والذين خلقوا من تحت أقدام الإله!

وهؤلاء هم الطبقة المنحطة الذين يسمونهم «المنبوذين» الأنجلو.

كان الهند قدِّما لا يمسُّونهم ولا يقتربون منهم؛ لأنَّهم نجس
ورجس، إلى أن قام بعض مصلحيهم وخففوا من هذا، وخصوصاً بعد
اتصال الهند بالعالم، واتصال العالم بها.

ولازال المتدينون منهم ينكرن التعامل مع هذه الطبقة، وهي تمثل معظم الهند، أغلبية الهند الساحقة من هذه الطبقة المنبوذة المنحطة، التي ينظرون إلى أصحابها كأنهم أحط من البهائم، وأذل من الكلاب؛ بل هم يعبدون البهائم ويعبدون الحيات وخاصة حية «الكobra» المعروفة، وهؤلاء لم يقاربوا أن يكونوا بهائم، أو يكونوا بقرًا، أو يكونوا حيّات!

فهذا مجتمع الطبقات، من ولد في طبقة لا يستطيع أن يرتقي منها.

يمكن أن يتعلّم ويحصل على أعلى الدرجات، على الماجستير وعلى الدكتوراه وعلى الأستاذية، وربما كان نابغة من نوابع العلم، ويعرف له العالم ويعطيه أعلى الدرجات، يمكن أن يأخذ جائزة «نوبل» في العلوم، ومع هذا يظلُّ في طبقته، الطبقات قدرية لا حيلة للإنسان فيها!

هذه هي الهند.

دخول الإسلام الهند:

ولذلك حينما دخل الإسلام الهند، كان شيئاً جديداً وغريباً على هذا المجتمع.

دخل الإسلام الهند من وقت مبكر، في القرن الأول الهجري، دخلها عن طريق الفتح، وعن طريق العلماء والدعاة والتجار.

أول من فتح الهند هو ذلك الشاب المسلم: محمد بن القاسم بن محمد الثقفي، ابن عم الحجاج الثقفي، وهو الذي أرسله إلى تلك البلاد، وهو شاب في ريعان شبابه، ومقتبل عمره.

كان في السابعة عشرة من عمره، وظل يُلْحُّ على الحاج ليعيشه قائداً للجيش الإسلامي، ليذهب إلى هذه البلاد، وأنا رأيت محطة قطار بالقرب من كراتشي اسمها «محطة محمد بن القاسم».

محمد بن القاسم هذا الشاب الطموح الذي قال فيه الشاعر:
إنَّ السماحة والمروءة والنَّدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ!
قادَ الجيوشَ لسبع عشرة حجة يا قُرْبَ ذلِكَ سُؤَدَّاً مِنْ مُولِّدِ^(١)!

ليعرف ذلك شبابنا الذين يعيشون في هذه السن وليس لهم مثل
عليها، ولا آمال كبيرة يتعلقون بها، ويعيشون لها.

هكذا كان الشباب الإسلامي: أسامة بن زيد قاد الجيش وهو ابن
الثامنة عشرة، وهذا قاد الجيش ودخل به في بلاد لم يعرفها من قبل،
وهو ابن السابعة عشرة!

دخل الإسلام مبكراً في هذه البلاد، وكانت الهند تابعة للدولة
الأموية أولاً، ثم للدولة العباسية بعد ذلك، ثم للدولة العثمانية، ثم
حكمها ملوك كبار من المغول، حكموا الهند نحو عدة قرون، وتركوا
فيها آثاراً واضحة وبصمات بيّنة تدل على رقي المسلمين وحضارتهم،
وخصائص رسالتهم.

ما كان الهنود يعرفون بهذه الحضارة، ولا هذه الفنون الراقية، ولا هذه
التحف المعمارية.

كل ما تفخر به الهند الآن من آثار سياحية، يشاهدها الناس، ويُطلع
عليها السائح من أنحاء العالم هو من آثار المسلمين: القلعة الحمراء في

(١) من شعر يزيد بن الحكم. انظر: تاريخ دمشق (٦٥/١٦٤).

دلہی، منارة قطب الدين، تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع - وهو تحفة معمارية فنية لا نظير لها في العالم - الجامع الكبير، الحدائق التي لا نظير لها إلخ.

أشياء كثيرة جدًا في الهند وبعضها الآن في باكستان وفي بنجلاديش، هي من صنع المسلمين؛ فالإسلام ترك آثاره هناك.

حكم الهند ملوك عظام أقاموا العدل، ونشروا الخير بين الناس، وفتحوا الممالك، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وظلوا أكثر من ثمانية قرون.

وكان هناك تفاوت بين الملوك بعضهم وبعض، بعضهم أحياناً انحرف مثل الملك المشهور «جلال الدين أكبر»، الذي اقترب من الوثنية وقرب الوثنين، وثار على دينه، وكاد ينسليخ من الإسلام أو قُل: إنَّه انسليخ بشخصه من الإسلام، وكاد يسلخ الدولة الإسلامية في الهند من الإسلام.

ولكن قيض الله للمسلمين من اهتمموا بأبنائه، علموا أنَّ هذا الرجل سيذهب ويموت، فليضعوا همَّتهم في أولاده، وهكذا كان هُم ذلك العالم المجدد الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرميني، الذي وجه جهوده ل التربية أبناء هذا الملك المنحرف، وفعلاً أثر في أولاده، وظهر هذا الأثر بعد وفاة هذا الملك، وظهر في أحفاده أكثر من ذلك، خصوصاً في ذلك الملك العادل الذي عُرف في التاريخ باسم «الملكير^(١)» أو رانك زيب^(٢)، وهو رجل كان ملِكاً قويًا عادلاً شجاعاً مؤمناً صالحًا، تمسك بالإسلام في نفسه وفيما حوله، ونشر الدعوة الإسلامية، وحكم الهند خمسين عاماً كاملة.

(١) أي: زمام العالم أو قائد العالم.

(٢) أي: زينة الملوك.

كان يقوم الليل، ويحافظ على الفرائض والنّوافل، ويقرأ القرآن، ويكتب القرآن بخطه الجميل، كان يعيش من هذا الأمر، يأكل رزقه من كتابة المصاحف بخطه، كان آية في حُسن الخط.

قال عنه العلامة الشيخ علي الطنطاوي: هو سادس الراشدين بعد عمر بن عبد العزيز^(١).

الكثيرون مَنْ لا يعلمون أَنَّه هو الَّذِي جمع «الفتاوى الهندية العالمكيرية» في المذهب الحنفي، وهي فتاوى مشهورة، تُعدُّ من المراجع المهمَّة في الفقه الحنفي.

فهذا الرجل كان من ثمرات التربية الربانية الصالحة الَّتي قام بها العلماء الدعاة المجددون المربيون.

المهم أنَّ المسلمين ظلُّوا حُكَّاماً للهند إلى أن جاء الإنجليز بمكرهم وكيدهم، ودخلوا إلى الهند باسم «شركة الهند الشرقية»، ولا زالوا يعملون عملهم حتى أقصوا المسلمين عن الحكم.

ولم يكتفوا بذلك، بل مَكَنُوا لغير المسلمين، وحرموا المسلمين من حقوقهم.

وظلَّ الأمر كذلك، ظلَّ هناك صراع بين المسلمين وغير المسلمين حتى انتهى إلى ذلك التقسيم المعروف، انقسمت الهند وخرجت إلى دولتين: هندستان، وباكستان (التي هي الآن باكستان وبنغلاديش، كانت باكستان الغربية وباكستان الشرقية).

(١) انظر: رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي (٢٢٠ - ٢١٠/٢)، تحت عنوان: بقية الخلفاء الراشدين، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

وبقى عدد كبير من المسلمين هو الّذی نتحدث عنه الآن.

هؤلاء لم يستطيعوا أنْ يهاجروا، ما كان يمكن أن يهاجر كُلُّ المسلمين إلى باكستان، هذا وجود إسلامي راسخ الجذور، عميق الأثر، لا يمكن أن يترك هؤلاء مساجدهم وبيوتهم، ومدارسهم ومزارعهم وأرضهم وتاريخهم، ولذلك بقوا في أماكنهم.

هناك بلاد في الهند إلى الآن فيها مساجد خاوية لا يدخلها أحد؛ فقد هاجر أهلها أو هُجّروا، والهندوس يريدون أن يحطّموها، ولكن المسلمين يقفون ضدَّ ذلك.

يعيش المسلمون في الهند وسط أغلبية من الهندوس، وهذه الأغلبية تغلب عليها تيارات متعصبة، وأحزاب متعصبة.

هناك أناس علمانيون لا يهُمُّهم أمر الدين، ولا يتّبعون له، ولا ضدَّه؛ فكُلُّ إنسان وما اختار لنفسه.

وقد قام على هذا الأساس الدستور الهندي، فقد قالوا: إنَّه دستور علماني، لا يتحيز لطائفة من الطوائف ضدَّ طائفة أخرى، وقام على أساس ذلك «حزب المؤتمر» الشهير، الّذی كان لل المسلمين فيه دور كبير، والّذی رأسه «جواهر نهرو» وابنته «أنديرا غاندي» وأولادها بعد ذلك.

وكان المسلمون لهم مكان بيِّن في هذا الحزب؛ لأنَّ لل المسلمين مكاناً مرموقاً في مقاومة الإنجليز، وفي معركة التحرير.

كان المسلمون أعلى صوتاً في معركة التحرير من غير المسلمين، هم الّذين قادوا هذه المعارك، وعلماؤهم كان لهم دوراً:

الشيخ «محمود حسن» شيخ الهند، والشيخ «الكنكوهي»، ومولانا «أبو الكلام آزاد» الذي حكم عليه الإنجليز بالإعدام، ووقف أمام المحكمة يترافع، ومرافعته تحفة من تحف الأدب السياسي في التاريخ.

كان المسلمون لهم دورهم في معركة التحرير.

ولكن تغلّب على الهند اليوم تيارات متعصبة كما قلت، وأحزاب هندوسية تقول لل المسلمين: من أراد منكم أن يعيش بالإسلام فليذهب إلى باكستان، ارحلوا إلى باكستان، هذه ليست بلادكم، بلادكم باكستان.

وهذا في غاية الخطأ؛ فالهند وطنهم، وهم أبناؤها، وهم أصلاء فيها.

بعض هذه الأحزاب المتعصبة يحصل على مقاعد كبيرة في البرلمان، وهم كانوا يطمعون أن يحصلوا على أغلبية مطلقة ولكنهم حصلوا علىأغلبية نسبية حوالي أربعين في المائة (٤٠٪)، وهذا ليس بالأمر الهين أيضًا، ولذلك نجد إخواننا المسلمين يحسون بالخطر إزاء هذا التعصب المخوف.

مشكلات عدة يواجهها المسلمون:

١ - مشكلة الدعوة الإسلامية:

المسلمون عاشوا دعاة في الهند، نشروا الإسلام في هذا المجتمع بالدعوة، الإسلام لم ينتشر بالسيف، الجيش الإسلامي دخل أماكن محددة وقليلة جدًا، لكن سائر الناس دخلوا عن طريق الدعوة الإسلامية.

الآن نرى المسلمين لا يستطيعون أن يدعوا بصرامة إلى الإسلام.

منذ عدة سنوات أسلمت قرية بكمالها، وهذه هيجة الشعور



الهندوسي العام، وقامت الدُّنْيَا ولم تقنع، وذهبوا إلى أهل هذه القرية وما زالوا بهم حتَّى رُدُّوهُم إلى وثنيتهم.

المسلمون في الهند ليس لهم حرية الدعوة كما ينبغي، ولذلك كانت نصيحتي لهم أن يدعوا بالحكمة والهدوء؛ دون إثارة ضجَّةً؛ لأنَّهم حينما أسلم أهل هذه القرية نشروا في الصحف، وعملوا بالإعلانات، وهذا لا ينبغي في مثل هذا البلد.

٢ - مشكلة الأحوال الشخصية:

هناك مشكلة أخرى، وهي تتعلق بالقانون، وخصوصاً قانون الأحوال الشخصية.

قانون الأحوال الشخصية حسب الدستور يحافظ على الشخصية الدينية للمسلمين، فللمسلمين قوانينهم في الزواج والطلاق، والإرث والنفقات وغيرها، ولا ينبغي أن يفرض عليهم ما يخالف دينهم.

ولكن ما بين الحين والحين تثور بعض القضايا، يريدون أن يفرضوا على المسلمين ما ليس من دينهم، وأخرها منذ عدة سنوات حينما حكمت المحكمة لامرأة مطلقة بأن تفرض لها نفقة من مطلقها طوال حياتها أو تتزوج، إذا لم تتزوج تظلُّ تأخذ نفقة من المطلق طوال الحياة.

وللأسف، إنَّ بعض المسلمين أعطى هؤلاء القضاة مبرراً من قوله تعالى: ﴿وَلِلْمَطْلَقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٢٤١]، ولكن أين هذا المتعة - وهو المتعة التي تُعطى للمرأة: مبلغ معين بمثابة تعويض لها، حتَّى يريح صدرها وضميرها - من نفقة طوال الحياة، وقد أصبحت امرأة أجنبية بالطلاق؟!

هذا لأنَّ المرأة عندهم متصلة بزوجها، بمجرد أن تتزوج المرأة الهندوسية تصبح جزءاً من كيان الزوج، تنفصل عن أبيها وأمها، وتصبح لحمة في زوجها.

وكان المتابع من قبل أنَّ المرأة تكون تبعاً لزوجها في الحياة وفي الممات، فحينما يموت الزوج يجب على المرأة أن تحرق نفسها لتلحق بزوجها!

هذا كان المتابع، ولا زال بعضهن يفعل ذلك إلى اليوم، فهم عندهم هذا الأمر.

لكن الإسلام يقول: المرأة هي زوجة الرجل، هي منه وهو منها، إلى أن تُطلق.

إذا طلقت أصبحت امرأة أجنبية، من حقها أن ترتبط بغيره، وأن تتزوج غيره، وأن تعود إلى أسرتها الأصلية، إلى أبيها وأمها.

فلذلك أرادوا أن يفرضوا على المسلمين قانون النفقة الابدية للمرأة المطلقة.

وثار المسلمون جميعاً ووقفوا وقفـة رجل واحد، وكان في هذا الاتحاد قوَّة للمسلمين، فلم يستطع القضاء الهندي أن يفرض ما كان يفرضه.

وأنشأ المسلمون مجلساً للأحوال الشخصية لعموم الهند، وهو يرأسه الآن العلامة الشيخ أبو الحسن الندوبي.

٣ - مشكلة التعليم:

هناك أيضاً قضيَّة تتعلق بالتعليم، المفترض أنَّ الدستور العلماني يضمن لكلٍّ فئة أن تعلم أولادها دينها بالطريقة التي تراها، وأن يكون التعليم محايِداً لا يفرض عقيدة من العقائد على المتعلمين.



ولكن الذي حدث الآن أن التعليم أصبح يتضمن عقائد هندوسية، ويدرس الطالب في الهند كأنها بلد هندوسي وثنى تماماً، وكأن المسلمين لا وجود لهم، ويدرس تاريخ الهند على أن لا وجود لإسلام في هذا البلد، وبدأ يغير التعليم العقلية التي تتعلم، وهذا ما يحتج عليه المسلمين.

٤ - مشكلة اللغة:

أيضاً هناك مشكلة اللغة، المسلمين لغتهم لغة «أوردو» وهي لغة خليط من الفارسية والهندية والعربية، وتكتب بالحرف العربي، وهناك نجد الحكومة تريد أن تقاوم هذه اللغة، وأن تمحوها من التعليم ومن الحياة؛ لأنها لغة الإسلام والمسلمين، لغة الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية.

٥ - مشكلة الأمان:

هناك مشكلة أخرى تتعلق بأمن المسلمين، المسلمين باعتبارهم أقلية يتعرضون في كثير من المحافظات والولايات إلى اضطهاد الأكثريّة، وتقوم بين الحين والحين اصطدامات دموية عنيفة.

ولا زلنا نذكر جامع «بابري» الذي هدم، وخطبت في شأنه خطبة من فوق هذا المنبر، وكيف هدمه هؤلاء بزعم أنه كان تحته معبد لإله من آلهتهم!

وهذه حجة يقولونها كلما أرادوا أن يهدموا أثراً من الآثار الإسلامية؛ بزعم الأساطير التي عندهم، والتي ليس لها حقيقة تاريخية.

٦ - المشكلة الاقتصادية والسياسية:

وهناك المشكلة الاقتصادية والسياسية؛ فالمسلمون لا يأخذون حقّهم بحسبهم العددية في وظائف الدولة، لا يأخذون حقّهم في الجيش، ولا في الشرطة، ولا في الوظائف الإدارية ولا في غيرها.

وهذا يؤثر على الوضع الاقتصادي للمسلمين، فكأنهم ليسوا مواطنين في الدولة، فلا ينتفعون بخيراتها كغيرهم!

قليل من المسلمين يمسكون ببعض الوظائف الكبيرة، وهؤلاء من بقايا العهد الإنجليزي، وأمّا في عهد الاستقلال فيكادون يطردون المسلمين من هذه الوظائف.

وكلُّ هذا يشكّل خطراً على الجماعة الإسلامية في الهند، ولا ينقد المسلمين من هذا إلَّا أن يتتوحدوا، وأنا قلت هذا حينما كنت هناك، وقلت لهم هذا من قبل.

وأنا زرت الهند خمس مرات، وفي إحدى المرات حضرت أكبر تجمُّع في حياتي في الاحتفال بمرور مائة وخمسة عشر عاماً على تأسيس جامعة «ديوبند» التي يسمونها: «أزهر الهند»، وحضر هناك نحو مليوني شخص، أكبر تجمُّع رأيته في حياتي، وتكلّمت كلمة وقلت لهم: أنتم أقلية، ولكنكم لستم بالعدد القليل، أنتم التجمُّع الإسلامي الثاني في العالم، ولا يمكن أن تقوم لكم قائمة إلَّا إذا توحدتم، أنا أعرف أنَّ الأقليات في العالم كُلُّه تتضامن وتتلاحم، وتتوحد فيما بينها لتحافظ على هويتها وشخصيتها، وحرماتها وحقوقها أمام الأكثريَّة، وإلَّا أكلت وسُحقت ودُيست بالأقدام.



كل الأقليات تجتمع وتوحد إلا الأقليات الإسلامية للأسف!

قلت: وأنتم مثل لهذا، أنتم عدد ضخم (مائة وخمسون مليوناً أو يزيدون) لماذا لا تتحدون؟ لماذا لا تقفون صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص؟!

كُن ما شئت، من خريج أي جامعة: من ديويند، أو من مدرسة مظاهر العلوم، أو من الإصلاح، أو الفلاح، أو ندوة العلماء، كن من أهل الحديث، أو من الجماعة الإسلامية، أو من جماعة التبليغ، أو من أي جماعة شئت، ألسْت مسلماً، تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله؟

لماذا لا نجتمع على ما يصير به المسلم مسلماً، على الحد الأدنى من الإسلام؟

يكفي أن نكون من أهل القبلة، لنقف معًا ضدَّ هذا التيار الذي يريد أن يقتلعنا من جذورنا، لا يجوز أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا المكر الكَبَار، والكيد العظيم، الذي يكيده لنا أعداؤنا، وقد حددوا الهدف، ووضعوا الخطط، وقدّروا المراحل، وشرعوا في التنفيذ، وبدأت تظهر النتائج.

لا يجوز لنا أن نقف متفرّجين، أو نصمّ آذاناً، ونغضي أبصارنا، وندفن رؤوسنا في الرمال، والحقائق تواجهنا، والمصير يزعجنا ويقلقنا.

لا بدَّ أن نقف ونحذّد أيضًا هدفنا، ونضع خططنا، نستطيع أن ن فعل الكثير، لا بدَّ أن نرقى بمستوى المسلمين في الهند، المستوى الثقافي والتعليمي.

قلت للMuslimين هناك: أطلقو أبناءكم وبناتكم من تلاميذ الجامعات والمدارس في العُطل، يعلّمون المسلمين والMuslimات ألف باء القراءة والكتابة، يمحون الأمية.

لا يجوز أن يبقى المسلم في هذا العصر أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لا بد من حملة يقودها العلماء والدعاة؛ لرفع المستوى الفكري والتعليمي لهذه الأمة.

ومن ناحية أخرى: يجب أن نرفع المستوى الاقتصادي للMuslimين، بمعنى أنه لا بد أن يتعاون المسلمين فيما بينهم لإنشاء مؤسسات وشركات.

قد لا يستطيع الفرد وحده أن يصنع شيئاً، ولكن القليل على القليل كثير، والبحر من قطرات، والجبل من حصيات، فلا بد أن نتعاون فيما بيننا حتى نرفع شأن المسلمين اقتصادياً.

ولا بد أن نرفع من شأن المسلمين اجتماعياً، بمعنى أن بعضنا يساعد بعضًا، القوي يأخذ بيد الضعيف، والغني يصب على الفارغ، والغني يعطى على الفقير، فنحن أمة واحدة، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»^(١).

لا بد أن نخطط للمستقبل، ونتجمع فيما بيننا، ونسى الخلافات الجانبية والمعارك الجزئية، ونقف للمعركة الكبرى معركة الوجود الإسلامي: هل نكون أو لا نكون؟ هل نبقى في الهند أو لا نبقى؟ هل تظل «الله أكبر» و«لا إله إلا الله» ترتفع بها المآذن أو لا؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

هذه هي القضية الأساسية، وهذا ما ينبغي أن نقوله لإخواننا ونكرره.

وأحمد الله أني وجدت كثيراً من الوعي وكثيراً من الاهتمام، وأصبح المسلمون يعرفون الخطر الذي يواجههم، ولا بد أن يواجهوا هذا الخطر، خطر التعصب والكراهية ضدّ الوجود الإسلامي.

إنّهم الآن - أي: الهندوس - لا يسمحون بإقامة مساجد في المناطق الجديدة، وكثيراً ما تكون شاسعة واسعة، سرت في مدينة «حيدر آباد» العريقة، المدينة القديمة أجد فيها مساجد، والمدينة الجديدة لا أجد فيها أية مساجد، قلت لهم: ألا يوجد هنا مسلمون؟

قالوا: يوجد كثيرون.

قلت: أين يصلُّون؟

قالوا: يصلُّون في المدينة القديمة.

قلت: ولم لا يكون لهم مساجد؟

قالوا: السلطات لا تسمح بإقامة مساجد! بل بالعكس هم يريدون هدم المساجد القديمة إن استطاعوا بحجّة أو بأخرى.

يستطيع المسلمون أن يقيموا المساجد الصغيرة في القرى بعيداً، أما في المدن فلا يستطيعون شيئاً.

لا بد لل المسلمين إذن أن يواجهوا مصيرهم بشجاعة وبذكاء، وبعقل وحكمة.

وعلى المسلمين في العالم العربي والعالم الإسلامي أن يشدوّا أزفهم، أن يقفوا وراءهم، أن يُشعروا الهند أنّ هؤلاء المسلمين جزء

منهم، لا يجوز لكل جماعة أن تعيش وحدها، ولكل شعب أن يتصرف وكأنه وحده في العالم، لو فعلنا ذلك لأكلنا وانتهك حرماتنا، وقضيّت حقوقنا.

نحن إنما نكون قوّة إذا اتحدنا، الاتحاد يقوّي القلة، والتفريق يضعف الكثرة.

الكثرة تضعف بتفرقها، والقلة تقوى باتحادها، والله تعالى قد حذرنا من التفرق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وليس الأمر مقصوراً على سوء العاقبة في الآخرة ﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَسَوْدَ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ولكن سوء العاقبة في الدنيا أيضاً؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولهم، فاستغفروه من كل ذنب، إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فیا أیّها الإخوة المسلمين:

من أركان الإسلام: إيتاء الزكاة، وهي الركن الثالث في الإسلام، بعد الشهادتين وإقامة الصلاة.

وقد قرن القرآن الزكاة بالصلوة في ثمانية وعشرين موضعاً، منه قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ فَخَلُوْا سَيِّلَاهُمْ﴾ [التوبة: ٥] لا يخلّى سبيل المشرك إلا بالتزامه بالبعد عن الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ فَإِخْرَجْنَكُمْ فِي الْدِيْنِ﴾ [التوبة: ١١] لا يستحق المرء أخوة المسلمين الدينية؛ إلا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ولا يستحق رحمة الله إلا بإيتاء الزكاة وإقامة الصلاة: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوْةَ وَالَّذِينَ هُم بِأَيَّاثِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوْةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١] لا يستحق رحمة الله إلا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة.

وقد أقامت وزارة الأوقاف صندوقاً للزكاة، فمن ليس له أقارب يعطيمهم أو أناس يعرفهم تماماً، فليدفع إلى هذا الصندوق، ولisbury ذمته،



و لا يجوز أن يغلبه الشُّحُّ و حُبُّ الدُّنيا و حُبُّ المال، ويضيع حقَّ الله تعالى، فلا يكسب في دنيا ولا أخرى.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يفَقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يعْلَمَنَا مَا ينفعُنَا، وَأَنْ ينفعَنَا بِمَا عَلِمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

* * *





القنبلة النووية الباكستانية وقضية كشمير^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

تزاحمت علىي في هذه الأيام الموضوعات التي تفرض على الإنسان المسلم أن يتحدث عنها، أو يعلق عليها، ويدرك إخوانه المسلمين بها، وواجبهم نحوها.

أتتحدث عن قضية المسلمين الأولى التي مازلنا نبدئ فيها ونعيد، ولن ينتهي الحديث عنها: قضية فلسطين، قضية القدس، قضية المسجد الأقصى، التي تتعرض لأشد الأخطار، والتي لا نجد للأسف من يقوم ب شأنها كما يجب القيام؛ إلا أولئك الأبناء الذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم وأرواحهم في أيديهم، وقد باعواها للله تعالى: أبناء حماس والجهاد، ومن عدا ذلك فهم في غفلة لا هون، وفي غمرة ساهون.

على حين يقول «نتنياهو» بصرير العبرة لا بالإشارة: لست مقتنعاً بالسلام مع العرب!

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة، ٣ صفر ١٤١٩هـ، الموافق ٢٩ مايو ١٩٩٨م.

ولا زال يؤكد أنَّ مُلْك إِسْرَائِيل «مِنَ الْفَرَاتِ إِلَى النِّيلِ». ولا زال رجال الكونجرس الأمريكي يعلنون أنَّ سفارة أمريكا ستنتقل إلى القدس في العام المقبل.

هل نتحدَّث عن هذه القضية؟

أو نتحدَّث عن قضيَّة أخرى فرضت نفسها في تلك الأيام: قضيَّة إندونيسيا.

أكبر بلد إسلامي تعرَّض للمؤامرات وتعرَّض للمغامرات، المؤامرات من القوى الغربية الكائنة والحاقدة، التي تضمر الشَّرَّ للمسلمين، والتي عزَّ عليها أن يكون في النمور الآسيوية نمران إسلاميَّان: إندونيسيا وماليزيا، فكادت كيدها، ومكررت مكرها، حتَّى توقع هذين البلدين الإسلاميَّين في مشكلات اقتصادية؛ لتشغل هذه البلاد بأنفسها وبمتعابها عن طموحاتها.

هذا ما حدث في ماليزيا، ونرجو - إن شاء الله - أن تتغلَّب ماليزيا على مصاعبها ومتاعبها، كما لاحظت ذلك في زيارتني القرية لها، وهي متغلَّبة عليها إن شاء الله.

أمَّا إندونيسيا فقد كان فيها الاستبداد، وإذا وُجد الاستبداد زُرع الفساد، زُرعت السرقات والاغتصاب، الذين يسرقون الشعوب بالملاليين بل بالبلائيين، وهذا سبب ما حدث من إثارة واضطرابات أدَّت إلى ما أدَّت إليه، وانتهت بخروج «الدكتاتور» المستبد، ووجود حكومة جديدة تعِلن الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي، وتعِدُ بإجراء انتخابات، وعلى الله قصد السبيل، وأسأل الله أن يوفق الحكومة الجديدة في خطواتها لإخراج إندونيسيا من أزمتها.

أَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؟ أَمْ أَتَحَدَّثُ عَنْ قَضِيَّةٍ أُخْرَى فَرَضْتُ نَفْسَهَا عَلَى الْعَالَمِ؟

القبلة الإسلامية النووية:

هذه القضية حدثت بالأمس فقط: إنّها القنبلة الإسلامية النووية، إنّها التفجير الباكستاني الشّووي^(١)، خمس تجارب أجرتها دولة باكستان الإسلامية ردّاً على التجارب الهندية التي كانت تشكّل خطراً أكيداً على باكستان؛ بل على العالم الإسلامي كله، فالهند متحالفة تحالفًا ظاهراً وخفياً مع إسرائيل، يجب أن نعلم هذا أيها الإخوة.

من قديم والهند متحالفة مع إسرائيل، إسرائيل تمولها اقتصادياً، وتعينها تكنولوجياً، وساعدتها في أول محطة للطاقة أنشأتها الهند سنة ١٩٦٩م، وما زالت متعاونة معها؛ لأنّها ترى أنّ عدوها الأول وخصمها اللدود هو باكستان، وبباكستان جمهورية إسلامية.

فإسرائيل تعلم من هو عدوها، وترى أنَّ الْبَلَادُ إِسْلَامِيَّةٌ كُلُّهَا أَعْدَاءُ لَهَا.

ولذلك كانت تعمل بكل جهدها للحيلولة بين باكستان والوصول أو الدخول في النادي النّووي، كما حالت قبل ذلك حينما ضربت المفاعل

(١) كان ذلك يوم الخميس ٢٨ مايو ١٩٩٨م، وكتب الأستاذ الدكتور أحمد العسّال من هناك يقول: وكم كان ابتهاج الشعب عظيماً وفرحة غامراً؛ بنجاح التجارب حين خرج الناس إلى الشوارع في كلّ مكان يوزّعون الحلوى، ويدهبون إلى البرلمان للتعبير عن سعادتهم، ثم كيف كانت المساجد غاصة بالناس يوم الجمعة التي تلت يوم التفجير، وأقيمت صلوات الشكر، ومدت الأكف، وابتهلت القلوب بالدعاء إلى الله تعالى أن يحفظ باكستان ويعينها على الدفاع عن الإسلام، والذود عن حماه وحرمه، شيء فاق الوصف وذرفت الدموع تضرعاً وشكراً للحي القيوم. مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٣٠٣)، ١٤ صفر ١٤١٩هـ - ٩ يونيو ١٩٩٨م.

النّووي العراقي، وكما فعلت قبل ذلك حين قتلت أعداداً من الخبراء المصريين الذين يدرسون في الغرب، من النّوابغ والعاقة الذين وصلوا إلى درجات عالية جدّاً في الفيزياء النووية، فما زالت إسرائيل وراءهم حتى قتلتهم.

صحيح لم يثبت البوليس، ولم تثبت التحقيقات أيادي إسرائيل، ولكن كل الدلائل وكل البراهين تشير بأصابع الاتهام إلى إسرائيل.

إسرائيل تعرف من عدوها، ولذلك تقف مع الهند ضدّ باكستان، وكانت في هذه الأيام تريد أن تضرب باكستان ضربة حتى لا تردّ على التفجيرات النووية الهندية، ولكن باكستان كانت يقظة، وكانت حذرة، وكان الله معها.

ولم تستطع إسرائيل أن تحقق أهدافها في ضرب باكستان، ومنعها من تفجيراتها النووية الناجحة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

كان لا بدّ لباكستان أن تردّ هذا الردّ، وأن تحقق التوازن النووي «توازن الرعب» كما يقولون.

ومنذ سنة ١٩٧٦م وبباكستان تعمل جهدها حتى تتحقق القدرة النووية، والغرب يكيد لها، ويترbus بها، ويحاول منها، وأقاموا الدنيا وأقعدوها حينما استطاعوا أن يأتوا ببعض مادة «اليورانيوم» من هنا أو هناك.

ولكن الباكستانيين - منذ أن فجرت الهند تفجيراتها الأولى سنة ١٩٧٤م. - صمّموا وعزموا، وأصرّوا على أن يمتلكوا القدرة النووية، وهذا من حقّهم.

ولهذا فنحن نهنى أنفسنا، ويجب أن يهنى المسلمون بعضهم بعضاً،
بما حقّقه باكستان المسلمة.

لقد أقلقـت هذه التجربـة الـباڪـستـانـية الـغـربـ كلـ الإـلـاقـاـقـ، وأـرـعـبـتـ إـسـرـائـيلـ كلـ الإـرـعـابـ، وأـزـعـجـتـ الـهـنـدـ كلـ الإـزـعـاجـ، وزـلـزـلـتـ القـوـىـ
الـمـعـادـيـةـ لـإـلـاسـلـامـ وـالـمـتـرـبـصـةـ بـالـمـسـلـمـيـنـ فـيـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ زـلـزاـلاـ!

لـمـ؟ لاـ أـدـرـيـ لـمـ؟

امتلك غير المسلمين للقنبلة النووية:

امتلك النـاسـ منـ الـدـيـانـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ الـقـوـةـ الـنـوـوـيـةـ:

اليـهـودـيـةـ - عـلـىـ رـغـمـ قـلـةـ أـعـدـادـ أـهـلـهـاـ فـيـ الـعـالـمـ - مـمـثـلـةـ فـيـ إـسـرـائـيلـ
مـلـكـ الـقـنـبـلـةـ الـنـوـوـيـةـ.

تمـتـلـكـ إـسـرـائـيلـ أـكـثـرـ مـاـئـتـيـ قـنـبـلـةـ نـوـوـيـةـ، تـهـدـدـ بـهـاـ الـعـالـمـ
الـعـربـيـ وـالـعـالـمـ الـإـلـاسـلـامـيـ، تمـتـلـكـ تـرـسـانـةـ نـوـوـيـةـ بـتـأـيـيدـ الـغـربـ،
وـتـموـيلـ الـغـربـ.

وـالـمـسـيـحـيـةـ بـمـذـاهـبـهـاـ الـثـلـاثـةـ الـكـبـرـىـ: الـمـسـيـحـيـةـ «ـالـبـرـوتـسـتـانـتـيـةـ»ـ مـمـثـلـةـ
فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ وـبـرـيطـانـيـاـ تـمـلـكـ الـقـنـبـلـةـ الـنـوـوـيـةـ.

وـالـمـسـيـحـيـةـ «ـالـكـاثـوـلـيـكـيـةـ»ـ مـمـثـلـةـ فـيـ فـرـنـسـاـ تـمـلـكـ الـقـنـبـلـةـ الـنـوـوـيـةـ.

وـالـمـسـيـحـيـةـ «ـالـأـرـثـوذـكـسـيـةـ»ـ مـمـثـلـةـ فـيـ رـوـسـيـاـ تـمـلـكـ الـقـنـبـلـةـ الـنـوـوـيـةـ.

وـالـبـُـودـيـةـ تـمـلـكـ الـقـنـبـلـةـ الـنـوـوـيـةـ مـمـثـلـةـ فـيـ الـصـينـ.

وـالـهـنـدـوـسـيـةـ تـمـلـكـ الـقـنـبـلـةـ الـنـوـوـيـةـ مـمـثـلـةـ فـيـ الـهـنـدـ.

لماذا لا يملك الإسلام؟!

فلماذا يُفرض على الإسلام وحده أن يكون أعزلاً لا يملك القوّة؟!

لماذا لا تملك باكستان المسلمـة القوّة النووية، والقنبلـة النووية؟

إنَّ من حقّ باكستان، ومن حقّ المسلمين أن يدخلوا العصر النووي.

لا يمكن أن يقوم سلام بين مُسلَّح وأعزل، بين الناب الجارح أو المخلب الجارح واللحـم الطـريـ، بين الذئب والحمل.

السلام لا يقوم أبداً بين القويّ والضعيف، وإنما الذي يتحقّق هو قهر القويّ للضعيف، وسيطرة المُسلَّح على الأعزل.

إنَّ رئيس وزراء باكستان قال بالأمس في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: الآن نفتح باب الحوار مع الهند، ولا نمنع أن نقيم معاهدة عدم اعتداء بيننا وبين الهند.

من منطق القوّة، من منطلق امتلاك القوّة النووية يتحدّث رئيس وزراء باكستان، أمّا إذا كان لا يملك شيئاً؛ فماذا يستطيع أن يفعل؟

إنَّ العالم قد هاج هياجه من أجل ما صنعت باكستان، ولم نسمع صيحة قويّة ولا تأييـداً قويـاً من بلاد العرب والمسلمـين.

سهرتْ ليلةً أمسِ لأسمع الإذاعات، وأرـى القنوات المختلفة، فلم أجـد تصريحـاً لـرئيس مـسلم أو مـلك مـسلم، أو أمـير مـسلم أو مـسـؤول مـسلم يقول: نـحن مع باكـستان، ولا أدـري لـم كـلـ هذا الخـوف؟ لـم كـلـ هذه الـهزـيمة الـنفسـية؟

باكستان تهدّد:

«كلينتون» يهدّد باكستان، وحـلف الأطلـنـطي يهدـد باكـستان، والـغـرب يهدـد باكـستان بـعقوـبات اقـتصـادية شـديـدة وـقـاسـية، فـليـكـن ما يـكونـ.

لقد نادى رئيس وزراء باكستان أبناء شعبه أن يشدوا الأحزمة على بطونهم، وأن يستعدوا لمرحلة قادمة، مرحلة التقشف، مرحلة البعد عن الكماليات، إنّها مرحلة حرب اقتصادية؛ بل ربّما تكون حرّباً أكثر من اقتصادية؛ فإسرائيل تهدّد، والهند تهدّد بضرب المنشآت النووية، فلا بدّ أن تكون باكستان مستعدة على قدم وساق.

ونحن نقول لباكستان: نحن الشعوب الإسلامية - لا نستطيع أن نتحدث باسم الأنظمة الحاكمة، إنّا نتحدث بلسان الشعوب المحكومة - نقول لإخوتنا في باكستان: نحن معكم، ونحن من ورائكم، نشدُّ أزركم، ونقوّي ظهركم، ونضع أيديينا في أيديكم، قلوبنا معكم، وأيدينا معكم، وألسنتنا معكم، ندعو لكم أن يؤيدكم الله بنصره، وأن يحميكم من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

نحن ندعو لإخوتنا في باكستان؛ فإنّهم لم يظلموا أحداً، لقد فعلوا ما توجبه السيادة الوطنية، من حقّهم أن يمتلكوا ما امتلك غيرهم.

لم يرتكبوا إثماً، ولم يقترفوا جرمًا، ولم يخالفوا قانوناً دولياً، إنّهم ما دخلوا في معاهدة حظر الانتشار النووي أو حظر التجارب النووية، كما فعل للأسف أكثر العرب، أكثر العرب دخلوا في هذه المعاهدات، ولا أدرى ما السرُّ في دخول هذه المعاهدات، وقبولهم أن يوقعوا عليها، وبجوارهم إسرائيل تملك ما تملك من هذه الأسلحة المدمرة؟!

لقد أصرَّ العالم الجديد أو النّظام العالمي الجديد أو القطب الأوحد - الذي يريد أن يحكم العالم - على أن يحرّد العراق من كلِّ أسلحته النووية والكيماوية وغيرها، وأن يجرّده حتّى من القدرة العلمية، يريد أنْ يدمره.

فلماذا لم يطالبوا إسرائيل بما طالبوه بالعراق؟!

هذا هو «المعيار المزدوج»، إنّهم لا يتعاملون مع النّاس بمنطلق واحد، ولا بمعيار واحد، إنّهم «المطّفرون»، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَلَوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢، ٣].

إنَّ الْحَقَّ لِيُسَّرَّ وَاحِدًا عِنْهُمْ، إِنَّ الْحَقَّ يَتَلَوَّنُ بِلَوْنِ مَنْ يَتَعَامِلُونَ مَعَهُ.

يا أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ، يَجُبُ أَنْ يَدْخُلَ الْمُسْلِمُونَ الْعَصْرَ التَّوْوِيِّيِّ، لَا بَدْ مِنْ أَنْ نَبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا لِلْحَمَّ طَرِيًّا يَأْكُلُهُ مِنْ يَرِيدُ، وَلَيْسُوا فَرِيسَةً سَهْلَةً كَمَا يَتَرَاءَى لِأَعْدَائِهِمْ، إِنَّ لَحْمَهُمْ مَسْمُومٌ، لَا يَسْتَطِعُ مِنْ أَرَادَ أَنْ يَأْكُلُهُمْ أَوْ يَفْتَرُسُهُمْ أَنْ يَمْضُغَ ذَلِكَ بِسَهْوَةٍ وَيَبْتَلِعُهُ بِسَهْوَةٍ.

نَحْنُ أَمَّةُ الْجَهَادِ، نَحْنُ أَمَّةُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ تَدْافِعَ عَنْ نَفْسِهَا، فَإِنَّمَا أَنْ نَعِيشُ عِيشَ الْأَعْزَاءِ، وَإِنَّمَا أَنْ نَمُوتَ مَوْتَ الشَّهِداءِ: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَنَيَّتِيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْيُدِنَا فَتَرَبَّصُونَا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبَّصُونَ﴾ [التَّوْبَة: ٥٢].

إِنَّمَا نَأْسُ لِهِ أَنْ تَقْفَ الْهَنْدُ هَذِهِ الْمَوَاقِفَ مَعَ إِسْرَائِيلَ، وَتَتَحَالِفُ مَعَهَا سَرِّاً وَعَلَانِيَّةً، وَأَنْ تَقْفَ ضَدَّ بَاكْسْتَانَ الْمُسْلِمَةَ، وَأَنْ تَقْفَ ضَدَّ حُوقُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّاخْلِ، كَمَا هَدَمَتْ مَسْجِدَ «بَابِرِي»، وَأَنْ تَقْفَ ضَدَّ كَشْمِيرَ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي بَاكْسْتَانِ لَيْسُوا إِلَّا جَزءًا مِّنَ الْأَمَّةِ الْهَنْدِيَّةِ، فَإِنَّ خَالِفَوْهُمْ فِي الدِّينِ، فَهُمْ مِنْهُمْ فِي الْعِرْقِ وَالْأَصْلِ.

قَضِيَّةُ كَشْمِيرِ:

كَانَ مَمَّا يُنْتَظَرُ - لَوْ لَمْ تَحْدُثْ هَذِهِ التَّفْجِيرَاتِ الْبَاكْسْتَانِيَّةَ - أَنْ تُغَيِّرَ الْهَنْدُ عَلَى كَشْمِيرِ الْحَرَةَ؛ لِتَبْتَلِعُهَا وَتَضْمِمَهَا إِلَيْهَا بِالْقُوَّةِ، كَمَا فَعَلَتْ مَعَ كَشْمِيرِ الْمُحْتَلَةِ.

كشمیر - أيها الإخوة - وما أدرأكم ما كشمیر؟

إنّها القضية الإسلامية المنسيّة، القضية التي أغفلها المسلمون، ولم يضعوها في بؤرة اهتمامهم.

قضية كشمیر قضيّة إسلامية، الظلم فيها واضح، والحقُّ فيها بيّن.

حينما قسّمت شبه القارة الهندية بين دولتين: الهند وباكستان، كان قرار التقسيم - كما قرّرته الأمم المُتّحدة - يقضي أنَّ كلَّ منطقة فيها أغلبية هندوسية تكون من حقِّ الهند أو «هندستان»، وكلَّ منطقة فيها أغلبية إسلامية فهي من دولة باكستان، وكان المفروض وفقاً لهذا أن تكون كشمیر ضمن دولة باكستان.

فكشمیر أغلبيتها الساحقة مسلمون - خمس وثمانون في المائة (٨٥٪) من سكانها مسلمون - وهذا من نحو ستة قرون، بينما أسلم ملكها وأسلم الكثيرون معه، وانتشر الإسلام فيها، وأصبحت ولاية إسلامية «ولاية جامو وكشمیر».

كان مقتضى قرار التقسيم أنْ تكون كشمیر وجامو مع باكستان، ولكن لأنَّ الذي كان يحكم كشمیر في ذلك الوقت ملك هندوسي جاءت الهند بوثيقة مزورَة وقالت: إنَّ ملك هذه البلاد رغب في الانضمام إلى الهند!

والمسألة ليست بالرغبة.

لقد كان الذي يحكم «حیدر آباد» أميراً مسلماً، والأغلبية في حیدر آباد وثنية هندوسية، وإن كان فيها أقلية مسلمة كبيرة ولها وزنها، ولكن ضممت حیدر آباد إلى الهند، دون اعتبار بحكامها.

وكان المنطق العادل والمقابل أن تضم كشمير إلى باكستان، ولكن الهند كان لها مطامع في كشمير.

كشمير أيها الإخوة هي جنة الله في أرضه، من لم ير كشمير لا يعرف حقيقتها.

كشمير جنة الله في أرضه، فيها من الحدائق والبساتين، والسهول الخصبة والمزارع، والأنهار والبحيرات والقمم الشاهقة: ما لا يوجد في غيرها.

وأهلها عندهم من الذكاء والنشاط والصناعات ما فاقوا به المسلمين في الولايات الأخرى.

ولذلك طمعت الهند في كشمير، وضممتها إليها.

ولم يستسلم الكشميريون، وقاموا، واجهدوا حتى حرروا ثلث هذه الولاية، أو ما يسمى الآن «كشمير الحرة».

ثم خدعت الأمم المتحدة باكستان، ورفعت القضية إلى مجلس الأمن وقالت: إننا مستعدون أن نجري استفتاء في هذه الولاية ليقرر أهلها: ماذا يختارون؟ أينضمون إلى الهند أم ينضمون إلى الباكستان؟ أم يكونون دولة مستقلة؟ ووافق مجلس الأمن على ذلك.

وكانت الهند تريد أن تكسب وقتاً حتى تثبت أقدامها، وتُعدّ عدتها، وتهيء جنودها، وتسطر على الولاية سيطرة كاملة في كل شيء، وهذا ما حدث.

ففي سنة ١٩٥٧م - أي: بعد عشر سنوات من قيام الهند وباكستان كدولتين - أعلنت الهند ضم كشمير بالقوة إليها.

وبدأت تحاول مسخ شخصيتها، وتعلم المسلمين الهندوسية في المدارس؛ ليخرج المسلم من المدرسة، وهو لا يعرف شيئاً عن دينه.

وأخذت تفرض على المسلمين التقاليد الهندوسية، والقيم الهندوسية.

ولكن المسلمين رفضوا ذلك من أول يوم، وكانوا يقاومون ويجهدون ما بين الحين والحين، وسقط منهم من سقط من الشهداء.

ولما جاءت سنة ١٩٩٠م - منذ نحو ثمان سنوات أو أكثر قليلاً - بدأ الجهاد الحقيقي، وبدأت حركة الجهاد لتحرير كشمير، وهي حركة شعبية إسلامية، انضم إليها عشرات الآلاف من أبناء كشمير، وبذلوا يقاومون الجيش الهندي الوحشي المكون من نحو ثمانمائة ألف (٨٠٠٠٠) جندي هندي!

ولكن عشرات الآلاف من أبناء الإسلام الذين صمّموا على الجهاد والبذل دُوّخوا هذا الجيش وأرعبوه، حتى إنَّ بعضهم كان يهرب من الجيش؛ فراراً مما يفعله بهم المسلمون، وبعضهم كان يطلب إجازات، وبعضهم يطلب التسریح من الجيش، فكان من الضباط من يقتل الجنود الذين يطلبون هذه الإجازات.

لم يستطع الجيش أن ينتقم من المجاهدين، فوجّه نقمته إلى المدنيين البراء، الذين لا يملكون سلاحاً، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، ودمروا الآلاف من البيوت، ومن المساجد، ومن المدارس، ومن المكتبات، ومن كلِّ ما يملك المسلمون، وفعلوا الأفاعيل بوحشية لا نظير لها، حتى إنَّهم اغتصبوا النساء جهاراً نهاراً.

كانوا يغتصبون الزوجة أمام زوجها، والبنت أمام أبيها، والأم أمام ابنها، والأخت أمام أخيها، لا يبالون بأحد، وبعد أن يغتصبوهن اغتصاباً جماعياً عياناً يقتلونهن، عدة جنود يتعاونون على المرأة الواحدة حتى تنتهي، فإن لم تنته بالفعل أنها بالقتل، وقطعوا أجزاءها و فعلوا فيها ما فعلوا من تمثيل وتشويه.

هذا ما يحدث في كشمير المسلمة.

وهناك تعليم إعلامي على ما يجري هناك، الهند لا تسمح بأن يأتي مندوب صحفي أو مندوب تلفزيوني، أو بأي وسيلة من وسائل الإعلام لتدخل هذه المناطق.

استطاع بعض الناس أن يتسللوا إليها حتى من الهند أنفسهم، وكتبوا عن هذه المجازر، وكتبوا عن هذه المأساة وهذه المآثم التي تحدث، وكتبوا ذلك إلى لجان حقوق الإنسان في العالم.

ونحن العرب والمسلمين كأنَّ الأمر لا يعنينا، كأنَّ هؤلاء الإخوة - وهم نحو ثلاثة عشر مليوناً يسكنون ولاية جامو وكشمير - ليسوا إخوة لنا، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والرسول ﷺ يقول: «الMuslim أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه»^(١)، أي: لا يخذله، لا يتركه، لا يتخلى عنه، فكما أنَّ الظلم حرام من المسلم للمسلم، فتخلی المسلم عن المسلم حرام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

ويقول عليه السلام: «المؤمن لله من كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(١)، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

إنَّ قضيَّة كشمیر قضيَّة إسلامية منسية من المسلمين ومن العرب، وينبغي أن نكون مع إخواننا، نمد إليهم ما استطعنا من العون المادي والأدبي، السياسي والدبلوماسي، والفكري والروحي.

على الأقل ندعو لهم في صلواتنا أن ينصرهم الله على عدوهم، وأن يفتح لهم فتحاً مبيناً، وأن يهديهم صراطاً مستقيماً، وأن ينصرهم نصراً عزيزاً.

أشد الناس عداوة للمسلمين إسرائيل والهند:

إنَّ الهند عدوانية بطبيعتها، هي أشبه بإسرائيل في كل شيء.

إسرائيل عدوانية، والهند عدوانية، والله تعالى قد جمع بين الاثنين حينما قال في كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ومن قديم وقف اليهود في المدينة مع مشركي مكة الوثنين ضدَّ محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّغْرُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهَدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سِيرًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَحْدَدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

(١) سبق تخریجه ص ١٠٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

قالوا: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَالْوَثَّانِينَ أَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ! وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ مُّثْلِهِمْ وَيَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ!

هؤلاء الهندو لهم مطامع في البلاد التي تحوطهم، هكذا ذكر كثير من قادتهم في كتبهم بصرامة، وأنه لا أمان لهم إِلَّا إذا استولوا على نيبال وعلى باكستان وبنغلاديش وبورما وأفغانستان وماليزيا، حتَّى يصلوا إلى سنغافورة!

هكذا قالوا.

بل قالوا: إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نَؤْمِنَ الْبُوَابَتِينَ الرَّئِيْسِيْتِيْنَ: سِنْغَافُورَةُ وَقَنَاةُ السُّوِيْسِ!

تصوروا هذه مطامعهم، حتَّى قال من قال منهم: إِنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ مَعْبُدًا هَنْدُوسيًّا قَدِيمًا وَالْعَرَبُ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ!

كأنَّ لهم مطامع حتَّى في الكعبة، ولا نستغرب من هذه الأشياء، فقد كنا نقول عن مطامع اليهود: إِنَّهَا «هلوسات وأضغاث أحلام»، ولكن كثيرًا ما تصبح أضغاث الأحلام حقيقة واقعة؛ حينما يغفل الناس عن مصادرهم، وحينما يلهون عن حقائق الوجود من حولهم.

إِنَّا مَعَ هَذَا لِلأسَفِ نَفْتَحُ الصُّدُورَ، وَنَفْتَحُ الْأَبْوَابَ وَالدُّورَ، لِلْهُنْدُودِ الْمُشْرِكِينَ، يَمْلَئُونَ سَاحَاتِنَا، وَيَدْخُلُونَ بَيْوَنَا، وَيَسْاکِنُونَا، وَيَرْبُونَ أَوْلَادَنَا، وَنَدْفعُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالًا وَرُوَاتِبٍ؛ تَتَحَوَّلُ إِلَى خَنَاجِرٍ وَأَسْلَحَةٍ ضَدَّ إِخْرَانَا الْمُسْلِمِينَ.

أين الوعي العربي الإسلامي؟ أين صحة هذه الأمة؟!



يجب أن نعرف: من لنا ومن علينا؟ من هو صديقنا ومن هو عدونا؟

وإذا عرفنا ذلك، فقد سرنا خطوة أولى في الطريق الصحيح.

نسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سبلنا، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينصرنا على عدوه وعدونا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجيب لكم.

* * *



الرحلة إلى اليابان^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

أريد أن أحدثكم عن رحلتي الأخيرة إلى اليابان.

فقد زرت اليابان قبل ذلك مرتين: مرّة في أواسط السبعينيات، ومرة في أواخر السبعينيات من هذا القرن العشرين.

وهذه هي المرة الثالثة.

في المرتين السابقتين كان الوجود الإسلامي في اليابان ضعيفاً، فلم أحس به، ولكن في هذه المرة أحسست بهذا الوجود.

والدعوة جاءتني من المراكز الإسلامية هناك، فقد أصبحت هناك مراكز، وأصبحت هناك مساجد، وأصبحت هناك أماكن تجتمع فيها المسلمون، وأصبح هناك مسلمون يدرسون من البلاد الإسلامية.

انفتحت اليابان على العالم، وكانت مغلقة على نفسها من قبل،

(١) ألقى في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٢ المحرم ١٤١٨هـ، الموافق ٣٠ مايو ١٩٩٧م.



وأعطت منحًا دراسية لطلاب من العرب، وطلاب من باكستان، ومن بنغلاديش، ومن إندونيسيا وهم أكثر عدًّا.

هؤلاء الطلاب يحملون حماس الشّباب وإيمان الشّباب، وحيث وجد الشّباب المؤمن وُجد العمل وُجد النّشاط وُجدت الهمّة، لهذا كان الوجود الإسلامي في هذه المرة ظاهراً عن المرتين السابقتين.

وال المسلمين من قديم يتحدثون عن اليابان، وعن نشر الإسلام في اليابان، وعن استعداد اليابانيين للدخول في الإسلام منذ نحو قرن.

وهذا الحديث ينتشر في المجالات الإسلامية والصحف الإسلامية.

ومن أكثر من تسعين عاماً نُشر في مصر وفي الهند وفي عدد من البلدان: أن إمبراطور اليابان سيقيم مؤتمراً دينياً ليختار فيه أحسن الأديان لليابانيين!

ولم يكن هذا نباءً صحيحاً.

فإمبراطور لا يمكن أن يفعل هذا؛ لأنَّه مصدر ديني عند اليابانيين. اليابانيون يعتبرونه إلهًا أو ابن الآلهة، لا يكادون ينظرون إليه، إذا مشى موكله في الطريق، فالناس ينحون راكعين، ويخلعون أغطية رؤوسهم، ولا يجوز أن ينظروا إليه، ومن نظر إلى إمبراطور عوقب قانوناً!

حتى العساكر والجنود الذين يصطفون في الطريق تحية للإمبراطور يديرون إليه ظهورهم ولا ينظرون إليه.

فمثل هذا لا يمكن أن يتخلَّى عن دينه، وأن يبحث عن دين آخر، ولكن هكذا انتشر الخبر في البلاد الإسلامية، وذهب من ذهب إلى

اليابان في ذلك الحين، ولعلهم كانوا يريدون إقامة مؤتمر للأديان للتعرف على الأديان، وليس للتخلي عن دينهم.

وفي ذلك الوقت سافر أحد علماء الأزهر من المصريين، من الصعيد، من «جرجا» اسمه: «علي الجرجاوي»، كان يصدر مجلة في القاهرة اسمها: مجلة «الإرشاد»، دعا علماء مصر ورجال الأزهر أن يذهبوا إلى هذا المؤتمر في اليابان، ولما لم يستجب له أحد باع عدة أفدنة مما يملك في الصعيد، وقطع تذكرة في الباخرة، وذهب إلى اليابان مروراً بـ«ينبع» و«جدة» و«عدن» و«بومباي» و«سنغافورة» و«هونج كونج»، إلى أن وصل إلى اليابان، وفي الطريق تعرّف على أحد الصينيين قال عنه: إنَّ اسمه سليمان الصيني، وهذا سليمان الصيني عرَّفه على رجل يعيش في اليابان من روسيا، اسمه الحاج «مخلص محمود».

وحيثما وصلوا إلى اليابان تعرّفوا على رجل هندي يدعى «حسين عبد المنعم»، ثمَّ تعرّفوا على رجل ياباني، وصاروا خمسة، وكوَّنوا جمعية دينية لنشر الإسلام.

كتاب الشيخ الجرجاوي عن اليابان:

وقال الشيخ الجرجاوي في كتابه الذي سماه «الرحلة اليابانية»^(١): إنَّ الناس أقبلوا عليهم، وكانوا يشرحون الإسلام باللغة العربية، وهذا الياباني الذي أعطاهم منزله تبرعاً منه، ودخل في الإسلام، كان يجيد

(١) طبعه مطبعة جريدة الشورى بمصر سنة ١٣٢٥هـ، وقد عشر عليه د. عبد الوودود شلبي عام ١٣٨٢هـ بالمكتبة الأزهرية القديمة، وكتب حوله مقالة بعنوان: الرحلة اليابانية، نشرتها مجلة الأمة القطرية ص ٥٢ - ٥٥، عدد شوال ١٤٠٦هـ، ووصف الكتاب بأنه أشبه بالمذكرات اليومية للزعماء والمشاهير.



الإنجليزية كما يجيد اليابانية لغته الأصلية، فكان يحدث أناساً بالإنجليزية، وأناساً باليابانية.

وقال الشيخ الجرجاوي: إنَّه دخل في الإسلام حوالي اثنا عشر ألف شخص! ولكن في الواقع هذه الآلاف المؤلفة لم نجد لها أثراً حينما زرت اليابان في أواسط السبعينيات؛ لأنَّه ليس المهم أن يعلن الإنسان دخوله في الإسلام، ثمَّ تدعه في محيطه؛ فيذوب في هذا المحيط كما يذوب الملح في الماء، إنَّما المهم أن تتبعه وأن تعلِّمه الإسلام، وأن تحاول أن تعيشه في جو إسلامي ومحيط إسلامي.

لهذا ظلَّ اليابانيون بعيدين عن الإسلام.

دخل منهم من دخل في الإسلام، وذهب منهم من ذهب للدراسة في الأزهر، كان منهم علماء درسوا في الأزهر.

ومنذ نحو خمسة عشر عاماً أو ثمانية عشر عاماً جاءنا طالب ياباني هنا في الدوحة؛ ليدرس في كلية الشريعة في جامعة قطر، وظلَّ عدة سنوات، ولكن اللغة كانت مشكلته، كيف يستطيع أن يفهم الفقه وأصول الفقه والعقيدة؛ وهذه العلوم باللغة العربية؟!

وعجز هذا الطالب وعاد إلى اليابان، بعد أن حصل بعض العلم، وإن لم يكمل المسيرة.

وفي رحلتي هذه حضر هذا الطالب إحدى محاضراتي وسلم علي، وقال لي: ألا تذكرني؟

قلت: والله أذكر شكلك.

قال: أنا «معمر»، الذي كنت تلميذك في كلية الشريعة في قطر، وأنا الآن محاضر في كلية العلاقات الدولية.

المهم أنه أصبح يوجد الآن مسلمون، البعض يقدرونهم بعشرات الآلاف، ولكن أعتقد أنَّ هذا التقدير مبالغ فيه، هم بضعة آلاف، ربما كانوا خمسة آلاف أو عشرة آلاف أو نحو ذلك، لا يزيدون على ذلك فيما أظن.

ولكن الإسلام بدأ ينتشر فيما بينهم، ووجود هؤلاء الشباب - الذين يعيشون بالإسلام ويعيشون للإسلام - مهمٌ في نشر الإسلام بين اليابانيين، وإن كنت أخذت على كثير منهم أنَّهم يائسون من انتشار الإسلام هناك.

قال بعضهم: إنَّ اليابانيين قوم مشغولون، يعملون في اليوم اثنين عشرة ساعة، وربما خمس عشرة ساعة، وليس عندهم وقت للنظر في الأديان، وهم قوم عمليون يهتمون بالجانب العملي، أمَّا الجانب الفكري والجانب العقدي فهم يكتفون بما ورثوه.

ولكنني قلت لهم: أنا لا أافقكم على هذا، اليابانيون هم صنف من البشر الذين بعث الله إليهم محمداً ﷺ.

دُعْوَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ دُعْوَةٌ عَالَمِيَّةُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهؤلاء من الناس ومن العالمين.



وَمَا الَّذِي يُمِيزُ الْيَابَانِيِّينَ عَنْ غَيْرِهِمْ؟ أَلَمْ يَنْتَشِرِ الإِسْلَامُ فِي الصِّينِ
بِالقُرْبِ مِنْهُمْ مِنْذِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ؟!

وَهُؤُلَاءِ الْمَالِيْزِيِّونَ، وَهُؤُلَاءِ الْإِنْدُونِيْسِيِّونَ، وَهُؤُلَاءِ الْفَلَبِينِيِّونَ،
قَرِيبُونَ مِنْهُمْ وَقَدْ انتَشَرَ الإِسْلَامُ بَيْنَهُمْ!

مَا الَّذِي يَمْنَعُ مِنْ انتِشَارِ الإِسْلَامِ بَيْنَ الْيَابَانِيِّينَ؟

بِالْعَكْسِ، نَحْنُ نَعْتَبُ الْيَابَانِيِّينَ أَقْرَبَ إِلَيْنَا، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ثَارَاتٌ
قَدِيمَةٌ، كَمَا فِي الْحَرُوبِ الْصَّلِبِيَّةِ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْغَرْبِ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ صَرَاعَاتٌ حَدِيثَةٌ، كَمَا حَدَثَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الدُّولَ الَّتِي اسْتَعْمَرَتْ
الْبَلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَاحْتَلَتْ أَرَاضِيهَا.

هُمْ شَرَقِيُّونَ مِثْلَنَا، نَعْتَزُ بِنَهْضَتِهِمْ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مُودَّةٌ، فَلِمَاذَا نَقِيمُ
الْحَواْجِزَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟!

وَهُمْ يَعِيشُونَ فِي ظَلِ الْحَضَارَةِ الْمَادِيَّةِ الَّتِي غَزَّنَا، وَيَحْتَاجُونَ إِلَى
دِينٍ صَحِيحٍ يَعْرِفُهُمْ بِرَبِّهِمْ، يَعْرِفُهُمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا فِيهِ، بَدْلٌ لِعَقِيَّدَةِ
تَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي يَؤْمِنُونَ بِهَا.

الْيَابَانِيُّونَ يَنْتَشِرُونَ عَنْ دِينِهِمْ دِينَانَ:

دِينِهِمُ الْأَصْلِيُّ «الشِّنْتُوِيَّةُ»، وَهُوَ دِينُ الْإِمْپَراَطُورِ.

وَالدِّينُ الْآخِرُ «الْبُودِيَّةُ»، وَحَوَالَيِّي ثَمَانِينَ فِي المائةِ (٨٠٪) مِنْ أَهْلِ
الْيَابَانِ يَدِينُونَ بِالْبُودِيَّةِ.

الْبُودِيَّةُ مَذْهَبٌ فِيَهُ خَرَافَاتٌ كَثِيرَةٌ مُثْلُ «تَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ»: أَنَّ الإِنْسَانَ
بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ تَحْلُّ رُوحُهُ إِمَّا فِي مَخْلُوقٍ أَسْوَأَ مِنْهُ، قَدْ تَحْلُّ فِي كَلْبٍ أَوْ
خَنزِيرٍ أَوْ حَمَارٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَقَدْ تَحْلُّ فِي إِنْسَانٍ إِلَخْ.

وعندهم أنَّ الإِنسان يُسْتَطِعُ أَنْ يُشْتَرِي اسْمًا لَهُ فِي قِيمَةِ مَرْتَبَةِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَهْنَةِ يَبْيَعُونَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالنَّاسُ يَشْتَرُونَهَا بِحَوْالَيْ عَشْرِينَ أَلْفَ دُولَارٍ أَوْ تَزِيدُ!

مُجْرِدُ الْإِسْمِ يَنْقَلِهِمْ مِنْ مَرْتَبَةِ إِلَى مَرْتَبَةِ، وَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَمِنْ أَهْلِ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ!

هَذِهِ الْخَرَافَاتُ تَنْتَشِرُ بَيْنَهُمْ.

وَلَذِكْ هُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى عَقِيْدَةٍ سَلِيمَةٍ، إِلَى دِيْنٍ صَحِيحٍ، وَلَنْ يَجِدُوا هَذَا الدِيْنَ إِلَّا فِي الإِسْلَامِ.

كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّا لَمْ نُبَلِّغُ رِسَالَةَ الإِسْلَامِ كَمَا يَنْبَغِي.

مَسْؤُلِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ:

نَحْنُ - الْمُسْلِمِينَ عَامَةً وَالْعَرَبُ خَاصَّةً - مَسْؤُلُونَ عَنِ الدُّعَوَةِ إِلَى الإِسْلَامِ فِي الْعَالَمِ، سَيَسْأَلُنَا اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأَمْمِ الَّتِي ضَلَّتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَمْ تَهْتَدِ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ تَعْرِفْ عَقِيْدَةَ التَّوْحِيدِ وَلَا رِسَالَةَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيَسْأَلُنَا اللَّهُ عَنْ ضَلَالِ هَذِهِ الْأَمْمِ، الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ عَنِ الإِسْلَامِ، بَعْضُهَا لَمْ يَسْمَعْ عَنِ الإِسْلَامِ قَطُّ، وَبَعْضُهَا سَمِعَ عَنْهُ مَا يَمْنَعُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، سَمِعَ صُورَةً لَا تَحْمِلُ عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الإِسْلَامِ، صُورَةً مَشْوَوَةً، صُورَةً كَرِيهَةً عَنْ هَذَا الدِيْنِ، الَّذِي قَامَ بِهِ رَجُلٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ: السِيفُ فِي يَدِ النِّسَاءِ فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى إِلَّا نَحْنُ هَذِهِ التَّشْوِيهَاتِ الَّتِي صُورَتْ بِهَا رِسَالَةُ الإِسْلَامِ، وَرَسُولُ الإِسْلَامِ، وَدُعَوَةُ الإِسْلَامِ.

لَا بَدَّ أَنْ نَبْذلَ جَهْدًا فِي تَعْرِيفِ النَّاسِ بِهَذَا الدِيْنِ.



النَّصَارَى وَصَلُوا إِلَى الْيَابَانْ مِنْذْ سَنِينْ قَلِيلَة، عَشَرَاتْ السَّنِينْ.

حِينَمَا وَصَلُوا إِلَى الْيَابَانْ قَالُوا: مَا هَذِهِ الْلُّغَةُ؟

اللُّغَةُ الْيَابَانِيَّةُ هَذِهِ لُغَةٌ صَنَعَهَا الشَّيْطَانُ لَا نُسْتَطِعُ أَنْ نُتَرْجِمَ إِلَيْهَا
الْأَنَاجِيلَ!

اللُّغَةُ صَعْبَةٌ جَدًّا؛ لَأَنَّهَا حُرُوفٌ وَرَسُومٌ وَصُورٌ كُلُّهَا، وَلَكُنُّهُمْ فَرَغُوا
مِنْهُمْ شَبَابًا دَرَسُوا هَذِهِ اللُّغَةَ حَتَّى أَتَقْنُوهَا، ثُمَّ بَدَؤُوا يَخَاطِبُونَ النَّاسَ
بِلُسَانِهِمْ، وَيَنْقُلُونَ الْإِنْجِيلَ إِلَيْهِ، وَأَخْذُوا يَبْشِّرُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَيَنْصِرُونَ
النَّاسَ، وَيَدْخُلُونَهُمْ فِي النَّصْرَانِيَّةِ.

وَهُمْ لَا يَرِيدُونَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَسِيحِيُّونَ، يَقُولُونَ: فَقَطْ
قُلْ: «أَنَا مَسِيحِيٌّ»، وَلَا نَرِيدُ مِنْكُمْ شَيْئًا، نُعْمَدُكُمْ وَلَا نَطْلَبُ مِنْكُمْ أَمْرًا،
وَهَذَا أَمْرٌ سَهُلٌ يَسِيرٌ.

الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ، يَرِيدُونَ مِنَ النَّاسِ حِينَمَا يَدْخُلُونَ فِي
الإِسْلَامِ: كَيْتُ وَكَيْتُ، وَكَيْتُ وَكَيْتُ وَكَيْتُ!

لَا يَأْخُذُونَ النَّاسَ بِالْتَّيسِيرِ، أَوْلَى مَا يَقُولُونَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْلُوا،
وَكُمْ تَصْلُوا! الصَّبَحُ: أَرْبَعُ رُكُعَاتٍ، وَالظَّهَرُ عَشَرُ رُكُعَاتٍ، وَالعَصْرُ ثَمَانِيٌّ
رُكُعَاتٍ إِلَخ.

يَقُولُ النَّاسُ: هَذَا كَمْ هَائِلٌ لَا نُسْتَطِعُهُ.

وَيَقُولُونَ لَهُمْ: لَا تَفْعِلُوا كَذَا، وَلَا تَفْعِلُوا كَذَا، وَلَا تَفْعِلُوا كَذَا!

وَأَوْلَى مَا يَطْلَبُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْهُ: شَرْبُ الْخَمْرِ، وَالْيَابَانِيُّونَ
مُولَعُونَ بِشَرْبِ الْخَمْرِ، كَأَنَّهَا الْمَاءَ عِنْدَنَا: الْخَمْرُ شَيْءٌ أَسَاسِيٌّ لِدِيْهِمْ،
وَلَوْ كَانَتْ «بَيْرَا» عَلَى الْأَقْلَى.

عقبات في دعوة اليابانيين:

قال الإخوة هناك: هذه عقبة أمامنا.

قلت: لو أنَّ الإسلام فعل مع العرب ما تفعلونه مع اليابانيين، ما دخل العرب في الإسلام؛ لأنَّ الإسلام جاء والعرب مولعون بشرب الخمر، وكانوا يسمونها بأكثر من مائة اسم، وكم كان لهم شعر في مدحها؟ وكم وصفوا مجالسها وأقداحها ونُدماءها؟

وكم قال قائلهم:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ثُرُّوي عظامي بعد موتي عروقها^(١)!

هذه هي الخمر، فلو جاء الإسلام من أول الأمر وقال: امتنعوا عن الخمر، لقالوا: والله لن ندخل في الإسلام.

إنَّما أبقاهم على هذا الأمر وأخذهم بالتدريج، حتَّى نزلت الآية الحاسمة في سورة المائدة في أواخر العهد النبوي: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْثُمْ مُّنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

فقالوا: قد انتهينا يا رب، انتهينا يا رب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس، شرب بعضها وبقي منها البعض، فلم يُكمل الكأس وأفرغها في الحال، وقال: انتهينا يا رب.

(١) من شعر أبي محجن الشفقي. انظر: الحمامة البصرية (٣٨٩/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.

لم يقل ما قال امرؤ القيس قديماً: اليوم خمر وغداً أمر!

لا، بل ذهب إلى ما في بيته، وأخذ قرب الخمر ومزقها، وأفرغها وأسالها في الطرق، إعلاناً بالبراءة من هذا الأمر.

لا بد أن ندرج بالناس.

إنَّ النَّبِيَّ ﷺ حينما جاءه رجل يسأله عن الإسلام قال: «خمس صلوات في اليوم والليلة».

فقال: هل على غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تطوع.

«وصيام شهر رمضان».

فقال: هل على غيره؟ فقال: لا، إلا أن تطوع.

وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال: هل على غيرها؟
قال: لا، إلا أن تطوع.

فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»^(١)، أو «دخل الجنة وأبيه إن صدق»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) هذه الزيادة رواها مسلم كما في الحديث السابق.

وقوله في الحديث: «وأبيه» كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها، تريده بها التأكيد، غير قاصدة بها حقيقة الحلف. والمعنى عن الحلف بالأباء ورد فيمن قصد حقيقة الحلف، لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به والله تعالى.

ويحتمل أن يكون هذا قبل التهلي عن الحلف بغير الله تعالى. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦٨/١)، نشر دار الفكر.

وفي حديث مماثل قال: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»^(١).

حينما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإنْ أطاعوا لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنىائهم فترد في فقرائهم»^(٢).

منهج التدرج في الدعوة:

هذا منهج التيسير والتدرج.

هذا يحتاج إلى داعية موفق يركز على الأساسيةات، ولا يدخل في التفصيات والفروع والهوامش، التي يثقل بها كاهل الإنسان الداخل في الإسلام، هذا نتركه يتعلم ثم يترقى هو شيئاً فشيئاً.

في أول الأمر نركز على أداء الفرائض واجتناب الكبائر، حتى لو أنَّ هناك كبيرة لا يستطيع أن يتخلى عنها مثل «شرب الخمر» نقول له: إن شاء الله ستتوقف فيما بعد إلى اجتنابها.

ما المانع من أن يدخل في الإسلام وهو شارب الخمر؟

لا بدَّ أن يكون عند الداعية أفق واسع يركز على الأساسيةات ويدع الهوامش، يركز على الأصول ويدع الفروع، لا يدخل في الأمور المختلفة فيها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

بعض النّاس الَّذين يدعون إلى الإسلام يُدخلون الداخل في الإسلام
في متأهّات، يحدّثونه في أمور لا حاجة له فيها، يحدّرّه من الطواف
بالأضرحة ومن تقدیس الأولياء!

وما حاجته إلى الأضرحة وإلى الأولياء، وليس عنده لا أضرحة
ولا أولياء؟!

هؤلاء قوم لا يدفنون موتاهم، يحرقون الموتى، فما عاد عنده قبور
ولا أضرحة ولا شيء من هذا.

وهناك من يُدخل الداخل في الإسلام، فيما تختلف فيه المذاهب
بعضها وبعض!

لا نريد أن ندخله ولا أن نربطه حتّى بمذهب، بل نربطه بالإسلام العام.
ما حاجته أن تقول له: أنت حنفي، أو أنت مالكي، أو أنت شافعي؟!
ليدخل في الإسلام العام، ويسأل فيما يعنّ له من تيسّر له من أهل العلم.
قال لي الإخوة: نحن محتاجون إلى أن نختلط بهؤلاء حتّى نعلّمهم
الإسلام، والاختلاط يتربّ عليه أشياء منها:
١ - آننا لا بدّ أن نأكل طعامهم. قلت لهم: كلوا طعامهم.

الشیخ رشید رضا رحمۃ اللہ علیہ قال: إنَّ هؤلاء البوذيين وغيرهم يعاملون
معاملة المجنوس^(١)، وقد سُئل النَّبِي ﷺ عن المجنوس فقال: «سنوا بهم
سنة أهل الكتاب»^(٢).

(١) انظر: تفسير المنار (١٨/٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) رواه مالك في الجزية (٩٦٨)، والشافعي في المسند (١٠٠٨)، وعبد الرزاق في أهل الكتاب (١٩٢٥٣)، وأبن أبي شيبة في الزكاة (١٠٨٧٠)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٨)، عن عبد الرحمن بن عوف، لكن أخذ الجزية من المجنوس ثابت بأحاديث أخرى.

وقد كان المجنوس يقولون بـإلهين اثنين: إله للخير والنور، وإله للشر والظلمة، وكانوا يعبدون النار، ومع هذا رأينا النبي ﷺ قال: «سنوا بهم سُنة أهل الكتاب».

٢ - قالوا: يعرضون لنا الخمر في حفلاتهم.

قلت: هل يلزمونكم بشرب الخمر؟

قالوا: لا، بل هم مؤدبون جدًا معنا، لا يطلبون منا أن نشربه، ولكن نحن نجلس في مجتمع يُشرب فيه الخمر.

قلت: يا أخي هذه سهلاً؛ لأن المحرمات أنواع ومستويات، هناك محرمات لا تُباح بحال، لا لضرورة ولا لغير ضرورة؛ مثل: تحريم نكاح الأم والبنت، والعمة والخالة والأخت: ﴿ حَرَّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَّاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَلَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخْ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَّاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَعَةِ وَأُمَّهَّاتُ نِسَاءِكُمْ وَرَبِّيْبَكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَاءِكُمْ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَّلْ أَبْنَاءِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣].

هذه لا تُباح بحال من الأحوال.

وهناك محرمات تُباح للضرورة مثل: أكل الميتة والدم والخنزير، الله تعالى يقول: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وهناك محرمات تُباح للحاجة، أي: أقل من الضرورة.



العلماء قالوا: ما حُرِّم لذاته يُباح للضرورة، وما حُرِّم لسَدِ الذريعة
يُباح للحاجة.

فجلوس الإنسان في المجالس التي يُشرب فيها الخمر محرّم لسدِ
الذریعة ليس لذاته.

شرب الخمر محرّم لذاته، إنّما أن تجلس في مجلس يدار فيه الخمر
هذا حُرِّم لسدِ الذريعة، فهذا يُباح للحاجة.

إذا كنت في حاجةٍ إلى أن تختلط بهؤلاء وتقرب منهم لترغبهم في
الإسلام، فلا بأس في هذا ولا حرج إن شاء الله.

نحن في حاجةٍ إلى الداعية الذي ينظر إلى الإسلام بعين وإلى الواقع
بعين أخرى، ويزاوج بين الواجب والواقع، ويقترب من الناس ويعرف
مشاكلهم، ويخاطبهم بلسانهم، وهذه مشكلة.

النصارى كما قلت لكم قالوا: إنَّ المشكلة هي اللغة، ثم عرفوا اللغة
القوم، وأدخلوا من أدخلوا في النصرانية، وصار لهم عشرات الجامعات
البروتستانتية وبضع عشرة جامعة كاثوليكية.

نحن في حاجةٍ إلى أن ندرس اللغة اليابانية لغة القوم؛ فإنَّ الله تعالى
يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

للأسف لا يوجد عندنا مؤسسات للدعوة العالمية تدرس هذه الأمور،
وبعث إلى كلّ قوم من يخاطبهم بلغتهم، بلسانهم.

في سنة (١٩٧٨م) اجتمع المبشرون البروتستان في «كلورادو» في
أمريكا، وكان هدفهم العمل على تنصير مسلمي العالم، ورصدوا لذلك ألف

مليون دولار، وكُوئنوا لذلك معهداً اسمه «معهد زويمر» باسم هذا المنصر العُتل القديم، الذي كان مقره في البحرين في أوائل هذا القرن، أرادوا أن يحيوا ذكراه بإنشاء هذا المعهد: معهد مهمته أن يخرج منصريين للمسلمين.

ما معنى منصريين للمسلمين؟

يعني أنساً متخصصين في تنصير المسلمين: منصر يذهب إلى جنوب إفريقيا، وثانٍ يذهب إلى شمال إفريقيا، وثالث إلى شرق إفريقيا، ورابع إلى غرب إفريقيا، وغيره يذهب إلى وسط إفريقيا، كلُّ واحد من هؤلاء عليه أن يدرس القوم الذين سيبشّر فيهم، يدرس لغتهم، يدرس اللهجات المحلية، يدرس العقيدة السائد़ة: أي عقيدة هي؟ هل هي العقيدة السلفية أو العقيدة الأشعرية؟ أي طريقة من الطرق منتشرة بينهم؟ القادرية أم النقشبندية أم التيجانية؟ أي مذهب يسود بينهم: المالكي، أم الشافعي، أم الحنفي؟ ما هي الشخصيات المؤثرة فيهم؟ إلخ، ويعيش بينهم ويعرف كلَّ شيء عنهم.

نحن في حاجة إلى أن نفعل هذا، وأنا أقول: ليس معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] أنك تكلّم اليابانيين باليابانية والصينيين بالصينية فقط.

لا، إنَّما تكلّم كلَّ قوم باللسان الذي يفهمونه، والذي يؤثُّر فيهم.

تكلّم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، تكلّم أهل الشرق بلسانهم، وأهل الغرب بلسانهم، المتحضرون لهم لسان، والبدو لهم لسان، أهل الريف لهم لسان، وأهل المدن لهم لسان، لا بدَّ أن تخاطب كلَّ قوم بلسانهم.



نَحْنُ لَمْ نُعِدُ الْعُدْةَ لِهَذَا الْأَمْرِ لِلأسْفِ، لَمْ نُهَيِّءِ الدُّعَاءَ الَّذِينَ يَنْتَشِرُونَ فِي الْعَالَمِ، دِينَنَا دِينٌ عَالَمِيٌّ، وَمَعَ هَذَا لَمْ نُنْشِرْهُ فِي الْعَالَمِ.

الْمَسِيحِيَّةُ لَيْسَتْ دِينًا عَالَمِيًّا، الْمَسِيحُ قَالَ: أَنَا لَمْ أَبْعَثَ إِلَّا إِلَى خَرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةَ^(١). وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ بَعَثَ لِلْعَالَمِينَ.

النَّبِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي أَعْلَنَ أَنَّ دُعَوَتِهِ لِلْعَالَمِينَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ هَذَا لَمْ نُبَلِّغُ الْعَالَمَ دُعَوَتِهِ.

الْعَالَمُ مُفْتَوِحٌ لَنَا إِلَآنَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نُنْشِرَ دُعَوَتِنَا بِشَتَّى الْلُّغَاتِ مَا اسْتَطَعْنَا، نَسْتَطِيعُ أَنْ نُوجِّهَ دُعَوَتِنَا بِالإِذَاعَاتِ الْمُوجَّهَةِ إِلَى الْعَالَمِ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نُبَعِّثَ بِهَا إِلَى الْعَالَمِ كُلَّهُ، عَنْ طَرِيقِ الْمُحَطَّاتِ الْفَضَّائِيَّةِ، نَسْتَطِيعُ، وَلَكِنْ لَمْ نُفْعِلْ هَذَا!

أَيْنَ أَغْنِيَاءُ الْمُسْلِمِينَ؟ أَيْنَ الْمَلَيِّنَاتِ الَّتِي تَذَهَّبُ هُنَا وَهُنَاكَ؟

لَمَذَا لَا تُرْصَدُ كَمَا رُصِدَ أُولَئِكَ «أَلْفُ مَلِيُّونِ دُولَارٍ» جَمِيعُهَا مِنْ أَغْنِيَاءِ النَّصَارَى، أَلْفُ وَاحِدٍ مِنْ كُبَارِ الْمَلِيُّونِيرَاتِ، مِنْ كُلٍّ وَاحِدٍ مَلِيُّونَ، جَمِيعُهُمُ الْأَلْفُ مَلِيُّونَ بِأَسْهَلِ مَا يَكُونُ، وَمَا أَكْثَرُ مِنْ عِنْدِنَا مَمْنَ يُسْتَطِيعُونَ أَنْ يُعْطُوا مَلِيُّونًا وَلَكِنْ أَيْنَ هُؤُلَاءِ^(٢)؟

(١) انظر: إنجيل متى (٦/١٠).

(٢) يقول الشیخ علي الجرجاوي رحمه الله في كتابه: الرحلة اليابانية موجهًا كلامه إلى الأغنياء والموسرين من المسلمين: أَمَّا أَنْتُمْ أَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْمَوْسُرُونَ، فَإِنْكُمْ خَالِفُتُمْ سِيرَةَ كُلِّ ذُوِي الْغُنْيَةِ وَالْيُسَارِ مِنَ الْأَمْمِ الْأُخْرَى، تَلَكَ السِّيرَةُ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا أَوْلَى وَأَحْرَى؛ إِذَا نَتَمْ تَجَهِيدُنَّ أَنْفُسَكُمْ لِلَّيْلِ نَهَارٍ فِي كَسْبِ الدِّرَهْمِ وَالدِّينَارِ، وَتَبَذَّلُونَ مَا تَجْمَعُونَهُ فِي سَبِيلِ الْمَلَاهِيِّ وَالْعَقَارِ، وَمَظَاهِرِ الْأَبْهَةِ وَالْفَخَارِ، أَوْ فِي لَعْبِ الْقَمَارِ، أَوْ تَكْتَنِزُونَهُ خَوْفًا مِنَ الْدَّهْرِ أَنْ يُوقَعُوكُمْ فِي شَرِكِ الْفَقْرِ، أَوْ تَدْلُونَ بِهِ إِلَى الْحُكَّامِ طَمْعًا فِي رَتْبَةِ أَوْ نِيشَانٍ، أَوْ يُسَاعِدُوكُمْ عَلَى ظُلْمِ فَلَانٍ وَفَلَانٍ.

نحن في حاجة إلى تكوين دعوة ينتشرون في أرجاء العالم، وينشرون الإسلام فيه.

تصوّروا أن معظم لغات العالم لا يوجد فيها ترجمة صحيحة للقرآن الكريم، بل لا توجد ترجمة مرضي عنها من المسلمين في أي لغة، حتى اللغة الإنجليزية التي هي أشهر اللغات والتي يتكلّم بها مئات الملايين من المسلمين، لا توجد فيها ترجمة صحيحة لمعاني القرآن، أو لتفسير مختصر للقرآن الكريم.

المسلمون مقصرون:

نحن في حاجة إلى أن نعرض ديننا على العالم، ونقيم الحجّة على الناس، ونُعذر إلى الله تعالى.

= أمّا هؤلاء فإنهم يبذلون أموالهم في نشر العلوم والصناعات، وغير ذلك من وجوه المنافع، وبذلك سادت الأمم الراقية وارتقت، بمقدار احتطاطكم في الهمم.

أليس من الخسران المبين أنكم تمنعون زكاة المال، ولا تؤدون شكر المنعم به عليكم، وتذهبون في كل صيف من كل عام إلى أوربا، وتبدرون ذات اليمين وذات الشمال، في سبيل شهواتكم النفسية، وبعد صرف الدرهم والدينار تفدون محتقين الأوزار والذل والعار، على حين أنكم ترون الأغنياء من الأمم الأخرى تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية، وترقية العلوم العصرية؟!

ماذا عليكم لو فتحتم اكتتاباً لتأليف بعثة دينية، ت safر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية، والعقائد الإسلامية، على أنَّ المال لديكم لا يُوزن بالميزان؟ بل يُكاف بالقفزان؟

هل يوجد منكم ألف، ولو على وجه التقرير، يوجد كُلُّ واحد بنصف ما يصرفه في شهواته البهيمية؛ ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه، أمّا دينه فلأنه سعى في الدعوة إليه، وأمّا وطنه فلأنه بفعله هذا يجعل الأمم الأخرى ترمي المصري بعين الاعتبار، وأمّا نفسه فلأنه أكسبها فضيلة من أعظم الفضائل؟!

هذه كلمتي قلتُها، وإنّي على يقين بأنها لا تعد منصفاً كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال، ولا تلبّس عليه الحقُّ بزور المقال، كما أنها لا تعد من خلقه المجادلة في الله بغير علم ولا هدى، والله يرشدنا إلى الطريق المستقيم. تنظر مقالة د. عبد الوودود شلبي عن الرحلة اليابانية، مجلة الأمة القطرية ص ٥٥، عدد شوال ١٤٠٦هـ.



صحيح أنَّ العالم المتقدم الآن وصل إلى القمر، وغزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، وصنع هذه الثورات المعروفة: الثورة البيولوجية، والثورة الإلكترونية، والثورة المعلوماتية إلخ هذه الثورات، ولكن الإنسان الذي وصل إلى القمر لم يستطع أن يُسعد نفسه على ظهر الأرض، هو في حاجة إلى دين يتحقق له معنى وجوده، ويعرفه سرَّ حياته، ولماذا يعيش، ولماذا يموت: وماذا بعد الموت؟

لا يوجد هذا إلَّا في رسالة الإسلام.

نحن مسؤولون عن إيصال هذه الرسالة إلى البشر جميعًا، ونحن قادرون لو أَنَا جعلنا هذا في بؤرة الشعور، وجعلناه نصب أعيننا، ولم نجعله على هامش حياتنا.

نحن أمَّة دعوة، فالله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] كلُّ من اتبع محمداً ﷺ فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة.

نحن أمَّة مبعوثة كما قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعثْتُمْ مِّسْرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعْسِرِينَ»^(١).

نحن مبعوثون بما بُعث به نبينا ﷺ.

قال ربعي بن عامر لرستم قائد جيوش الفرس - حينما سأله: من أنتم؟ وما الذي أخرجكم من بلادكم؟ - : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(٢)!

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

انظروا إلى هذا الصحابي الذي لم يخرج في جامعة، وإنما تربى في مدرسة محمد عليه السلام، لخُص أهداف الإسلام الكبرى، وفلسفة الإسلام الكلية في هذه الكلمات، لم يدخل في التفاصيل التي يدخل فيها بعض الدعاة، قال له: الإسلام جاء يحرر الناس من عبادة الطواغيت، حتى يعبدوا الله وحده، ويعرفهم بالعدل الذي هو هدف الرسالات السماوية كلّها، ويخرجهم من جور الأديان وتطرفات الأديان إلى عدل الإسلام ووسطية الإسلام.

هذا ما ينبغي أن نعرفه:

نحن في حاجة إلى أن نجعل هذا الأمر من أوليات حياتنا.

اليابانيون يمكن أن يدخلوا في الإسلام لو وجدوا الدعاة الصادقين، الدعاة الذين يعيشون بالإسلام وللإسلام.

وأنا قلت للإخوة: إنكم تؤثرون في اليابانيين بسلوككم أكثر مما تؤثرون بكلامكم، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

بماذا انتشر الإسلام في البلاد التي دخلها؟

هل انتشر بالسيف كما يقول المبشرون والمستشرقون وأمثالهم؟

لا والله، إنَّ السييف قد يفتح أرضًا، ولكنه لا يفتح قلبًا.

وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامي، ولم تعرف السييف قط: إندونيسيا، ماليزيا، الفلبين، بنغلاديش، حتى الهند التي دخلها المسلمون، دخلوا جزءاً معيناً منها بجيوشهم، ثمَّ انتشر الإسلام بطريق الدعوة ومعايشة المسلمين الصالحين، إفريقيا انتشر الإسلام فيها بطرق الصوفية وبالتجار، وهكذا.



ذهب الناس من اليمن ومن حضرموت وغيرها إلى ماليزيا وإندونيسيا ليشتروا الأشياء التي عرفت بها هذه البلاد، ويوردوها بلادهم، ورآهم الناس؛ فوجدوا فيهم الصدق في القول، والأمانة في العمل، والتواضع للناس، وحب الخير والشهامة والنجدة، وكل صفات الخير.

وجدوهم يعبدون الله، إذا جاء وقت الأذان أذن المؤذن فقاموا وتطهروا وصلوا صفوًا، أعجبوا بهم وسائلوهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون.

قالوا: ما الإسلام؟

فأجابوهم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتصبح أخا لي وأصبح أخا لك، ونتعاون على البر والتقوى.

هل هناك شيء مطلوب مني لأدخل في الإسلام؟

لا، لا يُطلب منك شيء، تعلن فقط «أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله»، وتلتزم بأحكام هذا الدين؛ لأن الإسلام ليس فيه تعميد ولا طقوس لمن يريد الدخول فيه، ليس فيه شيء من هذا.

وفي عصرنا وجدنا أناساً للأسف كما حكى لي أحد كبار المسؤولين في إندونيسيا في أواسط السبعينيات، قال: أرادت بعض القبائل في إندونيسيا أن تدخل في الإسلام؛ فذهبوا إلى بعض المشايخ من العلماء الكبار، وقالوا لهم: نريد أن ندخل في الإسلام. فقال لهم: تستطيعون أن تدخلوا بشرط.

قالوا: وما هو الشرط؟

قال: أن تختتنوا!

فأعرضوا عن الإسلام.

هذا إنسان خائب؛ اعتبر الاختتان شرطاً، من قال: إنَّ هذا شرط؟

يستطيع الإنسان أن يفعل هذا فيما بعد، وهو ليس من الأركان ولا الفرائض، إنَّما هو من سُنن الفطرة.

فلا بدَّ أن يكون هناك عقل مسلم يستطع أن يُدخل النَّاس في الإسلام.

اليابانيون قريبون جدًا منا، وعندهم عادات طيبة، من هذه العادات:

الحياء، الحياء صفة عامة، الياباني رجل حيي، رجل مؤدب مهذب. لهذا لم أجده في اليابان كُلُّها من يقبل امرأة في الطريق، كما وجدت ذلك في أوروبا وأمريكا، هذا المشهد لا يوجد في اليابان تلقائيًا.

هم أناس مؤدبون، ويحترمون الكبير، ويرحمون الصغير، كما هو شأن الإسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»^(١).

الكبير عندهم يُحترم، بل كُلُّ سابق يُحترم، يحترمون الأقدم: الأقدم سنًا، الأقدم في الخبرة والوظيفة، الأقدم في الصف، الذي يسبقك في الصف يصير هو أولى منك؛ فلا تحاول أن تتقدم عليه.

ويحترمون الصغير، الطفل محترم عندهم جدًا، الرجل الكبير يقوم للطفل ليجلسه!

(١) رواه أحمد (٦٧٣٣)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٣)، والترمذني في البر والصلة (١٩٢٠)، وقال: حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.



وعندهم النّظام التعليمي يهتم بالأطفال اهتماماً بالغاً، ليت بلادنا الإسلامية تحاول أن تستفيد من النّظام التعليمي في اليابان.

الأمرikan قالوا للليابانيين: تعالوا فانظروا في مناهجنا التعليمية وانقدوها، وماذا فيها من عيوب؟ وماذا فيها من نواقص؟ وماذا تقترحون للعلاج؟

الأمرikan فعلوا هذا؛ لأنّهم كانوا يرون أن نظامهم التعليمي يكاد ينهار، وكتب منهم من كتب كتاباً معروفاً، ترجم إلى العربية تحت عنوان: «أمّة على حافة الخطر».

ينبغي أن تستفيد من هؤلاء.

الليابانيون يهتمون بشخصيّة الطفل وبناء شخصيته، الأطفال - كما قيل لي - مسؤولون عن مدارسهم، لا يوجد في مدارس اليابان فرّاشون ولا فرّاشات! الأولاد هم الذين ينظفون المدرسة ويحملونها ويزينونها، يحملون الطفل هذه المسؤولية.

ويحملونه مسؤولية جماعية، يغرسون فيه روح الجماعة من أَوْلِ الأمر: الألعاب ألّاعاب جماعية، العمل أعمال جماعية.

نحن في حاجة إلى هذا الأمر، وهذه الروح.

قال لي أحد الإخوة: إن ابنه كان في إحدى المدارس اليابانية، وارتكب خطأ، دفع المدرسة فوّقت، فأخذته بالرفق، فعرفت بذلك والدته فقالت لها: لماذا لم تخبرينا بهذا الأمر؟

قالت لها: ولماذا أخبركم؟ هو ابني كما هو ابنكم! والطفل ينبغي أن

نسامحه، إذا ارتكب عشر غلطات نسامحه في التسع ونحاسبه على واحدة، ونأخذه بالرّفق حتّى يدع هذه الأشياء!
انظروا إلى هذه الرّحمة، وهذه العناية بالطّفولة.

اليابانيون عندهم قدر من المادّيّة والفردية:

قال لي بعض الإخوة: يمكن أنْ يموت الرجل هنا جوًعاً، ولا يوجد أحداً يمدُّ إليه يد المعونة!

وهذا ما لا يمكن أنْ يحدث في ديارنا طبعاً.

ثمَّ من ناحية أخرى: الآن غزتهم الحضارة الغربيَّة، الجيل الجديد بدأ يتغير عن الأجيال القديمة، قد غزتهم أفلام الجنس، وأفلام العنف الأمريكية.

وذهب الشباب إلى بلاد الغرب بدأ يؤثر عليهم، ويُفسد من أخلاقهم، ويغيِّر من طبائعهم وسلوكياتهم، وهذا هو الخطر على هذه الأُمَّة.

المهم - أيها الإخوة - أنَّا في حاجة إلى أن نعرف هؤلاء القوم، وأن ننشر فيهم دعوة الإسلام، وأن نبلغهم رسالة الله.

نحن أُمَّة مسؤولة عن تبليغ رسالة الله إلى العالم، نحن مسؤولون عن هذا بصفتنا أُمَّة، وبصفتنا أفراداً.

نحن كأفراد ينبغي أن نبحث عن هذا الأمر، ويسأل كلُّ منَّا نفسه: ماذا قدَّمت أنا للإسلام؟ ماذا بذلت في سبيل نشر الإسلام؟

أنت مسؤول عن هذا، كلُّ مسلم مطالب بهذا؛ لقول الله تعالى:

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [النَّحْل: ١٢٥].

هل دعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟ هل جادلت بالتي هي أحسن؟

ينبغي على كل مسلم أن ينظر في هذا الأمر.

ويوم نشعر بهذه المسؤولية الكبرى سيتغير الحال.

إنَّ بلاد المسلمين وسوء أوضاعها تقف حاجزاً في سبيل نشر الإسلام؛ لأنَّهم يقولون: إذا كان الإسلام بهذه الصورة التي تعرضونها؛ فلماذا نرى بلادكم على عكس ذلك؟

إذا كان الإسلام يدعو إلى العلم؛ مما بال المسلمين جهلاء؟

وإذا كان يدعو إلى القوَّة؛ مما بال المسلمين ضعفاء؟

وإذا كان يدعو إلى النَّظافة؛ مما بال هذه القدارة التي تضرب أطنابها في بلاد المسلمين؟

وإذا كان يدعو إلى النَّظام؛ مما هذه الفرضي؟

وإذا كان يدعو إلى التَّآخي؛ مما هذه العداوة بين المسلمين بعضهم وبعض؟

وإذا كان، وإذا كان إلخ، فنحن الَّذين نقف عقبة في سبيل الإسلام.

يجب أن نصْحِح مسالكنا، ونصلح من أحوالنا، وأن نجتهد في نشر ديننا، ولن يتربَّأ الله أعمالنا، والمستقبل لهذا الدين إن شاء الله

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْكَرَةُ الْكَفِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْأَدِينَ كُلِّهِ وَلَوْكَرَةُ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



اليوم العالمي لمكافحة المخدرات^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

حدّثنا اليوم عن المخدرات، بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، وقد أصبح العالم كله يكافح هذه الآفة القاتلة المدمرة، التي تقوم عليها عصابات وشبكات خطيرة، لأناس يملكون المال، ويملكون السلاح، وهم في بعض البلاد: دولة داخل الدولة، يُسقطون الحكام ويقيمون لهم، بما لهم من نفوذ، وما يملكون من ثروات، وما يشترون من ذمم، وما يستخدمون من وسائل لا تقييد بأي قيم أو أخلاق، فغايتهم خبيثة، ووسائلهم أشدّ خبثاً.

هؤلاء الناس يقومون على تدمير البشر، وتخريب حياة البشر؛ ليملكوا هم الملاليين والبلاليين بعد ذلك.

هذه الآفة يشكو العالم منها، كلّ العالم، ونشكو منها نحن العرب والمسلمين، فقد دخلت إلى بلادنا من قديم تحت اسم «الحشيشة» أو

(١) هو السادس والعشرون من شهر يوليو.

«الحشيش»، وقاومها علماء المسلمين، وقد دخلت مع التتار، مع سيف التتار إلى بلاد المسلمين، وكان المسلمون يعتقدون أنَّ تسلیط التتار عليهم بسبب انتشار هذه الآفة القبيحة.

أجمع علماء المسلمين - يوم ظهرت هذه الآفة وهذه الحشيشة - على تحريمها، لم يشذ عن ذلك فقيه من الفقهاء، ولا مذهب من المذاهب، كُلُّهم قالوا بتحريمها، فهي حرام، بل هي كبيرة، وقالوا: إِنَّ من استحلَّ أكلها أو شربها أو تناولها، فلا بدَّ أنْ يُستتاب (تطلب منه التوبة)، فإنْ تاب ورجع فيها، وإنَّ عوقيب كما يُعاقب المرتدون؛ لأنَّه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.

تحريم المخدرات في القرآن والسنّة:

للأسف نجد في عصرنا أناساً يماحكون بالباطل، ويجادلون في غير موضع للجدل، يقولون: لا نجد في القرآن ولا في السنّة على حرمة هذه المخدّرات!

وكذبوا؛ فنصوص القرآن والسنّة تحرّم هذه المخدّرات بلا نزاع.

هؤلاء يريدون أنْ يأتي القرآن ويقول: قد حرمت عليكم الحشيش، أو قد حرمت عليكم الويسيكي أو الكنياك أو الشمبانيا!

القرآن لا يأتي بالتفصيلات، والسنّة لا تأتي بالتفاصيل، إنَّما تضع مبادئ عامة، وقواعد كلية، ونصوصاً مطلقة، يدخل تحتها آلاف الجزئيات والمسائل.

هذا ما يأتي به القرآن وما تجيء به السنّة.

القرآن قد حرم الخمر وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

هكذا نزلت الآياتان الكريمتان في سورة المائدة، وحينما قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْهَوْنَ﴾ قالوا: قد انتهينا يا رب، قد انتهينا يا رب^(١).

كان الرجل منهم يمسك بالكأس في يده، شرب بعضها وبقي بعضها، فأفرغها ولم يكمل الكأس، ثم ذهبوا إلى بيوتهم؛ فجاؤوا بقرب الخمر وأفرغوها في طرقات المدينة، وقالوا: انتهينا يا رب.

وكلمة ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ ليست كما يزعم بعض الناس كلمة خفيفة لا تدل على التحرير؛ بل تدل على أبلغ التحرير وأشدّه، ولذلك تأتي مع الشرك ومع الكبائر، كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَكَ الْزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (أي: الأصنام والأوثان) ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحَشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْرِفُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

فهكذا كلمة ﴿اجْتَنِبُوا﴾ لا تأتي إلا مع الشرك والطاغوت والأصنام، وكبائر الذنوب وفواحشها.

ومعنى ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، أي: اجعلوا بينكم وبين هذا الشيء جانباً، وابتعدوا عنه.

(١) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال محرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذني في التفسير (٣٠٤٩)، والن sai في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

مثلها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا الْزِنَةِ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ليس معناه: «لا تزنوا» فقط، بل ابتعدوا عن كلّ ما يقرّب إلى الزنا: الخلوة، التبرّج، الخلاعة، النّظرة بشهوة، إلى آخر هذه الأشياء.

حرّم الإسلام الخمر ولعن فيها عشراً^(١)، كلّ من ساهم فيها من قريب أو بعيد.

فما هي الخمر؟

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر النبي ﷺ: إنَّ الخمر قد حُرِّمت، وهي من خمسة أشياء (وهي الأشياء التي كانت موجودة في الحجاز وفي المدينة في ذلك الوقت): العنب، والتمر، والعسل، والبُر (أي: القمح)، والشعير. ثمَّ قال: والخمر ما خامر العقل، ألا إنَّ الخمر ما خامر العقل^(٢).

هذه الأشياء الخمسة هي التي كانت موجودة، لكن عمر وضع هذه القاعدة: الخمر كُلُّ ما خامر العقل، أي: خالط العقل ولا يُبْسِه، وأخرجه عن طبيعته المدرِّكة المميزة الحاكمة، بحيث أصبح يخلط بين الأشياء بعضها وبعض، ويرى بعيداً قريباً والقريب بعيداً، ويرى المحال معقولاً، ولا يميّز بين الصواب والخطأ، ولا بين النفع والضرّ، والخير والشرّ.

«كل ما أخرج العقل عن طبيعته وخامر فهو خمر»، هكذا قال عمر أمّام الصّحابة ولم ينكر عليه أحد، فهذا إجماع من الصّحابة.

(١) رواه أحمد (٥٧١٦)، وقال مخرجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، كلامهما في الأشربة، عن ابن عمر.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري (٤٦١٩)، ومسلم (٣٠٣٢)، كلامهما في التفسير، عن ابن عمر.



وهذا ما ينطبق على هذه المخدرات: حشيش، أفيون، كوكايين، هيروين، كلُّ هذه الأشياء تخامر العقل، وتجعل الإنسان غير واع بنفسه ولا بما حوله، ويتصور الأشياء على غير ما هي عليه.

الناس يقولون عنه: مسْطَول، إنسان تائه ضائع، لا يعرف واجبه، ولا يعرف حقَّه، لا يعرف نفسه، ولا يعرف ربَّه، ولا يعرف أهله، ولا يعرف وطنه، إنسان فقد الوعي.

فمثل هذا نعتبره قد تناول الخمر بالمفهوم العمري، لا فرق بين الخمر المعروفة وهذه الأشياء، إلَّا أنَّ الخمر مادة سائلة، وهذه الأشياء مادة جامدة، والجمود والسيلان لا أثر له في الأحكام.

المهم الأثر الذي يتركه على عقل الإنسان.

هؤلاء الذين يأكلون الحشيش أو يتناولون الأفيون أو يشمون الهيروين أو نحو ذلك، أناس فقدوا وعيهم، يعيش الواحد منهم لشهوته، (لكيفه) كما يقولون. ويقول أحدهم: (راس بلا كيف يستاهل ضرب السيف)!

هؤلاء أناس فقدوا وعيهم، لم يعودوا يصلحون لدين ولا دنيا، لم يعودوا يصلحون لحماية أسرة ولا لحماية مجتمع.

هؤلاء ضحايا هذه المواد المخدرة.

القرآن حَرَمَ الخمر، والأحاديث حَرَّمتَ الخمر، وهؤلاء من شُرَّاب هذه الخمر، فالخمر ما خامر العقل.

تحريم القرآن للخبائث:

ثُمَّ من ناحية ثانية: القرآن قد حَرَمَ الخبائث.

كان من أوصاف النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب (أهل التوراة والإنجيل) أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايْهُم عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحَلِّ لَهُمُ الظَّيْبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيَّهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

اليهود حُرِّمت عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم كما قال الله تعالى: ﴿فِيظُلْمٌ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذَهُمُ الرِّبَوْا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

حرَّم الله عليهم الطيبات بسبب هذه المنكر وهذه الكبائر.

أمّا محمد ﷺ فجاء يحلُّ لأمته كلَّ الطيبات، ويحرِّم عليها الخباث، الأشياء الضارة والمؤذية والسيئة.

ما حرَّم إلَّا خبيثاً وضاراً ومؤذياً، كلُّ ما حرَّمه الإسلام فلخبثه ولضرره: ضرره المادي أو ضرره المعنوي، ضرره الحاضر أو ضرره المستقبلي، ضرره على الفرد أو ضرره على المجتمع، ضرره على الجسم أو ضرره على العقل، فالتحريم في الإسلام يتبع الخبث والضرر.

من يقول: إنَّ هذه المخدرات نافعة، وإنَّها من الطيبات؟!

إنَّها قطعاً من الخباث، من المضار، من المؤذيات، ولذلك نجد العالم كله يحاربها.

هناك بلاد كثيرة تبيح المُسَكَرات - للأسف الشديد - ولكنها تمنع المخدرات وتحاربها؛ لأنَّ الجميع يوقن أنَّها من الخباث ومن المضار، ومن المؤذيات للفرد وللجماعة.

نهي القرآن عن إلقاء النفس إلى التهلكة:

ومن ناحية ثالثة: نجد القرآن يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا أَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطِيلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرِيَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا نَقْتُلُو أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الذين يبيعون هذه المخدرات ويروجونها يأكلون أموال الناس بالباطل، وهم يضللون بها الناس بغير حق، والذين يتناولونها يقتلون أنفسهم، قد لا يكون قتلاً سريعاً، ولكنه قتل بطيء وانتحار بطيء.

الذي يتناول هذه المخدرات يقتل نفسه. وقد قال علماؤنا: لا يجوز للMuslim أن يتناول شيئاً من طعام أو شراب يضرُّ نفسه؛ لأنَّ هذا الجسد ليس ملكاً لك، إنَّه ملك الله، استودعك الله إياه، أمانة عندك الله تعالى، لا يجوز أن تخون هذه الأمانة، وأن تفرط فيها، وأن تؤذ نفسك، وأن تضر جسدك، ولذلك قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(١) لا تضر نفسك ولا تضار غيرك.

في سرية من السرايا كان المسلمين بقيادة عمرو بن العاص، وفي ليلة باردة احتل عمرو بن العاص، وأصابته الجنابة، فتيمم وصلَّى بأصحابه، فأنكر بعضهم ذلك عليه، وشكوا للنبي ﷺ، فسأل النبي عمرًا وقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!».

قال: يا رسول الله، كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وقد ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُو أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

(١) سبق تخرجه ص ٣٥.

فتَبَسِّمُ النَّبِيَّ ﷺ^(١). معناه أقرَّ عُمْرًا على هذا الفقه، فهذه سُنَّة تقريرية.
لا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه ولو في عبادة، فكيف يقتل الإنسان
نفسه بتناول هذه السموم؟!
هذا ما جاء به القرآن، وهذا ما جاءت به السُّنَّة.

ثُمَّ جاءت السُّنَّة فيما روتَه أم سلمة رضي الله عنها، في الحديث الْذِي رواه
أبو داود قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»^(٢).
المسكر معروف، والمُفْتَر هو الْذِي يصيب الجسد بالفتور وبالخدر،
فقرنه النبي ﷺ مع المسكر في سياق واحد، ونهى عن هذا وذاك.
أمّا المسكر فلا يشك أحد في تحريمه، وكذلك المفتر، فقد اقتربنا في
سياق واحد.

وهناك إجماع علماء الأمة من جميع المذاهب على تحريم هذه
المخدّرات، وكانت المخدّرات في عصرهم تمثل في تلك الْتِي سموها
«الحشيشة» أو الأفيون.

أمّا الآن فقد أصبحت أشدّ خطراً، وأبعدَ أثراً، وأكثرَ تدميراً.
هذه «السموم البيضاء» الْتِي ظهرت الآن، والتي يسمونها «البُودرة»:
الكوكايين والهيرoin، وهذه الأشياء الْتِي خفَّ حملها وغلا ثمنها،
وبعض الجرامات أو الكيلو جرام منها تقدر بالملايين.
هذه الأشياء أصبحت تغزو النّاس، بشمة واحدة يصبح الإنسان مدمناً.

(١) سبق تخریجه ص ٨٢.

(٢) سبق تخریجه ص ٣٥.

وهم يصلون إلى الشّباب وإلى الرجال وإلى النّساء، بوسائل شتّى، وبوسائل مختلفة.

هؤلاء اللصوص تجّار المخدّرات المحاربون لله ورسوله: يجندون أناساً لينشروا هذه السّموم بين النّاس، فإذا سقط أحدهم ضحية لهؤلاء فقد انتهت حياته، دُمّر تدميراً، يصبح إنساناً مدمناً، لا يسيطر على نفسه، لا يملك إرادته، لا يفكّر لنفسه.

عندما ينتهي تأثير اللقمة الأولى، أو الحقنة الأولى، أو الشّمة الأولى: يكون كالمحنون، يسعى إلى من يغذيه بهذا الشيء من جديد.

إذا كان معه مال أفق ماله حتّى ينفد ماله، فيسرق، يسرق من أبيه، يسرق من أخيه، يسرق من قريبه، يسرق من صديقه، يسرق من مال الشركة التي يعمل بها، أو الحكومة التي يعمل بها، يسرق حيثما كان وكيفما كان، حتّى يستجيب لهذه الرغبة العارمة المدمرة، حتّى يحمد هذه النّار الناجمة بين أضلاعه، ولا يتورّع أن يعمل أي شيء؛ حتّى يريح أعصابه، ويُشبع نهمته.

وهنا يصبح ضعيفاً رخواً يستطيع أعداء الأمة أن يستغلواه ليعمل لحسابهم، ليعمل جاسوساً لهم، يتتجسس على وطنه وعلى أهله، وعلى أقرب النّاس إليه، لقد ضعفت مقاومته وانهارت إرادته، فلم يُعد عنده شيء، أصبح بقايا إنسان!

ومن أجل هذا نجد أعداء الدين وأعداء الله وأعداء الوطن وأعداء الأمة: يحاولون إشاعة هذه المخدّرات في الأمة.

إسرائيل كما تحاول أن تنشر «الإيدز» في شباب الأمة، تحاول أن تنشر المخدّرات، وأن تروّجها، وأن تهربها إلى أمتنا لقتل الإرادة في

أبنائها، ولقتل روح المقاومة، ولقتل القوّة النفّسية التي هي ينبع
الجهاد والكفاح.

هذا ما يصنعه أعداء الأمة.

مقاومة الآفات القاتلة:

لا بد أن نقاوم هذه الآفات، نقاومها بكل ما نستطيع، بكل أجهزة
الإعلام: تقاومها الصحافة، تقاومها الإذاعة، يقاومها التليفزيون، يقاومها
المسجد، تقاومها المدرسة، تقاومها الجامعة، يقاومها المربيون، يقاومها
الوعاظ، تقاومها الشرطة، يقاومها الناس كل الناس.

أصبحت المخدرات جزءاً من الحرب الشرسة التي تشن على
الإسلام والمسلمين، فلا بد أن تكون أيقاظاً لهذه المعركة.

يجب أن نصون أبناءنا، ويجب على كل أب وعلى كل أم أن يكونوا
أيقاظاً لحركات أولادهم ولتصرفاتهم، وأن يعرفوا من يصادقون
ويصاحبون، فقد رأينا في «الأفلام» ماذا يصنع هؤلاء للوصول إلى هؤلاء
الشباب، والأهل في غفلة لا يعلمون ماذا حدث لأولادهم.

الولد يذهب ليسهر عند صديقه، أو يذكر عند صديقه، وهو يذهب
إلى تلك البؤرة العفنة، وإلى ذلك الوكر النجس القدر، حيث يصبح
فريسة لهؤلاء، يتحكمون فيه كيف يشاؤون.

يجب أن نستيقظ وأن نباشر مسؤوليتنا: «كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته»^(١).

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.



لا بد أن نقاوم هذه الآفة، نقاومها بالعقوبة.

المتعاطي يجب أن يُعاقب، صحيح أنه ضحية، ولكن مسؤول أمام الله، ومسؤول أمام الشرع، ومسؤول أمام القانون، فلا بد أن يُعاقب، يُعاقب عقوبة شارب الخمر، يُعاقب بالجلد، أو يُعاقب بالسجن.

ومن وصل إلى حد الإدمان وسلّم نفسه يجب أن تعالجه؛ فتسليمه لنفسه نوع من التوبة، ومن تاب تاب الله عليه.

لا بد أن نُفْسِحْ صدورنا للتأبين، ونعيينهم على أنفسهم وعلى شياطينهم من الإنس والجن.

أمّا الّذين يجب ألا تأخذنا فيهم لومة لائم، ولا تأخذنا فيهم رأفة في دين الله، فهم التجار الّذى يرّجون هذه المخدرات، هذه السّموم الخضراء أو البيضاء أو الصفراء، سموها ما شئتم.

لا بد أن نقف لهؤلاء بالمرصاد، لا بد من تشديد العقوبة عليهم.

وقد قلت منذ سنوات: إنّ عقوبة هؤلاء يجب ألا تقل عن الإعدام، السجون يدخلونها ويستطيعون بمالاينهم أن يحولوها إلى روح وريحان، بل كثير منهم يتخدرون السجون وكراً لتهريب هذه الأشياء، ويتفقون مع آخرين لنشرها وهم داخل السجن، ويديرون الشبكة والتجارة وهم في داخل السجن، في كثير من البلدان، إلّا ما رحم ربك.

فالسجن ليس عقوبة لهؤلاء، وليس تأدبياً ولا تهذيباً ولا إصلاحاً لهم، إنّما العقوبة الرادعة هي «الموت».

إنّ الإسلام قد شرع القصاص لمن قتل نفساً واحدة كما قرّر القرآن:
 ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ﴾

جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢]، من تجرا على قتل نفس يتجرأ على قتل غيرها.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُثُبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، القاتل المعتدي المعتمد يجب أن يقتل، فإذا قُتل هذا القاتل المعتدي أحينا نفوساً أخرى، وهذا ما قرره القرآن حينما قال: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» ﴿يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

إذا كان من قتل نفساً واحدة يجب أن يقتصر منه، فكيف بهؤلاء الذين يقتلون مجتمعات، يقتلون شعوباً، ويدمرون كيانها بهذه المخدرات ليشروا، ولি�صبحوا من أصحاب الملاليين والبلائيين؟!

هؤلاء يريدون أن يكسروا الثروات والغنى على حساب حياة البشر، وأن يبنوا قصوراً من جمام الخلق، ويزخرفوها بدماء الناس!

هؤلاء العثاة، القساة، الطواغيت: لا علاج لهم ولا عقوبة لهم إلا الموت، إلا الإعدام.

عقوبة التعزيز:

هناك في الشرع عقوبة «التعزيز» التي تصل أحياناً إلى القتل، هكذا جاء في الأحاديث أن بعض العقوبات تصل إلى القتل، وهي ليست من الجرائم المعروفة الموجبة للقتل شرعاً، مثل من يتخصص لحساب أعداء المسلمين، ومثل الداعية إلى إفساد العقول بالبدع المغلظة، ومن تكررت منه جرائم مثل اللواط، لإفسادها في الأرض، وهذا الذي يرُوح المخدرات لا شك مفسد في الأرض فيجب أن يقتل.

في المملكة العربية السعودية بجوارنا قرر العلماء أن من اغتصب



امرأة وهتك عرضها عنوة، وتحت التهديد بالسلاح، فعقوبته «القتل»، وإن كان عزباً غير محسن.

هذه الجريمة البشعة التي تشيع الخوف في الناس: يجب أن يكون هذا عقابها، وهذه نظرة صحيحة، وفقه سليم تؤيده قواعد الشريعة ومفاصدها.

وكذلك مرتكب هذه الجريمة، جريمة الاتجار بالمخدرات، والإثراء على حساب صحة الناس، وعقول الناس، وحياة الناس، هؤلاء ليس لهم عقوبة إلا الإعدام.

ثم هم من ناحية أخرى: محاربون لله ورسوله، وساعون في الأرض فساداً، هؤلاء الناس ينطبق عليهم قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصْكَلَبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَرَزٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، إنهم محاربون، وحد الحرابة يجب أن ينطبق عليهم، ويختار الإمام أو القاضي من هذه العقوبات ما هو أليق بهم، وبحكم جرائمهم.

أيتها الإخوة، لا بد أن نقف ضد هؤلاء الذين يحاولون تدمير مجتمعاتنا، وتحطيم أبنائنا.

هؤلاء قتلة سفاحون، لا يقتلون فرداً إنما يقتلون أمة، فلا بد أن تتعاون الأمة على حربهم.

هناك شيء نسيت أن أقوله في تحريم هذه الأشياء: إن هذه المخدرات ضد مفاصد الشريعة الإسلامية.

الشريعة جاءت بالمحافظة على الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

هذه المصالح الضرورية جاءت الشريعة بالمحافظة عليها، وكل أحكام الشريعة من عبادات ومعاملات وأنكحة وقضايا وحدود وقصاصن كلها تدور حول المحافظة على هذه الضروريات الخمس، وما يكملها وما يلحق بها.

الخمر والضروريات الخمسة:

وهذه المخدرات ضد هذه الضروريات الخمس كلها:

هي ضد الدين؛ لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

الذي وقع ضحية هذه المخدرات لا ينهض لصلاة، ولا لصوم، ولا لحج، ولا لعمرة، ولا لتلاوة قرآن، ولا لذكر الله، ولا لفعل خير، لقد هلك، دُمِّر، انتهت حياته وإرادته.

وهي ضد المحافظة على النفس؛ لأنها تدمِّر نفس الإنسان، تدمِّر حياته، وتدمِّر صحته، وتجعله أحياناً ينتهي بالموت.

بعض هؤلاء المدمنين ينتهيون بالموت، ومن لم يمت منهم فقد مات موتاً أدبياً.

وما قيمة حياة فقد الإنسان فيها إرادته، ولم يُعد قادرًا على صنع شيء، لا قادرًا على أن يبدع، ولا على أن يتذكر، ولا على أن ينجح، فهو ميت أشبه بالحي.

ثم هي ضد المحافظة على العقل؛ لأنها تدمِّر العقل، وتغيِّب الإنسان عن وعيه.



وما مُيَّزُ الإِنْسَانُ عَنِ الْحَيْوانِ إِلَّا بِعْقَلِهِ، وَالْعُقْلُ هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ.

ثُمَّ هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى ضُدُّ الْمَحَافَظَةِ عَلَى التَّسْلِلِ؛ لِأَنَّهَا خَطَرٌ عَلَى نَسْلِ الإِنْسَانِ.

الإِنْسَانُ الْمَدْمُنُ الَّذِي وَقَعَ فِي شَبَاكِ هُؤُلَاءِ لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَرْعِي أَطْفَالًا، وَلَا أَبْنَاءَ، وَلَا بَنَاتَ، وَلَا زَوْجَةً.

وَلَذِكَ كَثِيرًا مَا يَضِيقُ عَلَى أَوْلَادِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ لِأَنَّهُ فَقَدَ الْوَعْيَ بِالْمَسْؤُلِيَّةِ.

ثُمَّ هِيَ ضُدُّ الْمَحَافَظَةِ عَلَى الْمَالِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ يَضِيقُ فِيهَا مَالُهُ، بَلْ يَسْرُقُ مَالَ غَيْرِهِ، يَضِيقُ عَلَى الْمَالِ فِيمَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، فِيمَا يَهْدِمُهُ وَلَا يَبْنِيهُ.

فَهِيَ ضُدُّ هَذِهِ الضرورياتِ كُلُّها.

مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَنْبُغِي أَنْ يَشَكُّ أَحَدٌ فِي تَحْرِيمِهَا.

ما الوقاية من هذا؟ وما العلاج لهذه الأفة؟

الْحَقْيَقَةُ أَيُّهَا الإِخْرَوَةُ، أَنَّهُ لَا عَلاجٌ لَهَا إِلَّا بِمَنْعِ تَهْرِيْبِهَا، وَحَظْرِ دُخُولِهَا إِلَى بَلَادِنَا، وَبِمَقَاؤِمَةِ مَرْوِجيَّهَا، وَبِإِعدَامِ الْمُتَّجَرِّينَ فِيهَا؛ لِيَكُونُوا عَبْرَةً لِغَيْرِهِمْ، وَقَلْمَانِصَلِ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ دُونَهُمْ أَسْوَارٌ وَأَسْوَارٌ، وَكَثِيرًا مَا يَخْتَبِئُونَ وَرَاءَ آخَرِينَ مِنَ الْكُبَارِ!

وَلَكِنْ نَسْتَطِعُ الْوَقَايَةُ مِنْهَا، وَالْوَقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعَلاجِ، وَدِرْهَمٌ وَقَايَةٌ خَيْرٌ مِنْ قَنْطَارِ عَلاجٍ.

وأعظم وقاية من هذه المخدرات والآفات هي التربية الدينية الصالحة.

الدين هو الواقي الأول والصلاح الأول والموئل الأول، الذي ينبغي أن ننزع إليه في محاربة هذه الآفات المدمرة القاتلة.

إذا ربينا أولادنا تربية دينية، ووفرنا لهم بيئه صالحة، وعرفنا كيف نختار لهم الأصدقاء الأخيار، والأصحاب الأطهار، ولم نتركهم لأصدقاءسوء يفسدونهم ويدمرون عليهم حياتهم، إذا استطعنا أن نعيش أولادنا في بيئه صالحة، ومحضن صالح يرعى: عقولهم وإراداتهم، ويعلمهم مخافة الله، ورقابته سبحانه، والإيمان بالآخرة، وذكر الحساب والجنة والنار، إذا أقمنا هذا الواقع الذاتي وهذه الروادع الأخلاقية في نفوسهم، إذا أحيننا هذا الضمير الديني في صدورهم، فقد أقمنا سداً منيعاً بينهم وبين هذه الآفات.

الشاب المتدين الملزם بدينه، وبقيم دينه، وبأخلاق دينه، هو أبعد الناس أن يقع فريسة لهؤلاء؛ لأنَّه لا يشرب حتى سيجارة، السيجارة يراها حراماً ومنكراً، وأول الآفات هي السيجارة، من السيجارة يبدأ الفساد، ومن خلالها يمكن أن يأخذه دعاة الفساد وتجار الشرور، إلى الأشياء الأخرى، والمنكرات الكبرى.

الشاب المتدين لا يتناول سيجارة، ولا شيئاً محرماً أو مشتبهاً فيه بأي طريقة كان، ولا يأخذ شيئاً من ذلك بالفم ولا بالشم ولا بالحقن، ولا بأي شيء من هذا، ويمتنع تماماً بكامل إرادته عن هذه الأشياء، ويعيش في بيئه صالحة.



إِنَّ ابْنَ الْمَسْجِدِ وَابْنَ الْقُرْآنِ وَابْنَ إِلْيَاسِمْ: هُوَ الَّذِي يَسْتَعْصِي عَلَى هُؤُلَاءِ، لَا يُسْتَطِعُ هُؤُلَاءِ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ بِحَالٍ مِّنَ الْأَحْوَالِ؛ فَقَدْ حَصَّنَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ، وَحَصَّنَهُ اللَّهُ بِالْإِسْتِقَامَةِ، فَلَا يُسْتَطِعُ شَيَاطِينُ النَّاسِ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ، كَمَا عَجَزَ شَيَاطِينُ الْجَنِّ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكَيْلًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ٦٥].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ، حَفَظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ بِتَرْبِيَتِهِمُ التَّرْبِيَّةَ الدِّينِيَّةَ، بِوَضْعِهِمْ فِي الْبَيْئَةِ الصَّالِحَةِ، بِأَنْ يَكُونُوا تَحْتَ إِشْرَافِ عُلَمَاءِ وَدُعَاءِ وَمُرْبِّينَ صَالِحِينَ، لَا تَتَرَكُوهُمْ يَضِيِّعُوْا وَيَذُوبُوْا فِي مجَمِّعِ الْفَسَادِ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، فَهَذَا أَخْطَرُ الْأَشْيَاءِ.

وَنَحْنُ فِي عَصْرِنَا أَصْبَحْنَا نَحَارِبُ مِنْ كُلِّ جَهَةٍ، وَنُغَزِّي مِنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ، بِأَجْهِزَةٍ شَتَّى، فَلَا بَدَّ أَنْ نَحْفَظَ عَلَى أَبْنَائِنَا.

حَفَظْتُ عَلَى ابْنِكَ، عَلِّمْتُهُ الصَّلَاةَ، عَلِّمْتُهُ الْأَخْلَاقَ، عَلِّمْتُهُ فِرَائِضَ الدِّينِ، عَلِّمْتُهُ فِرَائِضَ الْخَيْرِ، عَلِّمْتُهُ مُقاوَمَةَ الشَّرِّ، صَلَّيْتُهُ بِالْخَيْرِيْنَ مِنَ النَّاسِ، وَاطْمَئْنَيْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ: فَقَدْ وَضَعَتْهُ فِي طَرِيقِ السَّلَامَةِ.

بِهَذَا وَحْدَهُ نَقاومُ هَذِهِ الْآفَاتِ الْقَاتِلَةِ وَهَذِهِ الْمَخْدُّراتِ الْمَهْلِكَةِ، وَنَحْمِي أَوْلَادَنَا، وَنَحْمِي شَبَابَنَا، وَنَحْمِي مَجَمِّعَنَا، مِنْ كُلِّ مَنْ يَرِيدُ بِهِ السُّوءَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوْفِقَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيُرِضِّي، وَأَنْ يَفْقَهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يَجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِّنْ أَمْسَنَا، وَغَدْنَا خَيْرًا مِّنْ يَوْمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوكُمْ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

اعتبار مجلس النواب الأمريكي «القدس» عاصمة لإسرائيل:

آسفنا أشدّ الأسف ما قرّره مجلس النواب الأمريكي، من اعتبار «القدس» عاصمة لإسرائيل، وقرر نقل السفارة الأمريكية إليها، ورصد لذلك مائة مليون دولار.

وهذا - وإن آسفنا - لا نستغربه من سياسة أمريكا، التي وقفت إلى جانب باطل إسرائيل في كلّ حين.

ليس هذا أول موقف تتخذه أمريكا متحدية بذلك العرب والمسلمين في العالم كله، طالما وقفت بقرارها «الفيفتو» مع إسرائيل ضدّ العالم.

العالم في جانب، وأمريكا في جانب، ويقولون: إنّها راعية السلام!
ما هذا الراعي؟

إنّه الراعي الذي قال فيه الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب^(١)؟!
أي سلام ترعاه أمريكا وهي متحيزة مائة في المائة (٥٠٪) لإسرائيل؟!
كأنّها لا تعير ألفاً وثلاثمائة مليون من المسلمين أي التفاتة، ولا تقيم لهم وزناً.

(١) ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ. ولم ينسبه.



لا العرب، ولا المسلمين، ولا الأحرار في العالم، لهم اعتبار عند أمريكا، إنما الذي له اعتبار هو إسرائيل ونتنياهو، فهي معهم على طول الخط، لا يمكن أن تقف ضدهم.

وهذا هو الذي ينبغي أن نؤمن به: هذه أمريكا، وهذه سياساتها، وهذا منهاجها.

العجب فينا نحن العرب، العجيب أننا لا زلنا نتغنى بالسلام
وعملية السلام!

أي سلام هذا؟! ما هذا السلام يا قوم؟

إن سلام اليهود وحدهم، وليس سلامنا، السلام لهم هم.
القدس يُراد أن تصبح كلها - شرقها وغربيها - عاصمة موحّدة وأبدية
لإسرائيل، ولا زالت السياسة الإسرائيلية مستمرة في إزالة المعالم،
وإقامة المستوطنات، وما جبل «أبو غنيم» إلا خطوة من خطوات هذه
السياسة المرسومة، والفلسفة المعلومة.

وهم يحفرون حول الأقصى ليوم رسموه وقدروه، ينهدم فيه هذا
المسجد، وليس ذلك فيما أظن بعيداً!

ماذا يصنع العرب، وماذا يصنع المسلمون حينما ينهار المسجد الأقصى؟

سيصنعون ما صنعواه حينما قُتل من قُتل يوم فتح النفق، وحينما قُتل
من قُتل في «قانا»، وحينما قُتل من قُتل في مسجد الخليل، وحينما فعلت
إسرائيل ما فعلت من قديم ومن حديث.

ماذا نفعل؟

نشجب ونستنكر ونبعث البرقيات ونُصرِّح التصريحات!

الأمر لا بد أن يُقاوم، لا بد أن نرفض هذا، لا بد أن نقول: «لا» بملء
فينا، وأن ما أخذ بالقوة لا بد أن يُسترد بالقوة.

هذه قضيَّة مسلَّمة، لا يمكن أن تقاوِم السُّنان باللسان، وأن تقاوِم
السُّلاح بالكلام.

هذا مستحيل.

لا بد من الجهاد، لا بد أن تجاهد هذه الأُمَّة ولو بالعصي
و(النبابيت)^(١)، وأن تقاتل ولا تُسلِّم أبداً.

قد نكون عاجزين اليوم، ليكن، ولكن «رفضنا» هو نوع من المقاتلة.

يجب أن نرفض ما تفعله إسرائيل، ومقاطعه إسرائيل.

كلُّ مسلم يجب أن يقاطع بضائع إسرائيل، لا يشتري من إسرائيل،
ولا يبيع لإسرائيل.

لو رأيت البضاعة الإسرائيليَّة أمامك - وهي أجود وأرخص من
غيرها - فلا تشتريها؛ لأنَّك حينما تشتريها؛ فإنَّ هذا المال الذي تدفعه
ينقلب إلى رصاصات في صدر إخوانك وأخواتك في فلسطين، في
الخليل، في القدس، في نابلس، في غيرها من المدن والبلاد.

احرص على مقاطعة إسرائيل، هذه فريضة دينية.

نحن نستطيع أن نقاوِم، وأن نقاوِع، وأن نقول: «لا».

(١) جمع ثبوت. وهو في لغة العامة: العصا الغليظة الطويلة.



أهم شيء أن نقول: «لا»، بملء أفواهنا، لا نتلعثم ولا نتردد.
و«لا» هذه، تقض مضاجع اليهود، وتزلزل أقدام اليهود، وترعب
قلوب اليهود.

لو قال مائتان وخمسون مليوناً من العرب، ووراءهم أكثر من ألف
مليون من المسلمين: «لا» يا يهود، لا، لن نفرّط في القدس، لا، لن
نفرّط في الأقصى، لا، لن نفرّط في أرض النبوات، لا، لن نفرّط في
أرض الإسراء والمعراج.

إذا قالوها كان لها دوي هائل يصم الآذان.

يجب أن نقول: «لا»، ولا بديل لهذا.

«لا»، ثم «لا»، وإن شاء الله النصر لنا، والمعركة النهاية
لنا، وسينصرنا الله تعالى؛ لأنّه قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرٌ
أَمُؤْمِنِينَ﴾ [الرّوم: ٤٧].

* * *





٩ يوم الغذاء العالمي^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

في هذا الأسبوع أعلنت منظمة الأغذية والزراعة في هيئة الأمم المتحدة يوم السادس عشر من أكتوبر يوماً للغذاء العالمي، طلبت من العالم أنْ يحتفل بهذا اليوم، وأنْ يعتبر هذا اليوم يوم الغذاء العالمي، وقال مدير المنظمة: إنّما أردنا بذلك أن يتبّعه النّاس إلى أزمة الجوع، وإلى محنّة الجائعين في عدد كثير من أقطار العالم، حتّى يتّعاون العالم كُله: شرقيه وغربيه، شماليه وجنوبيه، على الوقوف في وجه هذا البلاء، أو التخفيف من ويلاته، والتخفيف من بؤس الجائعين في العالم.

هكذا مرّ هذا اليوم «يوم الغذاء»، وإن شئت قل: «يوم الجوع»! اليوم الذي يذكّر النّاس بالجوع، ونظرت إلى خريطة العالم، فإذا معظم البلاد التي تعاني الجوع وتعاني البوس، ولا يجد كثير من أهلها القوت - الذي إذا انعدم فإنَّ الإنسان يموت - هي بلاد المسلمين!

(١) ألقىت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٩٧م.

الجوع خطر على العقيدة:

بلاد المسلمين تعاني الجوع، ويعاني أبناؤها أزمات متلاحقة بسبب هذا الجوع، الذي يصفه الناس دائمًا بأنه كافر. ومعنى أنه كافر: أنه قد يؤدي بصاحبته إلى الكفر.

والذي لا يجد القوت قد يكفر والعياذ بالله، قد يتشكك في عدالة الله تعالى في توزيع الأرزاق، أو في حكمته في تدبير الكون، ولهذا روى في حديث ضعيف: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١).

الجوع خطر على العقيدة إذن.

الجوع خطر على العبادة:

وهو خطر على العبادة؛ فإنَّ الإنسان الذي لا يجد قوته لا يستطيع أن يخشى في صلاته، لا يستطيع أن يعبد ربَّه العبادة المرجوة.

ولهذا امتنَ الله على قريش بقوله تعالى: ﴿لَا يَلْفِي قُرَيْشٌ * إِلَّا فِيمَ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيفِ * فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

نعمتان من أعظم نعم الله تعالى على الخلق في حياتهم: نعمة الطعام، ونعمة الأمان.

وشَرُّ ما يُصاب به الناس أنْ يفقدوا الرخاء والشبع، ويفقدوا الأمان والاطمئنان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ إِمْنَانَهُ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَّقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [التحل: ١١٢].

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦١٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٤٨)، عن أنس.

الجوع والخوف شُرُّ ما تُبتلى به المجتمعات.

الجوع خطر على العقيدة، خطر على العبادة.

الجوع خطر على السلوك:

وهو خطر على الأخلاق والسلوك، لا تأمن أن يسرق الجائع، وأن تنحرف الجائعة، وأن تعم الرذائل، وينتشر وباؤها في المجتمع، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري^(١) في ذلك الرجل الذي تصدق في جنح الليل بصدقة حتى لا يراه الناس، فصادف أن وضعها في يد سارق، وفي الليلة الثانية تصدق فكانت في يد امرأة زانية، وظن الرجل أن صدقته ذهبت هباء، فأتي في منامه فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأمّا الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها.

معنى هذا أن الجوع قد يدفع الإنسان لسرقة، وهو غير مريد للسرقة في الأساس، ليس من اللصوص، وقد يدفع المرأة أن تفرط في عرضها من أجل أن تأكل أو تطعم أولادها وأطفالها، وهي ليست من أهل الزنى.

الجوع خطر على الأخلاق والسلوك.

(١) عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قال رجل: لأنْتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق. فقال: اللهم لك الحمد على سارق، لأنْتصدقن بصدقته، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأنْتصدقن بصدقته، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتتحدثون: تُصدق الليلة على غني. فقال: اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغني. فأتي، فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فعله أن يستعف عن سرقته، وأمّا الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأمّا الغني فعلله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله». متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزكاة.

الجوع خطر على العقل والتفكير:

وهو خطر على العقل والتفكير؛ فالجائع لا يستطيع أن يفكّر تفكيراً سليماً، إنّه مشغول بلقمة الخبز له ولأهل بيته، فكيف نكلّفه أن يفكّر؟

ولذلك حينما جاءت الجارية إلى الإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة - وكان في الحلقة يدرّس لأصحابه وتلاميذه، وقد حضرَ مجموعة من المسائل ليناقشهم فيها - تقول له: يا سيدِي، لقد نفذ الدقيق من البيت، البيت لم يعد فيه دقيق.

فقال لها: قاتلك الله، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه^(١)!

أضاع هذا الخبر المسائل من رأس هذا الإمام!

الإنسان الذي لا يجد القوت لا يستطيع أن يفكّر، ولهذا كان من الحكم: لا تستشر من ليس في بيته دقيق! لأنّه مشغول عنك بلقمة خبزه، وخبز أولاده.

الجوع خطر على الأمان:

الجوع خطر على الحياة كلّها، خطر على أمن المجتمع واستقراره، حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟!

الجوع يمكن أنْ يحدث ثورة اجتماعية لا تبقي ولا تذر؛ لأنَّ الإنسان قد يصبر على أي شيء، ولكنه لا يصبر على الجوع.

(١) مجلة الرسالة ص ٤٤، العدد ٧٠٦، بعنوان: من هنا ومن هناك.

ولو صبر على جوع نفسه؛ كيف يصبر على جوع أطفاله، وهم يتلوون
أمامه ويتضاغون، ولا يجدون ما يُشبع النَّهَم، وما يُمسك الرَّمق؟

الجوع إذْن خطر على الفرد، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع، لهذا
فإنَّ الإسلام لا يقبل أبداً أن يجوع النَّاس، لا بدَّ أن يكون لكلٍّ إنسان
كفايته، وأنْ يعطى له ما يتَّمِّ كفايته من كلٍّ ما يحتاج إليه حاجة أساسية،
وأولها: الطعام والشراب.

لا بدَّ أن يأكل، ويأكل من الطيبات التي أودعها الله في هذه الأرض.

إنَّ الله سبحانه حينما ذكر الطيبات في القرآن، لم يذكرها فقط لمجرد أن
نقرأها، إنَّما ذكرها أيضًا لمحاول أن نستمتع بها، وقد نادى النَّاس جميعاً:
أن يأكلوا من هذه المائدة الإلهية الممدودة للبشر جميعاً: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ
كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

رزقُ الله ممدود للجميع، فلا بدَّ للنَّاس أن يأكلوا من هذا الرزق، من
هذه الطيبات التي هيأها الله لإلَّا نسان، كلُّ بني الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمَنَا بَنِي
إِادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

حينما يذكر الله تعالى في سورة النَّحل - وقد سمَّاها بعض السلف
سورة النعم - : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ شَيْمُونٌ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالْزَيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ
كُلِّ الشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَ لِقَوْمٍ يَنْفَكِّرُونَ * وَسَخَرَ لَكُمْ أَيْلَلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ يَأْمُرُهُنَّ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَذَيْتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِفًا أَوْنَهُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَ

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَسَتَخْرُجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَكَ مَوَالِيْرَ فِيهِ وَلِتَبْغُوا
مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿النَّحْل: ١٠ - ١٤﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةٌ شُقِيقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ، مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا
سَائِغاً لِلشَّرِّبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّحِيلِ وَالْأَعْنَابِ ثَنَحِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْهَا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجَبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿النَّحْل: ٦٦ - ٦٨﴾.

كلُّ هذه الأنواع من النعم والطيبات لماذا تذكر في القرآن؟

أليس هذا دليلاً على أنها من حظ الإنسان وحقه في هذه الحياة، وأن
يتمتع بما أودع الله له في هذا الكون؟

الإسلام يريد من الإنسان عامة، ومن المسلم خاصة، ومن كلّ
من يعيش في ظلّ مجتمع الإسلام: أن يحيا حياة طيبة، وأن يستمتع
بما خلق الله من الطيبات، فما كان الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ليخلق هذه الطيبات ثم
يحرمه منها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]،
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمًا وَ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿الْقُمَان: ٢٠﴾.

الجوع إذن شيء لا يحبه الإسلام، وكان النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقول: «اللهم إني
أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع»^(١).

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذه (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وصحح إسناده التّوسي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة.

لماذا إذن يجوع الناس؟ لأنَّ الله لم يضع في الكون ما يكفيهم؟

كذبَ الَّذين قالوا ذلك.

ذهب بعض العلماء الاقتصاديين من المتشائمين مثل «مالتوس» وغيره: أنَّ موارد الكون لا تكفي النَّاس، وأنَّ الحاجات الإنسانية كثيرة، والموارد الموجودة في الأرض محدودة، وأنَّ هذا هو جوهر المشكلة الاقتصادية.

وهذا غير صحيح.

إنَّ الله قبل أن يخلق الإنسان، هيأ له ما يكفيه: ﴿وَرَزَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١]،
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجُدُوا لِإِلَادَمَ﴾ [الآعراف: ١٠]، أي: قبل خلق النَّاس هيأ الله لهم في الأرض معايشهم.

المعايش موجودة، وقد ضمن الله الرزق لكل حي، فقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

الرِّزق مبثوث في الكون، ولكن البشر لم يحسنوا استغلال هذا الرِّزق كما أراد الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

البشر لم يستخدموا إلى الآن عشر المساحة الصالحة للزراعة في هذه الكرة الأرضية، أي: في الجزء اليابس، وهو أقل من ثلاثة في المائة (٣٪) من مجموع الكرة الأرضية؛ لأنَّ أكثر من سبعين في المائة (٧٠٪) بحار ومحيطات، وحوالي نصف هذا اليابس صالح للزراعة، والباقي جبال وصحراء.

الجزء الصالح للزراعة لم يستخدم منه إلا حوالي العشر، وبقي إذن تسعة أشخاص.

بل إن هناك تجارب بشرية تقول: إن الصحاري يمكن زراعتها، وقد قام أناس كثيرون في بلاد شتى بتحويل اللون الأصفر إلى لون أخضر.

بالعقل والعلم، والعمل والجهد البشري: يمكن تحويل الصحراء إلى بقعة خضراء، وقد أعطى الإنسان من الوسائل الكثير، وعلّم الله الإنسان ما لم يعلم.

وهناك الجزء المائي من هذه المعمورة وهو أكثر هذه الأرض. البحار فيها إمكانيات كثيرة لإمداد الإنسان بالغذاء، بالسمك والحيوانات البحرية، وبغير ذلك من أعشاب وأشياء أخرى، ويمكن زراعة نباتات وكائنات حية في الجزء المائي؛ ليستفيد الناس من هذه المساحة الضخمة.

الرّزق إذن موجود، ولكن الناس لم يستفيدوا منه.

لا بد من عمل، وعمل كثير، وخصوصاً في بلادنا الإسلامية.

لا بد من زيادة الإنتاج، ولا بد من ترشيد الاستهلاك، ولا بد من عدالة التوزيع^(١).

عناصر ثلاثة بعضها إلى جنب الآخر، حتى يمكن أن يقاوم الناس أزمة الجوع، ومحنة الجوع.

(١) من أراد التوسيع في هذا الموضوع، فليراجع ما كتبته حول هذه العناصر الثلاث في كتابي: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

تخطيط يوسف عليه السلام لمواجهة المجاعة:

ذكر القرآن لنا قصة يوسف، وهي ليست للتسلية، ولكن كما قال الله تعالى في آخر السورة نفسها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

في قصة يوسف عليه السلام عبرة، فقد عمّت مصر وما حولها مجاعة خانقة، يبدو أنّ ماء النيل قد نقص لعدة سنوات، أو كان يوشك أنْ ينقص، وقد رأى الملكرؤيا العجيبة، وهيا الله «يوسف» ليعبر الرؤيا، ولি�ضع الخطة، وليقوم على تنفيذها.

فقد أعلمته الله - ممّا علّمه من تأویل الأحادیث - أن مصر مقبلة على سنوات خصبة سبع، وبعدها مثلها سبع عجاف، ثم يأتي الغيث والفرج.

كيف واجه «يوسف» هذا الأمر؟

واجهه بخطة من ثلاثة عناصر:

في السنوات السبع الأولى: زيادة وتنمية متتابعة ومستمرة للإنتاج، تحسيناً للغد، وتهيئاً لاحتمالات المجاعة المقبلة، وهنا قال لهم: ﴿تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ إِلَّا قِيلَّا مِمَّا نَأْكُونُ﴾ [يوسف: ٤٧].

الاجتهاد والزراعة الدائمة لزيادة الإنتاج، ثمّ ما ينتج لا يؤكل منه إلّا القليل ﴿فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ﴾ يخزن، ويُخزن بهذه الطريقة: يوضع في سبنله، حتى يبقى أطول مدة ممكنة ﴿إِلَّا قِيلَّا مِمَّا نَأْكُونُ﴾ وهذا ما يسميه الناس الآن: ترشيد الاستهلاك، أنتج كثيراً واستهلك قليلاً لتواجه الأزمة.

وفي السنوات السبع الأخرى: يكون التخطيط، والأكل بحساب والاستهلاك بمقدار: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كُلُّنَا مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: ٤٨]، لاحظ قوله: ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ لتعلم أن الاستهلاك هنا مقنن، وليس مفتوحًا على مصراعيه، ومعنى قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ يشير إلى أمر مهم، أي: أحصناوا واحفظوا وادخرروا بعض البذور، حتى إذا جاء الماء وجدتم شيئاً تبذرون، وإلا ما قيمة أن يأتي الماء وليس عندك بذر؟

«يوسف» ﷺ واجه الأزمة:

- ١ - بزيادة الإنتاج والإشراف عليه.
- ٢ - وتقليل الاستهلاك وترشيده.
- ٣ - وعدالة التوزيع: أنه لا يدع الأغنياء يأخذون ما طاب لهم، ويدع الفقراء ضائعين.

لا، لا بد من عدالة التوزيع، بحيث يصل إلى الفقير ما يحتاج إليه، ولو لم يكن معه ثمنه.

ولهذا حينما جاء إخوه من بعيد، ولم يكونوا يعرفون أنه أخ لهم، ولكن نادوه فقالوا: ﴿يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَنَا وَاهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِضَعْةٍ مُّرْجَحَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْرِزِ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

هنا للصدقة مكانها ومجالها.

وقد كان يوسف ﷺ مثلاً للآخرين في هذا الأمر، فكان إذا أكل لا يشبع، فلما قيل له: تجوع وفي يدك خزائن الأرض؟!

يرد عليهم قائلاً: إني أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الفقراء^(١)!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٣/٦)، عن الحسن، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الإسلام يواجه أزمة الجوع بهذه العناصر:

١- العمل على تنمية الإنتاج وتنويعه وتحسينه:

أن يعمل الناس في كلّ مجال يحتاجون إليه، وخاصة في مجال الزراعة، والنبي ﷺ يقول: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»^(١)، ويقول: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً؛ فیأكل منه طير أو إنسان أو بھيمة، إلّا كان له به صدقة»^(٢)، ويقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة [نخلة صغيرة، أو شتلة] فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها»^(٣).

إلى هذا الحد من الحث على عمارة الأرض والإنتاج للحياة.

الزراعة عبادة، وكلّ ما يوصل إلى الناس قوتهم: صيد الأسماك، وصيد الحيوانات البرية والبحرية، والعمل على زيادة الثروة الزراعية، والحيوانية من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك، ومن الدواجن والطيور، ومن كلّ ما يستهلكه الناس.

لقد حمل القرآن حملة كبرى على الذين عطلوا هذه الثروة من المشركين الذين حجزوا بعض أنواع الأنعام وقالوا: هذه للأصنام، وهذه كذا، وحرّموا أكلها، فقال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَابِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٌِ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَأَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

(١) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذى في الأحكام (١٣٧٩)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٢٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصححه الألبانى في الصحيح (٩)، عن أنس.

ونزلت سورة الأنعام تناوش هؤلاء: من أين لكم هذا التحرير ﴿قُلْ إِنَّمَا مَنْ حَرَمَ اللَّهَ مِنَ الْأَنْعَامِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْعَامِ فَنَيْعُونَ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِي﴾ [الأنعام: ١٤٣].

حمل على هؤلاء الذين أحلو الحرام وحرموا الحلال: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا أُولَئِكَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْرَأَهُمْ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهَتَّدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

جاء الإسلام يدعو إلى زيادة الإنتاج، ويعتبر العمل لهذا الأمر عبادة وجهاداً في سبيل الله، وكل عمل في هذا الجانب فهو عبادة وجهاد. ومن اللطائف أن فقهاءنا اختلفوا أي الأعمال أفضل: الزراعة، أم الصناعة، أم التجارة؟

ولكن المحققين منهم قالوا: حينما يحتاج الناس إلى الأقوات، فليس هناك عمل أفضل من الزراعة؛ لأنها توفر للناس قوتهم وغذائهم، حتى يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم.

وتنمية الإنتاج تكون بالكم وبالكيف.

بالكم: بأن تزرع أرضاً لم تكن مزروعة.

وبالكيف: بأن تحسن الإنتاج، تأتي للأرض بسماد يخصّبها، وتبث عن بذرة أفضل؛ فإن بعض البذور ينتج أفضل مما تنتجه البذور الأخرى، أحياناً بخمسين في المائة (٥٠٪)، وأحياناً بمائة في المائة (١٠٠٪)، وبأضعاف مضاعفة.

وقد أشار القرآن إلى قضية، لا أظنهما ذكرت عبشاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦١].

لعلنا نستطيع أن نأتي ببذرة تنتج سبع سنابل، كلُّ هذا ممكِن.

ينبغي مضاعفة الإنتاج، وزيادة العمل الذي أهمله المسلمون، وطالما قلت لكم: للأسف إننا أقلُّ الأمم عملاً وإنْتاجاً للحياة، مع أنَّ العمل عبادة لله في ديننا، وضرر من الجهاد في سبيل الله، ولهذا قرنهما القرآن معاً: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَعَجَّلُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ﴾ [المُزَّمِّل: ٢٠].

ينبغي تنمية الإنتاج كمَا ونوعاً.

٢ - ترشيد الاستهلاك:

قد يحسّن النّاس الإنتاج، ولكنّهم يسيئون الاستهلاك، يستهلكون استهلاكاً مسراً، والله تعالى لا يحبّ المسرفين: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرُبُوا وَلَا شُرْفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

هناك من النّاس من يسرف في استهلاكه، يستهلك بغير حاجة، يستهلك أكثر من اللازم، يرمي من الطعام ما فضل عنه.

تعلمون ما يحدث في بلادنا هذه، بلاد الخليج، تُصنع الولائم، ويذبح النّاس الذبائح، ويأكل الناس القليل، ثمَّ يرمون بعد ذلك الكثير الكثير في صناديق القمامات، وهناك من يتمنى لقمة يأكلها.

هناك في عالمنا الإسلامي بلاد تَئِنُّ من الجوع أنين الملسوغ، ونحن نرمي في صناديق القمامات بقايا الخراف، ومن الأرز، ومما لذَّ وطاب، والنَّبِيُّ ﷺ يقول فيما رواه مسلم في «صحيحة»، عن أنس:



«إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمط ما بها من الأذى ولِيأكلها، ولا يدعها للشیطان»^(١).

للقمة تقع منك، لا تتركها، امسحها ونظفها وكلها.

كان النّاس قدّيماً إذا سقطت منهم لقمة يأخذونها ويقبلونها، ويقولون: هذه نعمة، كانوا يسمون الخبر ونحو ذلك «نعمه»؛ لأنّهم كانوا يشعرون بفضل الله تعالى فيها، الله هو الّذي رزقها، وما عملته أيديهم: ﴿وَإِيمَانُهُمْ أَكْبَرُ مِمَّا حَسِبُوكُمْ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحْيَلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَرَنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشَكُّرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥].

ولذلك يقول: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليُمط ما بها من الأذى ولِيأكلها، ولا يدعها للشیطان»، ويقول أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يأمرنا أن نسلّت القصعة (أي: نمسحها ونظفها باللعق ولا ندع فيها فضلات)، ويقول: «فإنه لا يدرى في أي طعامه البركة»^(٢).

بعض النّاس الذين لا يفقهون مثل هذه التوجيهات يقولون: كيف يلعق الإنسان الصحفة، أو يلعق يديه؟!

هذا معناه أنك لا تبقي فضلات، بيدك، بالملعقة، بأي شيء، المهم هنا: اغرف على قدر ما تأكل، ولا تدع الباقي يُرمى ويُلقى في القمامات.

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٤٠٨٩).

(٢) جزء من الحديث السابق. وقال المناوي: أي الخير الكثير والتغذية والقوّة على الطاعة، فهو فيما بقي على الأصابع أو الإناء أو في اللقمة الساقطة؟ فإن كان فيها ففوقها بفوتها خير كثير. فيض القدير للمناوي (٣٧٦/١) برقم (٦٨١).

لِمَ تلقى هذه الفضلات، وهناك من هو محتاج إلى اللقمة؟ أليس هذا كفراناً بالنعمة؟ أليس هذا بطراً؟

تصوّروا: لو أن كلّ مسلم يلقي لقمة واحدة في كلّ وجبة - فضلاً عن أن بعض النّاس يلقي نصف طبق أو نحو ذلك في الوجبة الواحدة - وهناك ألف مليون مسلم يفترض أنّهم يستمرون إلى مُحَمَّد ﷺ وينفذون توجيهه، معناه: ثلاثة آلاف مليون لقمة تضيع هدرًا وتلقى في سلة القمامات في كلّ يوم!

فكم يكون هذا في الشهر؟ وكم يكون هذا في السنة؟!

وإذا تصورنا أنَّ الأمر أكثر من لقمة ولقيمات، فكم تكون الخسارة؟ هذه توجيهات تعلّم النّاس كيف يرشّدون الاستهلاك؟ وكيف يبتعدون عن الإسراف؟ وكيف يأكلون ما يحتاجون إليه، ويوفّرون ما لا يحتاجون إليه؟

إذا كنت صاحب ملايين؛ فليس معنى هذا أنك مالك المال.

المالك الحقيقي هو «الله»، وأنت مستخلف فيه، فلا يجوز لك أن تتصرف فيما لم يأذن لك به مالك المال الحقيقي، وهو «الله».

لا يجوز أن تبعثر مالك ذات اليمين وذات الشمال في أشياء كمالية وأشياء أحياناً محرّمة، وأنتم تعلمون كيف ينفق المال في المحرّمات، وهناك من يحتاجون إلى اللقمة وإلى الشربة.

علّمنا النّبِي ﷺ ألا يبالغ في الأكل إذا أكلنا وقال: «المؤمن يأكل في معّى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٣)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦١، ٢٠٦٠)، عن ابن عمر.

ورأى رجلاً مليء البطن سميّاً فغمزه وقال: «لو كان هذا في غير
هذا؛ لكان خيراً لك»^(١).

وقال عمر رضي الله عنه للناس منبهًا على قضيّة مهمّة: «أَكُلُّ مَا أَشْتَهِيْتُمْ
أَشْتَرِيْتُمْ»^(٢)؟

ألا يفطم الإنسان نفسه عن شيء يشهيه يوماً؟
هذا لون من التربية.

٣ - عدالة التوزيع:

إنَّ بعض النَّاس يأكلون إلى حدّ أنَّهم يُشكُّون من كثرة التَّخمة،
وآخرون يجوعون إلى حدّ أنَّهم يُشكُّون من عَصَمَة الجوع.

أشاهد في «التلفزيون» إعلانات تقول لـإنسان الذي أكل وأكل وأكل
أنواعاً ومشتهيات من الأطعمة، ثمَّ تقول له: عندك الدواء الفلامي اشربه
حتَّى يخفف عنك الزحمة التي في معدتك!

لماذا تأكل أكثر مما تطيق، ثمَّ تشرب من الأدوية ما تهضم به؟
كان أولى بهذه الزيادة إنسان آخر جائع، يحتاج إلى ما يُمسك رمه.
نحن في حاجة إلى عدالة التوزيع بين الناس بعضهم وبعض.

من هنا فرض الإسلام الزَّكاة على المسلمين، تؤخذ من أغنىائهم لترتدي
على فقرائهم.

(١) رواه أحمد (١٥٨٦٨)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف، والطبراني (٢٨٤/٢)، والحاكم في
الأطعمة (٤/١٢٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. عن جعدة الجشي.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٤٥٥/٢)، وقال الذهبي: القاسم - أحد الرواة - واه.

ومن هنا فرض الإسلام أشياء أخرى مثل زكاة الفطر، وهي زكاة على كل رأس، في مناسبة العيد؛ لتعلم الفرحة الجميع، وقد فرضها النبي ﷺ من الطعام الذي في وقته، حتى تعود على الجائعين، فـيأكلوا صاعاً من تمر أو من زبيب، أو من بُرّ أو من شعير أو من أقط، أو من نحو ذلك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر؛ طهراً للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»^(١).

وشرع الأضحية في عيد الأضحى؛ ليأكل القراء اللحم.

وشرع العقيقة عند ميلاد الطفل ليأكل القراء اللحم أيضاً.

شرع هذا، وشرع الكفارة في أمور كثيرة، منها الحنث في اليمين **﴿فَكَفَرَتِهُ، إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** ولم يعد هناك رقاب تحرر أو تعتق **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾** [المائدة: ٨٩].

الإسلام ينتهز الفرصة حتى لا يدع الجائعين دون طعام.

في رمضان من عجز عن الصيام لشيخوخة، أو مرض مُزمن، أو حبل، أو إرضاع، أو نحو ذلك، فإنَّه يُفطر ويُفدي، أي يطعم عن كل يوم مسكيناً **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِّسْكِينٌ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾** [البقرة: ١٨٤].

من زاد على أكثر من مسجين فهو خير له.

ينتهز الإسلام الفرصة لكيلا يدع الناس جائعين.

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسن إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

ومن أفضـل ما حثـ علىـه النـبـي ﷺ مـمـا يـدخل إـلـى إـنـسـانـ بـهـ الجـنـانـ: إـطـاعـمـ الطـعـامـ، فـهـوـ مـنـ أـعـظـمـ الـقـرـبـاتـ إـلـىـ اللهـ، وـخـاصـةـ فـيـ أـيـامـ الـمـسـغـبةـ وـالـمـجـاعـةـ وـالـأـزـمـةـ: ﴿فَلَا أَقْنَحَ الْعَقْبَةَ * وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعَقْبَةُ * فَكُلْ رَقْبَةً * أَوْ إِطْعَمْ فِي يَوْمِ ذِي مَسْعَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ مـنـ الـأـقـارـبـ ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتَّرَبَةً﴾ يـدـهـ مـلـصـقـةـ بـالـتـرـابـ لـاـ يـجـدـ شـيـئـاـ يـمـلـكـهـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ - ١٧].

وأثـنـىـ اللهـ عـلـىـ الـأـبـرـارـ مـنـ عـبـادـهـ فـقـالـ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حُجَّهِ، مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِرَوْجِهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

هـذـاـ مـنـ أـفـضـلـ الـقـرـبـاتـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ.

وـمـنـ أـعـظـمـ الذـنـوبـ أـنـ يـشـبـعـ بـعـضـ النـاسـ، وـآخـرـونـ بـجـوارـهـ جـائـعـونـ.

يـقـولـ النـبـي ﷺ: «مـاـ آمـنـ بـيـ مـنـ بـاتـ شـبـعاـنـاـ، وـجـارـهـ جـائـعـ إـلـىـ جـنبـهـ وـهـوـ يـعـلـمـ»^(١).

وـفـيـ روـاـيـةـ: «لـيـسـ الـمـؤـمـنـ الـذـيـ يـشـبـعـ وـجـارـهـ جـائـعـ»^(٢).

لـيـسـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـمـ صـاحـبـ الـقـلـبـ الـقـاسـيـ، الـذـيـ لـاـ يـحـنـوـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ الـجـيـاعـ وـالـضـعـفـاءـ، لـاـ يـحـنـوـ بـنـفـسـهـ وـلـاـ يـحـثـ غـيرـهـ: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللِّدِينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أُلْيَامَهُ﴾ [الماعون: ٣ - ١].

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناد المنذر في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحية (١٤٩)، عن ابن عباس.

وقد ذمَ الله المجتمع الجاهلي بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ • وَلَا تَحْكُمُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

مطلوب من الإنسان أن يطعم المسكين، وأن يحضر غيره على إطعامه، وإنما كان مصيره مع أولئك الذين ذكرهم القرآن مع أهل سقر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً • إِلَّا أَخْبَرَ الْيَتِيمَ • فِي جَنَّتِ يَسَاءَ لُونَ • عَنِ الْمُجْرِمِينَ • مَا سَلَّكُوكُمْ فِي سَقَرَ • قَاتُلُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيَنَ • وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٤].

أضاعنا حقَ الله بإضاعة الصلاة، وأضاعنا حقَ عباده بإضاعة الزَّكاة،
وعدم إسعاف المساكين والمضررين.

يا أيها الإخوة المسلمين، إنَ الإسلام يكره أن يعيش الإنسان في الجوع؛ بل يستحبُ الناس على أن يكونوا أسرة واحدة، وأن يكونوا كاليد الواحدة: يعطف بعضهم على بعض، يأخذ القوي بيد الضعيف، يصبُ الغني على الفقير من مال الله الذي آتاه.

هذه هي العناصر الثلاثة التي بها نواجه أزمة الجوع ومحنة الجائعين:

١ - العمل على تنمية الإنتاج.

٢ - ترشيد الاستهلاك.

٣ - عدالة التوزيع.

لو قمنا بهذا كما أمرنا الله تعالى لم نشكُ من الجوع.

صحيح أنَّا نحن المسلمين لسنا وحدنا في العالم، هناك بلاد كثيرة تملك الكثير، وعليها أيضًا واجب، فطالما امتصَت دماء هذه الأوطان، وطالما أكلت خيراتها، وطالما استنزفت أرزاها، وكوَّنت لأنفسها

ثروات طائلة هي من عرق هذه الشعوب، فعليها أيضًا واجب لإسعاف هذه البلاد.

هناك بلاد تنتج الإنتاج العريض، من الأغذية وغيرها، ثم تلقى في المحيط، في البحر؛ حتى لا ترخص الأسعار، وكان يمكنها أن تسعف به بعض الجياع في العالم.

إن بعض ما ينفق على التسليح النووي وغير النووي، لو أنفق ثلثه أو ربعه ما كان في العالم جائع.

إن كثيراً من الأموال التي تُنفق في غير محلّها، لو أنفقت في موضعها لكفت أولئك الجياع من الناس.

إن الناس لو رجعوا إلى الله وطرقوا بابه مستغفرين لأرسل السماء عليهم مدراراً، وببارك لهم في أموالهم، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْأَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ إِمَانُهُمْ وَاتَّقُوا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وليس الإيمان مجرد أن تقول: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». بلسانك، أو تسبّح وتهلل وتکبر!

الإيمان دافع إلى العمل أيضًا، الإيمان هو التقوى، والاستقامة على أمر الله، والرعاية لسنب الله.

لو فعلنا هذا لكنّا أغنى الأمم، وهكذا كنّا في وقت من الأوقات، حتى بحث عمر بن عبد العزيز، وببحث ولاته عن فقير يستحق الزكاة فلم يجدوا؛ فقد عم الرخاء الجميع، وعم عدل الإسلام الجميع، فلم يعد في الناس جائع ولا فقير.



لعلنا نرجع إلى ربنا ونقرع بابه تائبين مستغفرين قائلين ما قال أبونا آدم وأمنا حواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ادعو الله تعالى يستجب لكم.

* * *





اليوم العالمي للطفلة^(١)



الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

احتفل العالم خلال هذا الأسبوع بـ «يوم الطفل العالمي»، وحقّ العالم أن يحتفل بالطفل، ويوليه من الاهتمام ما هو أهله.

الطفل هذا المخلوق الصغير الضعيف، أصبح العالم يحتفل به، وتعلّن حقوقه في موايثيق دولية، وتقوم مؤسسات من أجل هذا الطفل.

ونحن المسلمين أولى الناس برعاية الطفولة، وأولى الناس برعاية حقّ الأطفال، فلم يوجد دين كالإسلام عُني بهذا المخلوق الصغير.

اهتمام الإسلام بالطفل:

من قرأ الفقه الإسلامي يرى هذه العناية في أبواب شتّى: في باب العقيقة، في باب الحضانة، في باب الرضاع، في باب الختان، في أبواب شتّى من فقه الإسلام: نجد أحكاماً كثيرة تتعلق بأمر الصبي، وأمر الطفل، وأمر الطفولة.

(١) هو اليوم الثاني من أكتوبر من كلّ عام ميلادي.

ومن قرأ القرآن والسنّة علم مبلغ عن أيتهما بهذا المخلوق الضعيف.
من أجل ذلك كان علينا أن نعني بأطفالنا؛ فهم ثروة؛ بل هم أعظم ثروة.
الثروة ليست في الفضة والذهب، والثروة ليست في النفط والغاز،
الثروة الحقيقية هي الثروة الإنسانية.

الإنسان هو أغلى الثروات وأعظمها، وكل ما في هذا الكون قد خلق
وسرّخ للإنسان، فإذا اهتممنا بالمادة وأهملنا الإنسان، فقد عكسنا
الأوضاع وقلينا الحقائق، وأول اهتمامنا بالإنسان يجب أن يكون بالطفل.

إن الإسلام من أجل العناية بالطفولة حرم السفاح وشرع النكاح،
حرم الزنى واعتبره فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً، وأوجب فيه العقوبة وشدد
فيه، وفتح الأبواب لتقوم الأسرة الصالحة.

لماذا فعل الإسلام ذلك؟

لأنَّ الإنسان دون الكائنات الحية الأخرى، يحتاج إلى أطول طفولة،
غير طفولة كلِّ الحيوانات والطيور، وحاجته إلى هذه الطفولة الطويلة
مرتبطة بحاجته إلى مزيد رعاية وعناء من الأبوين والأسرة، فلهذا كان
لا بدَّ أنْ يعيش الطفل في جو أسري وفي مناخ صحي.

الطفل في حاجة إلى أنْ يتربى في ظلِّ هذه الحضانة، في ظلِّ أبواه
راعية، وأمومة حانية، وأنخوة عاطفة، وعصبة مانعة، ورحم موصولة،
يحتاج إلى هذا كُله، وهذا لا يتم إلَّا بالزواج وإلَّا بالأسرة.

لو تركَ الناس لشهواتهم يسافحون كالبهائم؛ حيثما شاءت لهم
رغباتهم وملذاتهم، ما وجد الطفل له أباً يعرفه، ما وجد له نسباً، ما وجد
له مناخاً صحيحاً ينشأ فيه ويدرس.



كان لا بد من هذا العش الإنساني «عش الأسرة»، ومن أجل ذلك شرع الزواج، وكان التشديد في تحريم الزنى؛ حتى ينشأ الطفل نشأة صحية.

من أجل هذا جعل الإسلام الولد للفراش، حينما تكون زوجية صحيحة قائمة فالولد ينسب إلى أبيه، إلى الزوج، إلى فراش الزوجية، ولا يشك في ذلك حفظاً لنسبه.

حتى بالغ بعض الفقهاء، فأثبتت النسب، ولو كان بين الأبوين مسافات ومسافات؛ حفظاً لحق الولد في النسب، وقال الفقهاء: لو أن رجلاً استلحق طفلاً به، وادعى نسبه يجب أن يصدق، ما دام يولد مثله، وما دام لم يكذبه أحد.

وإذا كان الطفل يمكن أن يكون له كلام، اشترطوا أن يقر بذلك ويعرف به.

كل هذا لحفظ الطفل ولحفظ نسب الطفل.

أقر الإسلام الزواج وطلبه وحث عليه؛ من أجل العناية بالطفل.

من شرّ ما تصاب به الأمم أن ينتشر فيها الزنى والفاحشة، ويولد أولاد لا يعرفون لهم آباء، ولا يعرفون لهم أسرًا، إنّها مصيبة!

اهتمام الإسلام بجميع الأطفال:

ومن أجل هذا عرف الفقه الإسلامي باباً يسمى: «باب اللقيط».

اللقيط هو: الطفل الذي يوجد في طريق، أو عند مسجد، أو في سوق، لا يُعرف له نسب، ولا يُعرف له أب ولا أم، أو يشرد عن أهله، أو

يضلُّ عنهم، أو يخطف منهم، دون سن التمييز، ولا يعرف اسمه ولا يعرف أهله.

ومثلهم الأطفال الذين يموت أهلهم في الحروب، ولا يعرفون أبناء من هم؟

هذا النوع من الأطفال لم يهمله الإسلام؛ بل وضع له أحكاماً خاصة.

حينما جاء إلى عمر بن الخطاب ب طفل من هذا النوع، قال للرجل الذي التقته: اذهب به، لك ولاؤه، علينا نفقته^(١). أي: نفقته على المجتمع، على الدولة.

إذا لم يقم الرجل بالنفقة على الطفل الذي التقته - قد لا يكون موسراً - فإنَّ على المجتمع ممثلاً في الدولة، وفيه ولبي الأمر: أنْ يتکفل بهذا الإنسان، حتى ولو شكَّ أنه جاء من حرام؛ فإنَّه لا ذنب له، ومن حقه أن يعيش، ومن حقه أن يُرعى، ومن حقه أن يربى تربية صالحة.

لقد اهتمَ الإسلام بالطفولة قبل أن تُوجد، حين أمر الآباء أو الرجال أن يتخيروا لنطفهم إذا تزوجوا.

كما أمر النساء وأولياءهن أن يختاروا من يرضون دينه وخلقه من الرجال.

واهتمَ الإسلام بالطفولة بعد أن يُولد الطفل.

بعد أن يولد الطفل يطلب الإسلام من الأب أن يؤذن في أذنه؛ ليكون

(١) علقة البخاري في الشهادات قبل الحديث (٢٦٦٢)، ورواه مالك في الأقضية (٢٧٣٣)، تحقيق الأعظمي، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٨٧٠).

أَوَّل مَا يُسْمِعُه كَلْمَةُ التَّوْحِيدِ «شَهادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ».

إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ، وَلَكِنَّ لِهَذِهِ الْكَلْمَةِ سُرًّا، كَمَا أَنَّ لَهَا دَلَالَةٌ وَإِيْحَاءٌ، حَتَّى
إِذَا نَمَا وَمَيَّزَ، قَلَّنَا لَهُ: إِنَّ أَوَّلَ كَلْمَةَ سَمِعْتُهَا كَانَتْ كَلْمَةَ التَّوْحِيدِ.

كما أنَّ آخر كلمة يسمعها الإنسان وهو على فراش الموت: هي كلمة التوحيد.

فبالتوحيد يستقبل الحياة، وبالتوحيد يوَدِّع الحياة.

وفي اليوم السابع - أو الرابع عشر، أو الحادى والعشرين، أو ما تيسر
له بعد ذلك - يعُقُّ عن المولود، كما جاء في الحديث: «عَقَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ شَاثِينِ يَوْمِ السَّابِعِ»^(١)، أي: ذبح عنهما ذبيحتين؛
إعلانًا للفرحة بوجودهما؛ فالطفل - ذكرًا أو أنثى - هبة من الله تعالى
ونعمة منه، يقول الله تعالى: ﴿لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهْبِتُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهَا وَيَهْبِتُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُكُورَ * أَوْ يُزُوِّجُهُمْ ذِكْرًا وَإِنَّهَا وَيَجْعَلُ
مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ولهذا أنكر الإسلام على أهل الجاهلية وأدهم للبنات، واستياءهم
بالأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ طَلَّ وَجْهُهُ مُسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يئورى من
القوم من سوء ما بشر به أيمسكه، على هون أمر يدسه في التراب ألا ساء ما
يتحكمون ﴿[النحل: ٥٨، ٥٩].﴾

(١) رواه أبو يعلى (٤٥٢١)، وابن حبان في الأطعمة (٥٣١١) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في الذبائح (٢٣٧/٤) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي في الضحايا (٣٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١٨٩): رواه أبو يعلى، والبزار باختصار، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخ أبي يعلى: إسحاق، فإني لم أعرفه. عن عائشة.

لقد كفروا بهذه النّعمة، وميّزوا بين الذّكر والأنثى، وهل الذّكر إلّا من الأنثى؟!

وهل يستطيع النّاس أن يعيشوا ما لم يكن هناك ذّكر وأنثى؟!
لو لا الأنثى ما كان الذّكر، ولو لا المرأة ما كان الرجل، ألم يولد
النّاس من أمّهات؟!

ولكن هؤلاء اعتذروا على هذا المخلوق الضعيف ووأدوه: ﴿وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُيَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التّكوير: ٨، ٩].

من أجل ماذا؟

خشية أن تزاحمه في لقنته من بعد، من إملاق واقع: ﴿وَلَا تَقْتُلُوْا
أُولَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم﴾ [الأنعام: ١٥١].

أو خشية إملاق وفقر متوقع: ﴿وَلَا تَقْتُلُوْا أُولَادَكُم خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُهُم
وَإِيَّاكُم﴾ [الإسراء: ٣١]. الرّازق للكبير وللصغير هو الله.

كان هذا من جنایة الجاهلية على الطفولة.

جنوا على البنت؛ فجاء الإسلام وأكرّها، وجعل ولادتها نعمة، وبشر من ابتلي بالبنات - فأدّبهن فأحسن تأدبيهن وصبر عليهن - بالجنة^(١).

ولهذا رأينا من الشعراء المسلمين بعد ذلك من يقول في شأن بناته:

لولا بنيات كرغب القطا
رُدُدن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطربٌ واسعٌ
في الأرض ذات الطول والعرض

(١) كما في الحديث: «من ابتلي من هذه البنات بشيء؛ فأحسن إليهن كن له سترا من النار». متّفق عليه: رواه البخاري في الزّكاة (١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٩)، عن عائشة.

وَإِنَّمَا أُولَادَنَا بَيْنَا
أَكْبَادَنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْهَبَتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعَتِ عَيْنِي مِنْ الغَمْضِ^(١)

هذا ما صنعه الإسلام، صنع هذه القلوب بدل تلك القلوب المتحجّرة، التي كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة، التي جعلت الأب يقتل نفسه وبهذه ولده وفلذة كبده، وقتله أسوأ قتلة: بالوأد، بالدّس في التراب **﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** [النحل: ٥٩].

اختيار الاسم الحسن المولود:

وقد شرع الإسلام العقيقة إعلاناً بشكر النّعمة، وإعلاناً للفرحة، وإعلاناً بثبوت نسب هذا الطفل، ذكرًا كان أو أنثى.

كما أمر النبي ﷺ أن نسمي أولادنا ونحسن تسميتهم.

من حقّ الولد أن يكون له اسم، وأن يكون له اسم حسن، لا يتضرّر به بعد كبره ويتأذّى منه، فبعض الأسماء يتأدّى أصحابها منها.

ينبغي للأب إذنُ أنْ يحسن تسمية ولده، يسميه بأسماء الرسل والأنبياء، وبما حمد وعبد من الأسماء، يسميه بـ: عبد الله، بـ: عبد الرحمن، يسميه بأسماء الصالحين والعلماء والأبطال، وغير ذلك من الأسماء الطيبة.

هذا ما ينبغي على الأب أن يفعله.

الرضاع حقٌّ من حقوق الطفل:

ثم ذكر القرآن قضيّة إرضاع الأمّهات للاولاد، وخصوصاً في حالة الفراق بين الزوجين، فقد تحاول الأم أن تكايد زوجها ومطلقها؛ فتهمل

(١) من شعر حطان بن المعلى. انظر: العقد الفريد (٢٧٤/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

ولدتها منه، لهذا جاء القرآن في سياق آيات الطلاق ليقول: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعُنَّ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وهذا خبر في معنى الأمر، فهنّ مأمورات بإرضاع أولادهن.

كثير من الأمهات في عالم اليوم وفي عصرنا هذا يؤثرن أنفسهن على أطفالهن، تريد المرأة أن تبقى رشيقه البدن كالغزال، بدل أن يتهدّل ثديها وصدرها، تحرم طفلها من هذا الغذاء الرباني المعقم، الذي أنزله الله من صدرها، يجري رزقا صافيا سائغا لهذا الطفل الضعيف.

تحرم الطفل من لبنها؛ ليتغذى على لبن صناعي، وهيهات أن يسدّ اللبن الصناعي مسدّ اللبن الطبيعي الرباني.

والرضاعة ليست لبناً فقط، إنّه الصاق الأم طفلها إلى صدرها، إنّه لا يرضع لبناً فقط، إنّه يرضع حناناً وحنواً وعاطفة.

هذا الضم هو الذي يعطي الأمة معناها، وهذا هو الذي يعطي للمرأة حقّ الحضانة دون الرجل.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ امرأة قالت: يا رسول الله، إنّ ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجربي له حواء، وإنّ أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحق به ما لم تنكري»^(١).

(١) رواه أحمد (٦٧٠٧)، وقال مخرجوه: حسن. وأبو داود (٢٢٧٦)، والحاكم (٢٢٥/٢)، كلاهما في الطلاق. وصحّحه الحاكم، وأقره الذهبي، وابن الملقن في البدر المنير (٣١٧/٨).

وَحِينَما تنازع عمر بن الخطاب وزوجه أم عاصم: ابنه في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأراد عمر أن ينتزع ابنه من أمه المطلقة، فاختصما إلى أبي بكر، فقال أبو بكر: ريحها وفراشها وحجرها خير له منك^(١)! وقال أيضًا: الأم ألطاف وأعطف، وأرحم وأحنى وأرأف^(٢).

فلهذا قضى للأم بالحضانة ما لم تتزوج.

ثم بعد الأم: قرابة الأم مفضلة على قرابة الأب؛ لأنها أحنى وأرحم، كلّ هذا عناء بهذا الطفل الضعيف.

القرآن يذكر الرضاع فيقول: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعُنَ أُولَادُهُنَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمِّمَ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَ وَكِسْوَتُهُنَ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضْكَارَ وَلَدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاؤِرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

لم يدع الأمر لأحد الأبوين هنا، فربما ملّت المرأة من الإرضاع، وربما ملّ الأب من دفع الأجرة والنفقة، فلم يترك لهما الأمر لأحدهما؛ بل لا بدّ أن يتراضيا ويتفقان معاً، ومع التراضي لا بدّ من التشاور، أي: يتشارقا معاً، يشاورا أهل المعرفة وأرباب التجربة في هذا الأمر: هل يحسن بالطفل أن يُفطم قبل الحولين أو لا يحسن؟

قد يقولون: يحسن لأن صحته جيدة ونموه طيب. وقد يقولون: مثله يحتاج إلى رضاع أكثر.

كلّ هذا عناء من الله بالطفل.

(١) رواه عبد الرزاق في الطلاق (١٢٦٠١).

(٢) المصدر السابق (١٢٦٠٠).

يقول الإمام الفخر الرازى: فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير، كم شرط في جواز فطامه من الشرائط دفعاً للمضار عنه، ثمَّ عند اجتماع كلٌّ هذه الشرائط لم يصرّح بالإذن، بل قال: «لا جناح عليكم»، وهذا يدل على أنَّ الإنسان كلَّما كان أكثر ضعفاً كانت رحمة الله معه أكثر وعنايته به أشد^(١).

الله أرأف بهذا المخلوق من الأبوين، فإنَّ الله أرأف بعباده من الوالدة بولدها.

الرضاع والحضانة والفطام والنفقة، كلُّ هذا مطلوب؛ لأنَّه جزء من الرعاية لهذا المخلوق.

يجب رعاية الأطفال مادياً بحسن التغذية، وصحياً بمراعاة ما تطلبه الصحة العامة، وما يطلبه الطب الوقائي في عصرنا.

أصبح في عصرنا هناك أمور كثيرة ينبغي أن تُراعى لحفظ صحة الطفل مثل: التطعيمات التي تطلب في مواعيد محددة.

الواجب الشرعي يحتم على الآباء والأمهات ألا يهملوا ذلك، فقد تهمل طفلك؛ فيترتب عليه أن يصاب بسلل الأطفال مثلاً، فتكون قد جنئت عليه جنائية كبرى.

كان يمكنك بمقتضى قانون الأسباب والمسبيبات أنْ تمنع ذلك، بأنْ تذهب به إلى دار رعاية الطفل أو المستشفى، أو المؤسسة أو المركز الصحي؛ ليتناول هذا الشيء البسيط في صغره، لتمكنه من أمراض معضلة في كبره.

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤٦٤/٦)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

كلُّ هذه حقوق الطفل: الرعاية الصحية، والرعاية المادّية، والرعاية العاطفية.

الأطفال كما قلنا ثروة بشرية، ينبغي أن نحافظ على هذه الثروة، ولا نبدها.

والأطفال كذلك نعمة من الله تعالى، فينبغي أن نشكر ربنا على هذه النّعمة.

الأنبياء طلبوا من الله سبحانه أن يرزقهم الذرية:

إبراهيم عليه السلام بعد أن بلغ من الكبر ما بلغ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّابِرِينَ * فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصّافات: ١٠١، ١٠٠]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وزكرياء عليه السلام: ﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ نِدَاءَ حَفِيَّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظُمُ مِنِي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ يُدْعَ إِلَيْكَ رَبِّ شَقِيَّا * وَإِنِّي حَفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتْ أُمْرَأِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ إِلَيْ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيَّا﴾ [مريم: ٣ - ٦].

هكذا نرى رسول الله طلبوا الذرية، الذرية نعمة فينبغي أن تُشكر.

الأطفال نعمة يجب أن تُشكر وأمانة يجب أن ترعى:

وكيف تُشكر هذه النّعمة؟

إنّها تُشكر برعايتها وتأدبيها، وحسن تربيتها من الصغر، فمن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره، والتّأديب في الصغر كالنّقش على الحجر. لا بدّ من هذا.

الأطفال ثروة ينبغي أن نحافظ عليها، ونعمة يجب أن تُشكر.

وهم كذلك: أمانة يجب أن ترعى، هم وداعٌ استودعنا الله إياها، فيجب أن نحافظ على الأمانة: «كُلُّكم راعٍ، وكُلُّكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»^(١).

أين هذا مما نجده اليوم من الآباء، الذين كان كلًّا مهمتهم: أن ينجبوه أطفالًا، ثمَّ هم لا يسألون عنهم بعد ذلك: ماذا يحدث لهم؟ هل هم مرضى أو أصحاب؟ هل هم أقوياء أو ضعفاء؟ أذهبوا إلى المدرسة أم لم يذهبوا؟ أنجحوا أم رسبو؟ أستقاموا أم انحرفوا؟ من أصدقاؤهم؟ من المحيطون بهم؟

بعض الآباء لا يسألون عن شيءٍ من ذلك، وبعض الأمهات لا يعنين بأطفالهن، لكنهن يسلمنهن إلى الخادمة أو المربية الهندية أو الفلبينية، أو ما شئت من تلك الجنسيات، من قومٍ غير قومنا، ودينٍ غير ديننا، ولغةٍ غير لغتنا، وأعرافٍ غير أعرافنا، ومفاهيم غير مفاهيمنا، وتقاليد غير تقاليدنا.

ومع هذا نسلِّم إليهنَّ أغلى شيءٍ عندنا: أطفالنا، ولا ندري كيف يتعاملن معهم؟

الأم مشغولة، بأي شيءٍ مشغولة؟ والأب مشغول، أين المسؤولية؟

أين رعاية الأمانة؟ هذا هو اليتيم الحقيقي!

(١) سبق تخرجه ص ١٥٦.

رحم الله أمير الشعراء «شوقي» حينما قال:
 ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلا
 إنَّ اليتيم هو الَّذِي تلقي له أَمَّا تخلَّتْ أو أَبَا مشغولا^(١)

من تخلَّتْ أمه، أو شُغل أبوه عنه، فهذا هو اليتيم حقاً؛ لأنَّ اليتيم
 الَّذِي مات أبوه قد يرعاه عُمه أو قريبه، ولكن هذا أبوه حي وأمه حية
 تسعى؛ فمن يرعاه؟!

إنَّها مسؤولية كبيرة أيها الإخوة والأخوات.

إنَّ كثيراً من الآباء والأمهات يسيئون إلى أطفالهم بالقدوة السيئة،
 وخير ما يربى الأطفال: الأسوة الحسنة.

فبمن يتأسَّى الطفل إذا وجد أبواه يدخن السجارة؟

بمن يتأسَّى الطفل إذا وجد أبواه لا يصلِي؟

بمن يتأسَّى الطفل إذا وجد أبواه يشرب المسكرات، ويرتكب
 المنكرات؟

بمن يتأسَّى الطفل إذا وجد أمه أو وجدت أمها تخرج كاسية عارية،
 مميلة مائلة؟

بمن يتأسَّى الولد أو تتأسَّى البنت إذا عاشت في أسرة لا تحُلُّ
 ما أحلَّ الله، ولا تحرِّم ما حرَّم الله، ولا تعظِّم شعائر الله، ولا تلتزم بأمر الله
 ونهي الله؟

إنَّها قدوة سيئة.

(١) انظر: الشوقيات (١٨٣/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

رحم الله حافظ إبراهيم حينما قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيباً الأعراق^(١)
التعليم الأول يبدأ في الأسرة، يبدأ من الأب والأم، فهل يؤدي الأب والأم وظيفتهما؟

الأطفال في حاجة إلى رعاية دائمة، إلى تربية مستمرة، تربية للجسم بحسن الغذاء، وللعقل بالمعرفة الحسنة، وللقلب بالعواطف النبيلة.

يجب أن يُغرس هذا منذ نعومة الأظفار.

ولهذا عَلِّمنَا الإسلام أن نأمر أولادنا بالصلوة لسبعين، وأن نضربهم عليها لعشر؛ حتى ينشؤوا على الخير والطاعة منذ صغرهم، ومنذ نعومة أظفارهم، ورخاؤة أجسادهم، فمن شبَّ على شيء شابَ عليه، ومن شابَ على شيء مات عليه.

وينفع الأدب الأحداث في صغٍرٍ وليس ينفع عند الشيبة الأدب
 إنَّ الغصونَ إذا قَوَّمتها اعتدلت ولن تلينَ إذا قَوَّمتها الخُشُبُ^(٢)

الفرق بين الحب والفساد للأطفال:

بعض الآباء والأمهات يفسدون أطفالهم: إما بالتدليل المفرط، وإما بالقسوة المفرطة.

التدليل أن يترك الحبل على الغارب للطفل، يفعل ما يشاء،

(١) ديوان حافظ صـ ٢٧٠، تصحيح أحمد أمين بك وآخرين، نشر دار المعارف، القاهرة، طـ ٣، ١٩٤٨م.

(٢) البيان لسابق البربرى، كما في فصل المقال شرح كتاب الأمثال للبكري صـ ١٨٢، تحقيق إحسان عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ ١، ١٩٧١م.

ولَا يُرْفَض لِه طَلَب، أَيْمًا رَغْبَة أَبْدَاهَا تُجَاب فِي الْحَال، الطَّفَلُ هُوَ الْمَلِك
الَّذِي يَأْمُر وَيَنْهَا!

هذا ليس حبًّا للطفل؛ بل هو إفساد له.

الطَّفَل عَلَى صِغْرِه قَابِل لِلْفَهْم إِذَا أَحْسَنَ إِفْهَامَهُ، وَلِلْإِقْنَاعِ إِذَا أَحْسَنَ
إِقْنَاعَهُ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْرُفَ أَنَّ هُنَاكَ مَا يَطْلُبُ وَيُقْبَلُ، وَهُنَاكَ مَا لَا يُقْبَلُ،
فَيَنْبَغِي أَنْ نَفْهُمَهُ وَنَقْنِعُهُ.

إِذَا عَوَّدْتَ طَفْلَكَ مِن الصُّغُر أَنَّ الْأَمْرَ بِالْإِقْنَاعِ، وَأَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا لَا يَئْتِي
وَشَيْئًا غَيْرَ لَا يَئِقُّ، وَشَيْئًا يَجُوزُ وَشَيْئًا لَا يَجُوزُ، نَشَأَ عَلَى ذَلِكَ.

أَمَّا أَنْ يَسْتَخْدِمَ الطَّفَلُ التَّهْدِيدُ وَالصَّرَاطُ وَالبَكَاءُ، فَتَرْضَخُ لَه طَائِعًا أَوْ
غَيْرَ طَائِعًا، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ حُسْنِ التَّرْبِيَةِ.

التَّرْبِيَة لَيْسَ التَّدْلِيلُ، وَلَيْسَ هِيَ الْقَسْوَة أَيْضًا.

بعض النَّاس قَسَّاءٌ عَلَى أَطْفَالِهِمْ، يَعْمَلُونَهُم بِفَظَاظَةٍ وَغَلْظَةٍ، كَأَنَّمَا
قُدِّمَتْ قُلُوبُهُم مِنْ حَجَرٍ.

لَا، نَحْنُ نَرِيدُ مِنَ الْأَبِ الْوَجْهَ الْضَّاحِكَ، وَالثَّغْرَ الْبَاسِمَ، وَالْقَلْبَ
الْحَانِيَ، الَّذِي يَعْمَلُ هَذَا الْكَائِنُ الصَّغِيرُ بِاعتِبَارِهِ كَائِنًا حَيًّا، شَاعِرًا
حَسَاسًا، يَفْهُمُ وَيَتَذَوَّقُ.

لَا تَظْنُوا أَنَّ هَذَا الطَّفَلُ لَا يَفْهُمُ.

لَا، إِنَّ لَه عَقْلًا غَرِيزِيًّا أَلْهَمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مِنْذَ أَنْ يُولَدُ، وَلَهُذَا كَانَ السَّلْفُ
رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم يَسُوُّونَ بَيْنَ أَطْفَالِهِمْ حَتَّى فِي الْقُبُّلَاتِ، إِذَا قَبَّلَ أَحَدُ
أَطْفَالِهِ قَبَّلَ الْآخَرُ؛ لِأَنَّ الطَّفَلَ إِذَا قَبَّلَتْ أَخَاهُ - الْأَكْبَرُ مِنْهُ، أَوْ الْأَصْغَرُ مِنْهُ،

أو المساوي له من امرأة أخرى، أو نحو ذلك - وأهملته، أصبح في قلبه شيء من الغيرة والحسد والضيق.

وقد ذكر لنا القرآن قصة يعقوب مع أولاده، وكيف أدى حبه الزائد ليوسف إلى حسد إخوته، حتى كادوا كيدهم ليقتلوه، وقالوا: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩].

ال طفل في حاجة إلى أن يشعر بكيانه منذ أن يولد، ولهذا يجب أن يلاعب، وأن تلعب أنت معه أيها الأب.

جاء في المأثور: «من كان له صبي فليتصاب له»^(١) يعامله معاملة الصبي، ينزل إلى مستواه.

مداعبة النبي ﷺ للأطفال:

وهل رأيتم أفضل من سيد الخلق محمد ﷺ وكيف كان يداعب الأطفال ويلاعبهم؟

كان إذا مر على الصبيان سلم عليهم^(٢).

ودخل على أبي طلحة، وكان عنده ابن صغير، فقال له: «يا أبا عمير، ما فعل النّغير»^{(٣)؟!}

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/٧٢)، وقال المناوي في فيض القدير (٢٠٩/٦): «رواه ابن عساكر في تاريخه... وفيه محمد بن عاصم. قال الذهبي في الضعفاء: مجھول يیضن له أبو حاتم. ورواه أيضًا الدیلمي». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٠٠)، عن معاوية مرفوعاً. ومعناه كما قال المناوي في فيض القدير (٢٠٩/٦): أي من كان له ولد صغير ذكراً أو أنثى؛ فليتصاب له بلطف ولين في القول والفعل، ويفرجه ليسره.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٧)، ومسلم في السلام (٢١٦٨)، عن أنس.

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٣)، ومسلم في الآداب (٢١٥٠)، عن أنس.



النُّغیر طائر كان يلعب به ثمَّ مات، فهو كان حزيناً عليه، فكان يداعبه، ويكتُنِي الطفل الصغير بهذه التكنيَّة: «يا أبا عمير».

وقصصه مع أولاد بناته معروفة مشهورة.

فقد كان يصلِّي، وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب، فإذا رکع وضعها، وإذا قام حملها^(١).

وكان الحسن أو الحسين يركب على ظهره وهو يصلِّي؛ فيطيل السجود، كما حدث مرَّة، حتَّى ظنَّ الصحابة الظنون وقالوا: ظننا أنَّه قد حدث أمر أو أنَّه يوحى إليك!

قال: «كُلُّ ذلك لم يكن، لكن ابني ارتحلني، فكرهت أنْ أُعجله حتَّى يقضِي حاجته»^(٢).

روي أنَّ أحد الصحابة دخل عليه وعنه الحسن والحسين، وهما يركبان على ظهره عليه السلام، فقال الصحابي: نعم المركب ركبتما.

فقال عليه السلام: «ونعم الفارسان هما»^(٣)!

جعل من نفسه جملاً وأركبهما فوق ظهره في البيت، يلاعبهما، وليس هذا عيباً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٥١٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٣)، عن أبي قتادة.

(٢) رواه أحمد (١٦٣٣)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهاد.

(٣) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

العيوب أن تدعى الكبراء، وأن تكون جامداً كالصخر، ولا تعقل أنَّ هؤلاء الأطفال في حاجة إلى مداعبة ورعاية.

ليس كلُّ شيء: أن تغذيهم وتكسوهم وتعطيهم من الأموال ما قد يفسدهم.

لا، إنَّ عاطفة الأبوة أعزُّ وأغلى وأهمُّ من فلوسك وأموالك ودرارهمك وريالاتك ودولاراتك.

الأولاد في حاجة إلى هذه الرعاية، في حاجة إلى هذه التربية، وإلى هذا التأديب المعترض، بين القسوة وبين التدليل.

دخل أحد زعماء الأعراب^(١) على النبي ﷺ فوجده يقبل الحسن أو الحسين، فقال: إنَّ لي عشرة من الولد، ما قبلت أحداً منهم قط.

فنظر إليه رسول الله ﷺ ثمَّ قال: «من لا يرحم لا يُرَحَّم»^(٢).

وجاء أعرابي آخر إلى رسول الله ﷺ فقال: إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم! كأنَّه يعتبر ذلك مما لا يليق بالرجل أن يفعله!

فقال ﷺ: «أوْ أملك لك، أن نزع الله الرحمة من قلبك»^(٣)!

يعني: ماذا أملك لك؟ إذا كان الإنسان لا يقبل ولده؛ فأي رحمة في قلبه؟!

الإسلام يريد القلب الرحيم في معاملة هؤلاء الأطفال.

(١) هو الأقرع بن حابس التميمي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.



ومن أجل ذلك جاءت العناية باليتامى أكثر من غيرهم؛ لأنّهم أطفال فقدوا الآباء الحانين، فقدوا من يشدّ أزرهما، ويحمي ظهرهما، فلهذا اشتَدَّت عناية القرآن والسنّة باليتامى: «فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا نَقْهَرُ» [الضحى: ٩]، «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّهِ يَدْعُ الْيَتِيمَ» [الماعون: ١، ٢]، أي: يدفعه بعنف ويقهره.

وفي الحديث الصحيح: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»^(١)، وأشار بأصبعه: السبابة والوسطى.

جاء الإسلام يعني بالطفلة أشدّ العناية، ليس هناك دين يعني بالطفلة كما يعني الإسلام.

فعلينا أن نعني بأطفالنا منذ ولادون، ونسير معهم يوماً بيوم ومرحلة مرحلة.

قال بعض السلف: لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وآخوه سبعاً، ثم ألق حبله على غاربه.

ليس هذا حديثاً مرفوعاً، ولكنه حكمة مأثورة.

لاعب ابنك سبعاً:

أي: السبع سنوات الأولى يغلب عليها طبيعة الملاعبة، الطفل عنده طاقة، والله سُبْحَانَ اللَّهِ حبّ إليه اللعب فطرة منه، حتى يستطيع أن يستثمر طاقته في هذا اللعب، فلا تقف ضده، دعه يلعب، وأنتح له الفرصة ليلاعب، وهبّي له الوسائل ليلاعب، وفي عصرنا أنواع كثيرة من اللعب، وجّهه إلى أنْ

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، عن سهل بن سعد.

يلعب اللعب الصحيح، وألا يعتدي على غيره إذا لعب، وألا يكون أنازيًا في كل شيء، راقبته في ذلك كله، وحاول أن تشاركه في لعبه ما استطعت.

«وأدبه سبعاً»، أي: في السبعة التالية، ليس معنى هذا أن السبعة الأولى ليس فيها تأديب.

لا، ولكن يغلب عليها كما قلنا الملاعبة.

وكذلك السبعة الثانية ليس معناها أنه ليس فيها لعب، بل فيها، ولكن بعد أن يبلغ الطفل سبع سنين: بدأ يعقل ويعي، ويتفتح عقله ووجدانه، فأدبه وعلمه، ولذا جاء التوجيه النبوى الكريم: «مروا أولادكم بالصلة وهم أبناء سبع سنين»^(١).

فعلّمه الصلاة ولقنه الأشياء الطيبة، واجلس معه، وارو له القصص الحسنة، قصص العلماء والأبطال، كما كان الصحابة يفعلون.

علي بن الحسين يقول: كنا نروي أبناءنا مغازى رسول الله ﷺ كما نحفظ لهم السورة من القرآن^(٢).

أي: يررون لهم ماذا وقع في بدر وأحد، والخندق وحنين، والطائف وفتح مكة، وخبير وغيرها، يررون لهم قصص البطولة حتى تنطبع في نفوسهم، وتنغرس في أعماق قلوبهم، فينشأ الواحد منهم شاباً قوياً: لا يخاف الموت، ولا يهاب الشدائد.

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٥٩١)، تحقيق محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.



كثير من الأمهات يخوّفن أطفالهن من الصغر، يخوّفن أطفالهن بالعفريت والجني، أو الغول أو البعير ذلك، وهذا كله له تأثير سلبي، لا ينبغي أن نخوّف أولادنا بشيء من هذه الخزعبلات.

إننا في حاجة إلى تربية حسنة، ليس فيها التدليل، وليس فيها القهر الشديد الذي يجعل من الأولاد عبيداً، ونحن نريد منهم أن يكونوا سادة أحرازاً.

الطفل نعمة وثروة وأمانة، فينبغي أن نحافظ عليه، ولا نفرّط فيه.

هذا ما جاء به ديننا العظيم.

الحضارة الحديثة اهتمت بالأطفال في جوانب كثيرة، واهتمت بالمعوقين الذين ولدوا عمياناً أو صمماً أو بكمماً، أو ذوي عاهات معينة.

نحن أولى منهم بأن نرعى هؤلاء الضعاف؛ فإنَّ الضعيف أولى بالرحمة والعناية، وهذا ما جاء به ديننا العظيم الذي دعا إلى الرحمة بكل ضعيف.

ولكن الحضارة الحديثة أيضاً جاءت بأشياء أخرى:

١ - الأولاد غير الشرعيين، نتيجة انتشار الفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

٢ - بيع الأطفال، نتيجة الماديَّة والأُنانية، حتى قرأت فيما قرأت منذ سنوات أنَّ هناك من يبيعون أطفالهم، الأبوان يتفقان على بيع الطفل، وهو جنين في بطن أمِّه، أو بعد ولادته بشهر أو أشهر! من أجل ماذا؟ من أجل شيء من الكماليات والمرفهات!

أي أنّهم لم يبيعوا أولادهم من أجل شيء ضروري؛ بل من أجل شيء كمالي!

فما أغلى المبيع، وما أرخص العوض!

إنهم يريدون أن يعيشوا في حياة مرفة، ولو باعوا في سبيل ذلك كل شيء!

هذه هي الحضارة المعاصرة!

وذلك هو الإسلام الذي اعتبر الأولاد نعمة، فيجب أن نستشعر هذه النعمة، ونستشعر هذه الهبة، ونستشعر هذه الأمانة، التي استودعنا الله إياها، ونحافظ على هذه الثروة البشرية التي لا تقدر بكنوز الأرض.

هذا ما ينبغي أن نعرفه ونحن نتحدث عن الطفولة، وعن يوم الطفولة العالمي.

نسأل الله تعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يفقّهنا في ديننا، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر لله تعالى لي ولكلم، فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



حال شبابنا اليوم

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمين:

تحدّثنا في خطبة ماضية عن الطفولة، وأهميّة دور الطفولة، وواجبنا نحو الأطفال، ورعايتهم، سواء أكانوا أطفالنا، أم لم يكونوا أطفالنا كـ: اليتامي واللقطاء والمشرّدين.

والليوم نتحدث عن مرحلة أخرى من مراحل الحياة الإنسانية، تأتي بعد الطفولة، وهي مرحلة الشباب.

هذه المرحلة من أخطر المراحل وأهمها؛ بل هي مرحلة الحيوية والإنتاج، المرحلة الدافقة بالحماس، المتميزة بالعزّم، الحافلة بالنشاط.

إنّها مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿أَللّهُ أَلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْءًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرّؤوم: ٥٤].

القوّة التي بعد الضعف الأوّل وقبل الضعف الثاني: هي قوّة الشباب.

ومن هنا كانت أهمية هذه المرحلة، وأهمية توجيهها والعناية بها حتى لا تضلّ الطريق، وحتى لا تتبدّل هذه الثروة، التي هي أغلى الثروات وأعزّها. ثروة الأمم ليست في المذكور في باطن الأرض، ولا في المنشور على ظاهرها فقط.

ليس ثروتها في معادنها، وليس ثروتها في ذهبها وفضتها، وليس ثروتها فيما تملكه من أرصدة في البنوك. ليست هذه هي الثروة فقط، كما يتصور الكثيرون.

الثروة الحقيقية هي الإنسان:

الإنسان هو أعظم ثروة، والشباب هم العنصر الأهم لهذه الثروة الإنسانية. ولهذا إذا أحببت أنْ تعرف مستقبل أمة، فاعرف ما موقع شبابها منها؟ ما الذي يشغل شبابها؟ ما الذي يهمهم؟ ما مُثلهم العليا؟ ما أهدافهم في الحياة؟ ماذا يصنعون؟ وفيما يفكرون؟ وبأي شيء يحلمون؟ وعلام تدور أمورهم وجلساتهم وندواتهم؟

وما أحوجنا نحن العرب والمسلمين إلى أن نعرف دور شبابنا، وأن نعرف أهمية هذه المرحلة التي يسأل الله الناس عنها خاصة في يوم القيمة، حينما تُنصب الموازين، وتُنشر الدواوين، ويقوم رب العالمين بالحساب، هناك أسئلة رئيسية أربعة، من هذه الأسئلة سؤال عن حياة الإنسان وعمره: عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصة: «لا تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(١).

(١) رواه البزار (٢٦٤٠)، والطبراني (٦٠/٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٤٨)، وقال الهيثمي =



يُسأل عن هذه المرحلة الخاصة: «عن عمره فیم أفناء، وعن شبابه فیم أباء»، هذه السنوات الحیة، سنوات القوّة الفیاضة، سنوات العزم، سنوات الحماس المتوقّد، فليحضر كلّ امرئ للسؤال جواباً.

هناك من قضى شبابه منذ نشأته في طاعة الله، وفَقَهَ الله فعاش في بيئة صالحة، فلم تعرف المعصية طريقها إليه، ولم يتورط في الكبائر، ولم يفرّط في فريضة، فنشأ في طاعة الله، فكان من السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَشَابَ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله»^(١).

ولكن ليس معنى هذا إغلاق الباب على من تورّط في المعاصي في فترة من شبابه، فانزلق وغوى وزلت به القدم؛ فباب التوبة مفتوح، ومن أحب الناس إلى الله تعالى: الشاب التائب.

ليس غريباً أن يذنب الإنسان ويعصي الله، إنما الغريب أن يستمر في طريق المعصية والذنوب، فلا يرجع إلى ربّه قارعاً بابه، تائباً نادماً مستغفراً، قائلاً ما قال أبوه آدم وأمه حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

من لم ينشأ في طاعة الله، من لم يكن من هذا الصنف، فليكن من الصنف الآخر: التائبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

مسؤولية الشاب عن نفسه:

الشباب مرحلة هامة خصبة من مراحل العمر، ولهذا يجب أن نعني بها، وهي مسؤولية للجميع:

= في مجمع الزوائد (١٨٣٧٣): رجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ، وعدى بن عدي الكندي، وهما ثقتان. عن معاذ بن جبل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

مسؤولية الشاب نفسه ما دام بالغاً عاقلاً مكلفاً، فقد قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» [المدثر: ٣٨].

وهي مسؤولية الأسرة (أبيه وأمه)، مسؤوليتها قبل أن يشبّ، ومسؤوليتها بعد أن شبّ عن الطوق، فلا بدّ من الرعاية والتوجيه: «كُلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤوله عن رعيتها»^(١).

لا ينبغي أن يكون كُلُّ هُمَّ الأب أن يوفر لأبنائه الطعام والشراب مما لذّ وطاب، وأنْ يوفر لهم ممّا يلبّس أحسن الثياب، وأنْ يوفر لابنه سيارة فارهة يركبها، وأنْ يملأ (مخبأه أو جيده) بالثُّقُود ينفق منها على ما يريد.

لا ينبغي أن يكون أكبر همّه أنْ يهيء له هذه الأسباب، ولكنّه يدع حبله على غاربه، لا يعرف عنه شيئاً، لا يسأله: أين يذهب إذا خرج؟ وفيم ينفق هذه الأموال؟ وأين يجلس؟ ومن أصدقاؤه؟ وهل صلّى أم لم يصلّ؟ هل أدى واجبه المدرسي أو لم يؤده؟ هل كذا، هل كذا...؟

ينبغي على الأب المسؤول عن الأسرة: أن يحاسب أولاده، وأن يراقبهم، إنَّ الله تعالى يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا أَنَّاسٌ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ» [التحريم: ٦].

احمِ نفسك من النار، واحمِ أهلك من النار.

أنت مسؤول عن أبنائك وبناتك، لا يكفي أن توفر لهم مطالبهما المادّية، ولا تهتم بواجباتهم الدينية.

(١) سبق تحريره ص ١٥٦.



لا، لا يكفي هذا.

أيسرك أن يتعلّم ابنك، ويحصل على أعلى الشهادات، ويسلّم أرقى المناصب في الدولة، ثم يكون مصيره إلى جهنم وبئس القرار؟!

أترضى أن يكون ولدك وفلذة كبدك في النار؟

إن كنت لا تحب ذلك، فقه النار: ﴿فُوَّاً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيَّكُمْ نَارًا﴾.

توفير المطالب المادّية ليس هو وحده المطلوب؛ بل قد يكون في هذا الخطر.

قد يكون في إعطاء الأولاد ما يشتهون من نفقات وأموال - وهم لا يحسنون التصرف فيها - الخطر كلّ الخطر، والشر كلّ الشر.

يقول الشاعر «أبو العتاهية» في أرجوزته:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالجِدَةَ مُفْسِدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مُفْسِدَةٌ^(١)
الجدة: أي وجدان المال، المقدرة المادّية، أن يجد ما يريد ويحصل على ما يشتهي، وتكون عنده الوسيلة والمآل اللازم.

فراغ الشباب:

والفراغ: فراغ الوقت، وفراغ النفس من هموم المعيشة.

ولذلك كان من المهم والمهم جدًا: أن تملأ فراغ الشباب، ألا تدع أوقاتهم فارغة، ولا نفوسهم فارغة، أن تعمّرها بالخير، أن تشغّلهم

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٤٥٩/١٥)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.



بأنشطة شتّى: رياضية وثقافية، وترويحية، ودينية، ونربطهم ما أمكننا بأهداف كبيرة يعيشون لها، ويعيشون بها.

للأسف نجد معظم شبابنا يعيشون في فراغ كبير، لا يجد من أهله من يملأ فراغه، ولا يجد من مجتمعه ما يملأ فراغه، فراغ في الوقت، وفراغ في النفس أكبر وأكبر.

نفسه فارغة من المُثل العليا، من الأهداف العظمى، التي كان يعيش لها أمثال: علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، ومحمد بن القاسم، وغيرهم من شباب الإسلام.

شبابنا الأولون - الذين فتحوا البلاد، وحكموا العباد، ونشروا فيها العلم والإيمان، والعدل والإحسان، والذين حفظوا القرآن ونقلوه إلينا، والذين حفظوا السنة ونقلوها إلينا، والذين انطلقا إلى أرض الله «المصحف في يد، والسيف في يد»، لا يبغون إلا رضاء الله، ونشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله - كانت عندهم مثلٌ عليا، كانت لهم أهداف كبيرة، تعيش فيها، ويعيشون فيها، لم يكن همهم الشهوات، ولا همهم المرأة، ولا الكاس ولا الطاس، ولا غير ذلك.

لم يكن عندهم فراغ، لا في أنفسهم، ولا في حياتهم.

كانوا يعيشون لرسالة جليلة، فهل استطعنا في عصرنا هذا أن نعيش شبابنا في مثل هذه الرسالة، ولمثل هذه الأهداف؟

للأسف لم نستطع.

الشباب يشعرون بالفراغ، وخصوصاً في أوقات العطل، وحتى في غير أوقات العطل.



هذا الشاب تجده في أيام الدراسة يركب سياراته الفارهة، ويمشي في الشوارع متسكعاً، أو يجلس في بعض الطرق يلتهم الغاديات والرائحات، أو (يُحَفَّص)^(١) - كما يقولون - بسيارته حول المدارس، وحول الأماكن العامة. ما هذا الفراغ؟ ما هذا الضياع؟ أيكون هذا في أمّة مهزومة؟

أمّة مقهورة غلبتها أعداؤها، حتّى اليهود: أذلّ النّاس، وأحرص النّاس على حياة: أذاقونا الويل، ونكسو رؤوسنا.

أمّة مهزومة من واجبها أن تحزن على نفسها، ولو جاز لنا أن نلبس السواد، ونعلن الحداد ل فعلناه.

ولكن شبابنا يتعلّق بهذا الهراء الفارغ، بهذا الضياع، بهذه التوافة. في ندوات عُقدت في أكثر من بلد كانت الشكوى المُرّة، والإحصاءات والأرقام المذهلة عن الشّباب، الذي يتناول المسكرات، ويتناول المخدّرات، ويعاطى السموم، دع الّذين يشربون السجائر (والبلاوي) الأخرى. إحصاءات وأرقام مذهلة عن شباب هذه الأمّة، وبخاصة الشّباب هنا في منطقة الخليج.

ومنطقة الخليج عليها تركيز شديد، أعداء الإسلام وخصوم هذه الأمّة يرگزون أعينهم على هذه المنطقة، يعلمون أنّها منطقة غنية، فلا بدّ أن تدمّر ثروتها، وإنّما تدمّر ثروتها بتدمير أهلها.

وأول ما يبدأون تدميره: الشّباب.

ولهم في ذلك وسائل وأساليب.

(١) يحدث صوتاً مزعجاً بعجلات السيارة وهي من الكلمات الخليجية (الدارجة).

سماسرة الفساد:

هناك سماسرة للشباب، يسوقونهم للفساد والإفساد، في كلّ عاصمة من العواصم، وفي كلّ مدينة من المدن، في بلاد العرب، وفي بلاد الغرب، وفي بلاد الشرق الأقصى، حيث يذهب الشباب إلى هناك في سياحات ورحلات، فيتلقيّفهم هؤلاء السماسرة من عند سلم الطائرة، ويجرّونهم إلى الفواحش جرّاً، ويفسدونهم، يدمرون صحتهم، يدمرون أخلاقهم، ويسحبون أموالهم، يفسدونهم على أهليهم وعلى أوطانهم.

مخطط جهنمي، ونحن عن ذلك غافلون.

بعض الشباب يذهب غافلاً، فإذا ذهب إلى هذه البلاد: تعلّم من الفساد الكثير الكثير، وانحرف عن الطريق، وهيهات أن يرجع إلى ما كان عليه؛ إلّا من رحم ربّك.

الفساد في كلّ مكان، والتركيز على هذه المنطقة، فماذا صنعنا نحن؟
ومن المسؤول عن ضياع هذا الشباب؟!

الشباب الذي أصبح كلّ همه أنْ يسمع الأغاني، ويقلد الممثلين الأجانب، والمعنيين الإفرنج، ويلبس في عنقه سلسلة أو قلادة من الذهب، أو في يده خاتماً من الذهب، لا يفرق بين حلال وحرام، ولا يعرف شيئاً عن واجباته.

هذا الشباب مصيبة كبيرة على نفسه وعلى أهله، وعلى وطنه وأمته.

هؤلاء الشباب لأي شيء يصلحون؟

أيصلح هذا الشباب لما صلح له أسامة بن زيد، الذي قاد الجيش الإسلامي وفيه كبار الصحابة، وهو ابن الثامنة عشرة من عمره؟!



أ يصلح هذا الشَّباب لما صلح له مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد، الَّذِي
فتح بلاد الهند عن طريق السندي؟!

انطلق من الجزيرة العربية إلى بلاد لا يعرفها، يقود الجيوش المسلمة
لنشر الإسلام، وتبلیغ الأُمُم دعوة الإسلام.

لولا طموح هذا الشاب وإقباله ما كانت باكستان وبنغلاديش ومسلمو
الهند، هذه البلاد مَدِينَة لِمُحَمَّد بن القاسم بن محمد.

ومن ذهب إلى «کراتشي» وركب القطار متوجهًا إلى داخل باكستان،
ووجد هناك محطة مكتوبًا عليها: مُحَمَّد بن القاسم.

كان عُمُرُ مُحَمَّد بن القاسم حين قاد هذا الجيش: سبع عشرة سنة!
وقال فيه الشاعر:

إِنَّ السَّماحةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى
لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادَ الْجَيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حَجَّةَ
يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُؤَدَّاً مِنْ مَوْلَدِ^(١)!

أ يصلح شبابنا اليوم لما صلح له مُحَمَّد الفاتح، الَّذِي فتح
القسطنطينية وقضى على الدولة الرومانية البيزنطية، وانتهت من التاريخ
سنة (١٤٥٣م)، وكان في الثالثة والعشرين من عمره؟!

وكان قدقرأ الحديث: «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها،
ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(٢)، فتعلّق قلبه أنْ يناله نصيبٌ من هذا
الحديث الشريف، وحقق الله له ما أراد، وكان نعم القائد ونعم الحاكم.

(١) سبق تخریجه صـ (٦٥/٦٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتنة (٤٢١/٤)، وصحّه،
ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوبي. جانبيه

شباب كانت لهم آمال كبار، فماذا يصنع شبابنا؟
 لأي شيء يصلح شبابنا اليوم، مما صلح له شبابنا الأقدمون؟!
 هل يفگرون فيما كان يفگر فيه هؤلاء؟
 هؤلاء كانوا يصبحون ويمسون، وبيتون ويضخون، من أجل
 الإسلام، كل تفكيرهم في الإسلام؛ لنشر الإسلام؛ لإعلاء رأية القرآن،
 هذا هو هدف شبابنا الأول.
 أما شبابنا اليوم فضائع، من المسؤول عن ضياعه؟
 هل الأسرة هي المسؤولة؟ هل الآباء؟ هل الأمهات؟ هل هؤلاء
 المشغولون عن أبنائهم وبناتهم؟
 هل المسؤول هو المجتمع: التوجيه، الإعلام، الثقافة، الصحافة،
 الإذاعة، التليفزيون، المسارح، السينمات؟!
من المسؤول؟
 هل المسؤول مجالس رعاية الشباب المكونة في كل البلاد، وكل
 عملها الرياضة والكرة، وتشجيع الناس على أن يكونوا متفرجين
 ومنقsmين، بعضهم مع هذا النادي، وبعضهم مع ذلك النادي؟!
 من المسؤول؟ العلماء والخطباء، الذين لا يهتمون بهذه النواحي
 كثيراً، ولا يوجهون الناس التوجيه الحسن؟ من المسؤول؟
 الكل مسؤول، يجب أن نعترف بهذه الحقيقة.

كلنا مسؤولون، بداية من الآباء والأمهات، إلى أعلى المسؤوليات،

كما قال النبی ﷺ: «کلکم راعٰ و مسؤول عن رعيته، الإمام راعٰ و مسؤول عن رعيته، والرجل راعٰ في أهله و مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها و مسؤولة عن رعيتها، والخدم راعٰ في مال سيده و مسؤول عن رعيته، وكلکم راعٰ و مسؤول عن رعيته»^(١).
كلنا يجب أن يفكّر.

الشّباب يفتقد حسن التوجيه، وأين يجد التوجيه وأمامه أجهزة الإعلام والتوجيه، التي تصنع له نماذج معينة، وتتحيى له بإيحاءات معينة؟
الشّباب بحاجة إلى القدوة، فهل يجد هذه القدوة الصالحة في البيت؟ هل يجدها في المدرسة؟ هل يجدها في المجتمع؟
للأسف القدوة الصالحة قلّما تُوجد الآن.

لم يُعد حتّى الأب نفسه قدوة صالحة للأولاد، لم يُعد هناك المدرس الذي يجد فيه التلاميذ نعم الراعي الموجّه، لم يُعد هناك هذا الصنف إلا من رحم ربّك، وقليلٌ ما هم.

هناك في المدارس برامج حسنة لتدريس العلوم الشرعية ونحو ذلك، ولكن التربية ليست مجرد برامج، وليس مجرد كتاب، وليس مجرد مواد تحفظ وتوّدّي في امتحان، التربية شيء أعمق وأكبر من هذا، إنّها بحاجة إلى قدوة، إلى من ينقلها بحرارتها إلى التلاميذ، إلى من ينفعل بها، إلى من يكون صورة حية لها.

نحن في حاجة إلى البيئة المساعدة، البيئة الصالحة التي تساعد الشّباب على أن ينمو نمواً حسناً.

(١) سبق تخریجه ص ١٥٦.

لابد من العمل على تكوين هذه البيئة الصالحة في كل مكان؛ لكي يعيش الشباب عيشة إسلامية.

نحن للأسف ننقل عن الغرب، ونريد أن نعيش كما يعيش الغرب، فهل مثل الغرب كمثلنا؟ هل عقيدته كعقيدتنا؟ هل قيمه كقيمتنا؟ هل تقاليده كتقاليدنا؟

لا، ثم لا، شتان بين مشرق ومغرب، فلذلك لا يجوز أن ننقل عن القوم، يجب أن نعرف: من نحن؟ وعلى أي أرض نقف؟

ينبغي أن نفهم أن رعاية الشباب ليست رعاية جسمه فقط، وإنما رعاية جسمه وعقله، وقلبه ووجوداته.

يجب أن تشمل رعاية الشباب كل هذه النواحي.

هناك خطأ أساسى، خطأ جذري، في رعايات الشباب في العالم الإسلامي كله؛ حيث ظن المسؤولون أنهم مسؤولون عن الناحية الرياضية فقط، وهذا خطأ، الرياضة جزء وليس كلاً، وليس الجزء المهم ولا الأكبر.

لا مانع للناس أن يلعبوا الكرة، ولكن الممنوع أن تصبح الكرة وثنا يعبده الناس، وينقسمون حوله، ويتحزّبون أحراضاً.

ما قيمة هذا؟

الشاب الذي يريد الإسلام:

نحن نريد الشاب القوي في جسمه، القوي في روحه، القوي في تفكيره، القوي في إيمانه، القوي في عزمه، القوي في سلوكه.

ولهذا يجب أن تتعاون الأجهزة كلها على حسن رعايتها وتوجيهه؛ حتى يصبح مثلاً حياً، ويصبح مسلماً حقيقياً، جديراً أن ينتمي إلى دينه، وأن ينتمي إلى أمته، هذا هو الشاب النافع، وهذه هي الثروة التي نريد لها.

إننا نريد الشاب الذي يطيع أمر ربّه، ولو قدم في سبيل ذلك دمه ورقبته، كما تمثل ذلك في نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام؛ حين قال له أبوه بعد أن بلغ معه السعي، وأصبح يُرجى منه: ﴿يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾. فماذا قال الولد لأبيه، والأمر يتعلق بعنقه وحياته؟ قال: ﴿يَأَبِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأَصْمَرِينَ﴾ [الصادفات: ١٠٢].

نريد الشاب الذي يستعلي على الشهوات، ويتعفّف عن الحرام، ويرفض المعصية، بداعي ذاتي من ضميره، وخوفه من الله تعالى، كما تمثل ذلك في يوسف بن يعقوب، الذي سمعت إليه المعصية، ولم يسمع إليها، ولكنه أبي واستعصم، وقال لسيدته مالكة أمره، وقد راودته عن نفسه، بعد أن غلقت الأبواب، وهيأت الأسباب، وقالت: هيتك لك، هنالك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحَسَنَ شَوَّايِإِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

نريد الشاب النقي الحنون، البار بأسرته، القوي في أخذه بتعاليم كتابه، كما تمثل ذلك في يحيى بن زكريا عليهما السلام، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَسِّحِينَ خُذْ الْكِتَبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكْوَةً وَكَانَ تِقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤ - ١٢].

روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا شاباً،

وَلَا أُوتِيَ الْعِلْمُ عَالَمٌ إِلَّا وَهُوَ شَابٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَّيَذَكَّرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

إنَّ الحديث عن الشَّباب يطول، والحديث عن مشكلات الشَّباب يطول، وإنَّما هي لمحات أحببت أنْ أذكرها، وأنْ أذَّكِر بها كلَّ النَّاسِ، ابتداءً من الآباء والأمهات، وأنْ أذَّكِر بها شباب هذه الأُمَّةِ أنفسهم، الَّذِين يُرجون لها، يُرجون لقضاياها، يُرجون لهذا الدين العظيم، الَّذِي أصبح غريباً في أوطانه.

شباب هذه الأُمَّةِ مرجوون لنصرة دينهم:

وَجَدَتِ الْيَهُودِيَّةُ مِنْ يَنْصُرُهَا، وَوَجَدَتِ النَّصَارَى مِنْ يَنْصُرُهَا، وَوَجَدَتِ الْوَثْنَيَّةُ مِنْ يَنْصُرُهَا، وَوَجَدَتِ الشَّيْوُعِيَّةُ مِنْ يَنْصُرُهَا، وَكُلُّ مِبْدَأ باطل وَجَدَ مِنْ يَنْصُرُهِ إِلَّا الإِسْلَامُ؛ فَقَدْ غَابَ عَنْهُ أَهْلُهُ.

إِنَّهُمْ فِي حَالَةٍ غَيْبَةٍ وَعَيْ.

ولذلك أنا أنادي الشَّباب لعلَّهُمْ يسمعون، وإذا سمعوا لعلَّهُمْ يستجيبون.

هناكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَبَابٌ صالحُونَ، هُنَاكَ مِئَاتٌ وَآلَافٌ مِنَ الشَّبابِ هُدَاهُمُ اللَّهُ، وَأَصْبَحُوا يُمَثِّلُونَ الصَّحْوَةَ الإِسْلَامِيَّةَ المُعاَصِرَةَ، هُنَيْ صَحْوَةٌ شَبَابٌ فِي جَوْهِرِهَا، وَلَكِنْ كُمْ يُمَثِّلُ هُؤُلَاءِ الْمُهَتَّدُونَ بِالنِّسْبَةِ لِلآخَرِينَ؟

إِنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ قَلْلَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُثْرَةِ كَاشِرَةٍ.

(١) عزَّاهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٤٩/٥) لَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ، تَحْقِيقُ سَامِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ سَلَامَةَ، نَسْرُ دَارُ طَبَّيَّةَ، طِّ٢، ٢٠١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.



حرام علينا أن نهمل أمر الشباب، حرام علينا أن نضيّعهم، حرام علينا
ألا نفگر في قضياتهم.

فيما أئيُها الإخوة، يا أئيُها الشَّباب أولاً، ويما أئيُها الآباء والأمهات، ويما
أئيُها المسؤولون عن أجهزة التوجيه، ويما أئيُها المسؤولون عن رعاية
الشَّباب، ويما أئيُها المسلمون في كلّ مكان، اتقوا الله في هذه الثروة
البشرية، اتقوا الله في هذه الثروة العظيمة التي لا تقدر بقدر، ولا يُقْوِم
بِمَال، وهي مستقبل الأمة.

نسأل الله تعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأن يعوّضنا خيراً، وأن يجعل
شبابنا من خيرة الشباب، وأن يجعلهم كأسلافهم إيماناً وعلماً وعملاً،
وجهاداً في سبيله، إنَّه سميع قريب، وصلى الله على مُحَمَّد، ادعوا الله
تعالى يستجب لكم.

* * *



حال فتياتنا اليوم

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمين:

في الجمعة الماضية تحدّثنا عن مرحلة الشّباب، مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، مرحلة الحيوية والإنتاج، التي يُسأّل الإنسان عنها خاصة يوم القيمة: «لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتّى يُسأّل عن أربع»، ومن هذه الأربع: «وعن شبابه فيما أبلاه»^(١).

كان هذا الحديث عن مرحلة الشّباب للأبناء وللبنيات، للذكور وللإناث، فالمرحلة نعمة للجميع.

ولكن بعض الإخوة والأخوات حسّبوا الكلام مقصوراً على الشّباب الذكور وحدّهم، وقالوا: إنّ الفتيات والشابات يجب أن يكون لهنّ نصيب خاصٌ في الحديث، وهذا حقٌّ.

برغم أنّي وجّهت الكلام عن الشّباب للجميع، ولكن من حقّنا أن

(١) سبق تحريرجه صـ ٢١٣.



نَخْصُ هَذَا الْجِنْس الْلَّطِيف - كَمَا يَسْمُونَه - بِحَدِيثِ خَاصٌ؛ فَالْمَرْأَة نَصْفُ الْمَجَمِعِ، وَبَنَاتُنَا كَأَبْنَائِنَا، لَهُنَّ حُقُوقٌ عَلَيْنَا.

وَإِنَّمَا أَوْلَادَنَا بَيْنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ^(١)

سَوَاءَ كَانَ هُؤُلَاءِ الْأَوْلَادْ ذَكُورًا أَوْ إِنَاثًا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَهْمِلَ الْحَدِيثَ عَنِ الْفَتِيَاتِ، عَنِ الْبَنَاتِ، عَنِ الشَّابَّاتِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْلَحُ الْمَجَمِعُ إِلَّا إِذَا صَلَحَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ، لَا يَمْكُنُ أَنْ يَنْصُلِحَ الْحَالُ إِلَّا بِصَلَاحِ النِّسَاءِ.

الْمَرْأَةُ إِذَا صَلَحَتْ لَمْ يَكُنْ صَلَاحُهَا لِنَفْسِهَا فَقَطْ؛ بَلْ يَمْتَدُ صَلَاحُهَا إِلَى زَوْجِهَا إِنْ كَانَتْ مَتَزَوْجَةً، وَإِلَى أَوْلَادِهَا إِنْ كَانَتْ أُمّاً.

وَلَهُذَا كَانَ لَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ شَابَّاتِ الْيَوْمِ، عَنِ فَتِيَاتِ هَذَا الْعَصْرِ، إِنَّ عَلَيْنَا لَهُنَّ لِحْقًا أَكْيَدًا: آبَاءَ كَنَّا، أَوْ مُرَبِّينَ، أَوْ دُعَاءَ.

فَتَاهَ الْيَوْمُ هِيَ أُمُّ الْغَدِ، هِيَ صَانِعَةُ الْمُسْتَقْبِلِ؛ لَأَنَّهَا صَانِعَةُ الْأَجِيَالِ.

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ^(٢)
الْأُمُّ الصَّالِحةُ هِيَ الَّتِي تَنْجِبُ أَبْنَاءَ صَالِحِينَ، هِيَ الَّتِي تَنْجِبُ ثَروَةَ الْأَمَّةِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَلَهُذَا إِذَا أَهْمَلْنَا تَوْجِيهَ الْفَتِيَاتِ، وَتَرَكْنَا هُنَّ لِلتَّوْجِيهِ الْمُسْمُومِ، الَّذِي يُسْمِمُ الْأَفْكَارَ، وَيُسْمِمُ الْعَوَاطِفَ، وَيُفْسِدُ الْعُقُولَ وَالْتَّقَالِيدَ وَالْقِيمَ، فَإِنَّهَا لَنْ تَنْشَأُ إِلَّا فَاسِدَةٌ مُفْسِدَةٌ.

(١) العقد الفريد (٢٧٤/٢).

(٢) ديوان حافظ إبراهيم ص ٢٧٠.

عنابة الإسلام بالمرأة:

إنَّ الإِسْلَام قدْ عُنِيَ بالمرأة، وَكَرَّمَهَا بَنْتًا، وَكَرَّمَهَا زَوْجَةً، وَكَرَّمَهَا أُمًّا، وَكَرَّمَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِنْسَانًا.

وَجَعَلَ لَهَا مِنَ التَّكَالِيفِ وَالْمَسْؤُلِيَّةِ مِثْلَ مَا لِلرَّجُلِ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيقُ عَمَلَ عَمِيلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

لَا يَضِيقُ اللَّهُ عَمَلُ عَامِلٍ مِنَّا، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى؛ لَأَنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، لَيْسَا عَدُوِينِ، لَيْسَ الرَّجُلُ عَدُوًّا لِلْمَرْأَةِ، وَلَا الْمَرْأَةُ خَصِيمًا لِلرَّجُلِ؛ بَلْ كُلُّ مِنْهُمَا مَكْمُلٌ لِلآخرِ، وَهِيَ جَزْءٌ مِنْهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]؛ فَالْمَرْأَةُ مِنْ نَفْسِ الرَّجُلِ، كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهَا.

مِنْ هَنَا كَانَتْ أَهْمَى التَّوْجِيهِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُنْشَأَ نَسَاءً صَالِحةً مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهَا، أَنْ تُرْبَى التَّرْبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْحَقَّةُ، أَنْ تُعَوَّذَ الْخَيْرُ، أَنْ تُنْشَأَ عَلَى الطَّاعَةِ، أَنْ يُغَرسَ فِي قَلْبِهَا حُبُّ الْفَضْلِيَّةِ وَالنُّفُورُ مِنَ الرِّذِيلَةِ، أَنْ تُعَلَّمَ الصَّلَاةُ وَهِيَ بَنْتُ سَبْعٍ، وَأَنْ تُضْرَبَ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، أَنْ تُعَرَّفَ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَالْخَطَأُ مِنَ الصَّوَابِ، وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

لَا بَدَّ أَنْ يَبْذِلَ الْأَبُ وَتَبْذِلَ الْأُمُّ جُزْءًا مِنْ وَقْتِهِمَا مَعَ بَنَاهُمَا؛ حَتَّى يَنْشَأَ النَّسَاءَ الصَّالِحةَ، هَذَا وَاجِبُ الْأُسْرَةِ.

واجب المجتمع تجاه الفتيات:

وَوَاجِبُ الْمَدْرَسَةِ وَوَاجِبُ الْجَامِعَةِ وَوَاجِبُ الْمَؤْسِسَاتِ الْتَّعْلِيمِيَّةِ: أَنْ تَعْلَمُ الْفَتَاهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهَا نَحْوَ رَبِّهَا، وَنَحْوَ نَفْسِهَا، وَنَحْوَ أَسْرَتِهَا، وَنَحْوَ مجَتمِعِهَا، وَنَحْوَ أَمَّتِهَا الْكَبْرِيَّ «أَمَّةُ الْإِسْلَامِ».



وعلى المؤسسات التوجيهية والإعلامية أن تقوم بدورها في هذه الناحية: الصحافة، الجريدة، المجلة، الإذاعة، التليفزيون، المسرح، السينما، هذه الأدوات الجديدة التي أصبحت لها خطورتها.

فهل قامت هذه المؤسسات كلّها بواجبها نحو توجيه الفتاة؟

هل قامت الأسرة بواجبها؟

هل قامت المدرسة بواجبها؟

هل قامت الجامعة بواجبها؟

هل قامت المؤسسات الإعلامية بواجبها؟

إنَّ هناك من قام ببعض الواجب، وهناك من قام بعكس الواجب، لم يكتُفِ بالموقف السلبي؛ بل قام بإفساد التوجيه.

أصبحت الفتاة تتلقى من التوجيهات ما يُفسد عليها فكرها، ويفسد عليها دينها، ويفسد عليها سلوكها.

انظر: ماذا يجري في الدنيا؟ ماذا تقدّم لنا الأجهزة المختلفة؟ ماذا تقدّم لنا المجالات والصحف؟

وأنا لا أتحدث عن «قطر» فقط، أنا أتحدث عن الوطن العربي، والوطن الإسلامي، أنا أتحدث عن المجتمع الإسلامي كُلّه.

هذه الصحف المصوّرة التي تنشر الصور العارية أو شبه العارية، التي اتّخذت فيها المرأة أدلة للإثارة وللإعلان، تجد فيها امرأة تشرب السجائر، وامرأة تقدّم شيئاً معيناً ربّما كان من خصائص الرجل، وامرأة نصف عارية.

كما يرُكِّز الإعلان على جنس المرأة، والمرأة الجميلة خاصة!

انظروا الموضوعات التي تُكتب: ماذا فيها؟

فيها الغثاثة، وفيها الفساد.

ما هذه الأشياء التي تعرض على الشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة:
الأفلام، المسلسلات، القصص، الأدب المكشوف الذي أصبح يغزونا
من يمين وشمال من هنا وهناك؟

ما يُقدَّم في المسارح وما يُقدَّم في الإذاعات وما يُقدَّم في التليفزيون،
ينتجه أولئك الفارغون من القيم ومن الأخلاق ومن الدين؛ لأنَّ المؤسف
أنَّ السينما نشأت في البلاد العربية على يد غير المسلمين في أول الأمر،
ثمَّ على يد قوم فرغت رؤوسهم من فهم الدين، وفرغت قلوبهم من القيم
والأخلاق، وفرغت حياتهم من السلوك الطيب.

هؤلاء هم الذين أسسو المفاهيم الأولى لما يسمى الفن، ثمَّ نشروا
هذا الفساد وصدَّروه هنا وهناك، وأصبحنا نرى فتياتنا يعشن لهذا الأمر.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، يوم كانت تعُرض
نفسها للخطر، وهي تذهب لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في غار ثور، وهو مختبئ عن
الكفار هو وصاحبه، تخرج وتصعد إلى هذا الجبل الذي يعيي الشاب القوي
الصعود إليه، وتعُرض نفسها لهذه المشقة لتقوم بمهمتها في نصرة دين الله^(١)؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل سمية امرأة ياسر التي لاقت

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨٥/١).



حتفها على يد عدو الله «أبي جهل»، وماتت تحت العذاب، وكانت أول شهيدة في الإسلام؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل فتيات الإسلام، اللاتي ندرن أنفسهن لله ولدينه، وقمن بواجبهن في نشر هذا الدين؟

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل الصالحات من نساء السلف الصالح، من الحرص على تحريمي الحلال واجتناب الحرام، حتى إن المرأة كانت تقول لزوجها وهو خارج: يا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإننا نصبر على الجوع والطوى، ولكننا لا نصبر على حرّ النار وغضب الجبار؟!

هل يشغل الفتاة المسلمة اليوم ما كان يشغل نساء السلف الصالح، اللاتي كان منهن من تحفظ «صحيحة البخاري» أو «صحيحة مسلم»، أو ترويه بالسند، وتجلس في حلقات العلم، ويقول علماؤنا: حدثني الشيخة المسلمة الصالحة فلانة بنت فلان؟!

ما الذي يشغل فتياتنا المسلمات اليوم؟

الفتاة المسلمة يشغلها اليوم: أنها تقرأ في تلك المجالس المصورة التي تعرفون أسماءها وعنوانينها، والتي تجد رواجاً وتنشر هنا وهناك، وتُتابع بالآلاف وعشرات الآلاف، ويقرؤها فتياتنا في كل بلاد العرب والإسلام.

هذه المجالس الفارغة من القيمة والمعانى، هل فيها توجيه إسلامي؟

هل تلتزم بأدب الإسلام وقيمته؟

لا، والله.

نسخة مجانية

فتياتنا مشغولات بسماع الأغانى الرخيصة، ومهما ترخصنا في سماع الأغاني - وأنا من الميسرين في هذه الناحية - فإنَّ معظم الأغاني التي تُسمع في هذا العصر تدور حول محور واحد هو: الحب والغرام والعشق، والهجر والوصال.

كأنَّه ليس في الدنيا شيء إلَّا الحب، وكأنَّه ليس هناك حب إلَّا حب المرأة، وكأنَّه ليس هناك حب إلَّا حب جسد المرأة، وحب المرأة الأجنبية، لا حب المرأة الزوجة ولا حب المرأة الأم!

هكذا يلْحُون على هذه الغريزة العاتية، غريزة الجنس التي لا تحتاج إلى إلحاح، إنَّما يُشعرون النَّار، يريدون أنْ يقرِّبوا الفتى من الفتاة ويقولون: دعوهما يجربا، ودعوهما يكتشفا أنفسهما، اكسرعوا الحواجز بين الفتيان والفتيات، ما هذا الكبت؟ ما هذه العقد؟

حلُّوا العقد، أزيلوا الكبت، واتركوا الجنسين يلتقيان كما يحلو لهم! هذه مقولاتهم.

وفي الغرب فعلوا هذا وأزالوا الكبت، وكسروا الحواجز، وتركوا للفتى أن يلتقي بالفتاة، وللفتاة أن تقابل الفتى، وأن يقبل بعضهم بعضًا في الطرقات، وأن يفعلوا ما لا يُحمد ولا يقبل في عرفنا، في الشوارع والحدائق، فهل حلُّوا المشكلة؟

لا والله، ما حلَّت المشكلة، إنَّها تزداد تعقيدًا.

في بلاد الحرية الجنسية أكثر ما يكون فيها الانتحار؛ لأنَّ الفتاة الجميلة يريد لها أكثر من واحد، يتهاافت عليها العشرات، ويتقاولون من أجلها، والفتاة التي لم تُرزق حظًّا من الجمال لا يقبل عليها أحد، ولهذا



ترمي بنفسها في أتون الفاحشة، تبيع نفسها بأي طريق، تبحث عن أي مستنقع وتلقي نفسها فيه، لم تُحل المشكلة إذن!

ولا زال عقلاً لهم ونقادهم ومصلحوهم يشكّون من هذا الفساد الخلقي، ويشكّون من هذا التحلّل السلوكي.

إنَّ الإسلام جعل هناك حدوداً، فصلت بين الرجل والمرأة.

صحيح أنَّ منا من تجاوز هذه الحدود ولم يقف عندها، وزاد على الدين ما ليس منه، فحرَّم ما أحلَّ الله، ولم يُبحِّ إلى اليوم للخاطب أنْ يرى مخطوبته! يخطب الفتاة فلا يراها ولا تراه؛ بل ربَّما عقد عقدها (وملك عليها) ومرَّت شهور عليهما، وهو لم يرها قط! إنَّه لا يراها إلَّا بعد أن يدخل بها وتُزفَّ إليه!

أهذا شرع؟ أهذا في كتابِ أم سُنة؟!

فتاة ترى كلَّ النَّاس، تذهب إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب إلى الأعراس، وتسافر إلى البلاد العربية، وتسافر إلى البلاد الأوربية، وترى آلافاً من الرجال ويرونها، الشخص الوحيد الَّذِي لا تراه ولا يراها هو خاطبها؛ بل هو زوجها الَّذِي عقد عليها!

أهذا من الدين في شيء؟!

نحن نقع بين الإفراط والتفرط، بين الَّذِين يحرِّمون الحلال، والَّذِين يحلّلون الحرام، وما هكذا تعالج الأمور.

ما الَّذِي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟!

يشغلها رؤية الأفلام والمسلسلات الَّتي تعرضها التليفزيونات، وتعرضها السينمات، وماذا فيها؟

إنّها تعرض جانباً معيناً من الحياة، لشريحة خاصة من الناس، وتعرضه وكأنّه هو واقع المجتمع كله، ت يريد أن يعمّ هذا الجانب المنحرف، وأن يصبح قاعدة، مع أنّه هو الشذوذ بعينه.

تبقى الفتاة المسكينة معلقة بهذه الأشياء، وبهذه الأوهام، تظنّها حقائق، وما هي من الحقيقة في شيء.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

تشغلها «الموضات» العصرية، بدع هذا العصر، من الأزياء التي تتغير من سنة إلى سنة؛ بل من فصل إلى فصل.

هذه موضة الربيع، وهذه موضة الخريف، وهذه موضة الصيف!

وهكذا لعب هؤلاء الذين يسمونهم «مصممي الأزياء» - وجلهم من اليهود أو تلاميذ اليهود - بعقول النساء في العالم.

كيف ترضى الفتاة المسلمة أن تكون أمّة لهؤلاء، تتبعهم فيما يُصمّمون لها؟!

إنّها تحكمها قيم، وتحكمها شرائع، ويحكمها دين، فكيف ترضى لنفسها أن يتلاعب بها هؤلاء؟!

لقد أصبحنا كما حذر النبي ﷺ: «لتتبعن سَننَ من قبلكم [طرايّقهم وتقاليدهم] شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضبّ لسلكتُمُوه»^(١). هكذا قال النبي ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.



وْجُحر الضب يضرب به المثل في كراهيّة الرائحة، وفي الالتواه، وفي الظُّلْمَة، وفي الضيق، ومع هذا لو دخلوا جحر الضب، يصبح دخول جُحر الضب «موضة» اسمها «موضة جُحر الضب»! ويتبعها هؤلاء وأولئك، ويروّج لها المرؤّجون الّذين يملكون الأقلام، ويملكون الصُّحف، ويمثلون الأجهزة الإعلانية.

ماذا نملك نحن؟

نملك المنبر - وفي بعض البلاد الإسلامية لا يملك أهل العلم المنبر، فحتى المنبر موجّه من قبل أولئك الّذين لا يخشون الله ولا يعرفونه - وماذا يُعطي المنبر؟ ربع ساعة أو نصف ساعة في الأسبوع؟!

ماذا تغنى أمّام هذا السيل العريض من التوجيهات، التي تحمل التشوّيق والإثارة، بالصوت والصورة، والكلمة المزدوجة، والموسيقى والحوار و«الدراما»؟

ماذا تملك كلمة عالم من العلماء أمّام هذا السيل الضخم؟ ماذا تملك؟ وماذا تستطيع؟

متى يبلغ البيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدّم^(١)؟

ماذا يصنع المسجد؟ وماذا تصنع المدرسة؟

ويما تُرى هل المعلّمة التي تدرّس العلوم الشرعية والتربية الإسلامية: ملتزمة بأدب الشرع أو لا؟

هل توجد القدوة التي تقتدي بها الفتاة، في المدرسة وفي البيت؟

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

هل الأم قدوة للفتاة؟ أم إنَّ الأم من ذلك الصنف الَّذِي يقف أمام المرأة مُدَدًا ومدَدًا، إذا أرادت أنْ تذهب إلى الخارج، وتكتسل أنْ تقف بين يدي الله دقائق معدودات؟!

هل تجد الفتاة القدوة في بيتها؟ هل تجد القدوة في المدرسة؟ هل تجد القدوة في الجامعة؟ هل تجد القدوة في الشارع؛ حينما تخرج إلى الشارع، أو تذهب إلى الأماكن العامة؟

للأسف في بعض البلاد ترى الشوارع تغصُّ بالكاسيات العاريات، المميلات المائلات، اللائي جعلهنَّ النبي ﷺ من أهل النار، وحرَّم عليهنَّ رائحة الجنة، ورائحتها توجد من مسيرة كذا وكذا^(١)، وورد في بعض الأحاديث من مسيرة خمسمائة عام.

ما الَّذِي يشغل فتاتنا المسلمة اليوم؟

هذه هي الأشياء الَّتي تشغلها: المجالات، والصور، والمواضيع، والأزياء، والأفلام، والمسلسلات، والأغاني الَّتي تسمعها طول اليوم. مهما قلنا في الأغاني، فالأغاني لهو، واللهو له وقته.

الترويح له وقته، فلا ينبغي أنْ يُسرف الإنسان فيه: «أعطِ الكلام من المزح بمقدار ما تعطي الطعام من الملح»^(٢) كما روي عن علي رضي الله عنه.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥).

(٢) اللطائف والظرائف للشعالبي ص ١٥١، نشر دار المناهل، بيروت.

وهكذا ينبغي أن يكون اللهو في الحياة كالملح في الطعام، لا ينبغي أن يزيد، ولا أن يبالغ فيه.

أمّا أن تصبح الحياة كلها لهوا، أمّا أن تنتقل الفتاة من محطة إلى محطة، ومن موجة إلى موجة، ومن قناة إلى قناة، ليصبح اليوم كل أغاني، فأين الجد؟ أين حق الله؟ أين حق الحياة؟ أين حق الأسرة؟ أين حق المجتمع؟

إننا في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، ويراجع المجتمع نفسه مع بناته وشباباته، أمميات الغد، وصانعات الأجيال في المستقبل.

يجب أن تراجع كل الأجهزة التوجيهية نفسها.

يجب أن تربى الفتاة تربية إسلامية صالحة، تربية تعرّفها حقها وواجبها، وتقف بها عند حدود الله، لا غلو ولا تفريط.

لا نريد أن نزيد في ديننا فنحرّم ما أحل الله؛ كما يفعل المتشدّدون، ولا نريد أن نتساهل في ديننا ونتهاون فيه، فنحل ما حرم الله.

لا، بل نقف عند حدود الله، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ [آل عمران: ٢٢٩].

لا ينبغي للفتاة المسلمة أن تسلّم قيادها للتوجيه العلماني اللاديني، الذي يديره أناس خبثاء، لا يريدون لهذه الأمة خيراً، ولا يريدون لشبابها وشباباتها إلا الفساد وإلا الدمار.

لا ينبغي للفتاة المسلمة أن يجعل مثلها الأعلى: الفتاة الغربية، الفتاة الأوروبية والأمريكية.

المثل الأعلى للفتاة المسلمة:

لا، بل ينبغي أن تجعل مثلها الأعلى: أمّهات المؤمنين: خديجة، عائشة، أم سلمة، زينب بنت جحش، بنات النبي: فاطمة الزهراء وأخواتها، نساء الصحابة، أسماء ذات النطاقين، أم سليم، أم عمارة نسيبة بنت كعب.

يجب أن تجعل هؤلاء نصب عينيها.

أمّا أنْ تجعل الممثلات والمطربات من الشرق أو من الغرب مثلها الأعلى، فهذا هبوط بها.

هؤلاء ليسوا مِنَّا ولسنا منهم، لا يمكن أن نصل إلى يوم نبيح فيه الحرام، ونستحلل جهرة وعلانية، كما يفعلون.

خطر الطاقة الجنسية:

في هذا الصيف ذهبتُ بضعة أيام إلى «لندن» في مصلحة من مصالح المسلمين، وكان معني صديق هناك، قال لي: ذهبت إلى الحديقة المشهورة «هايد بارك»، وكانت معني ابنتي الصغيرة، فرأيت منظراً تقشعر منه الأبدان، من المناظر الجنسية القبيحة. سألتني ابنتي الصغيرة، الطفلة البريئة: ما هذا يا أبي؟ فقلت لها: هؤلاء حيوانات!

فقالت لي: وماذا تفعل الحيوانات؟ فلم أستطع أن أجيب، وتركت المكان، ثم ذهبت إلى مكان آخر، فرأيت منظراً أفظع من الأول، ولاحظتني الطفلة بالأسئلة: ما هؤلاء؟ وماذا يفعلون؟

ولم أستطع أن أقول: هؤلاء حيوانات، وهي تريد أن تعرف ماذا تفعل الحيوانات أيضاً؟ فلم أملك إلا أن أرجع إلى البيت!



هذا هو المجتمع الغربي المتفسخ، هذا المجتمع الغربي قد أصبح مثلاً سيئاً في الفساد والانحلال.

أصبحوا يشکون من الأمراض الخبيثة والأمراض الجنسية كالإيدز، والأمراض التي أصبحت تهدّدهم بالفناء.

أصبحوا يخافون، بعض فلاسفتهم قال: إنَّ خطر الطاقة الجنسية يهدّدنا أكثر من خطر الطاقة الذرية!

إنَّهم يخافون أنْ يزيد هذا التحلل حتى يأتي على المجتمع من قواудه، ونحن نريد أن ننقل عنهم ونقتبس منهم!

إنَّ لهم دينهم ولنا ديننا، وإنَّ لنا قيماً، ولنا عقائد، ولدينا تشريعات وأحكام، وعندنا حلال وحرام.

من مَنَّا يرضى لابنته أو لأخته أو لزوجته: أنْ تفعل ما يفعل هؤلاء؟

من مَنَّا يرضى دينه بذلك؟ أو تقبل رجولته ذلك؟

ومَنْ من فتياتنا يرضى دينها أو خلقها ذلك؟

ولهذا كان من الخطير كلَّ الخطير أن يستمر سيل السياحة والاصطياف إلى البلاد الأوربية، لشبابنا وشاباتنا، فلا يتعلّمون ولا يتعلّمن إلا الفساد والانحراف، وب مجرد أن يتعلّموه هناك يأتون إلى هنا، يريدون أن يجرّبوا مرَّة أخرى.

هذا الفساد الذي نراه هو فساد منقول إلى مجتمعنا.

انتقل إلى المجتمعات الإسلامية من تلك المجتمعات المنحرفة، التي لم تهتد بھدى الله! ونحن عندنا كتاب الله وسُنة رسوله، عندنا تراثنا

الخالد، عندنا سير الصالحين والصالحات، عندنا من هذا كلّ ما يغنينا عن الاستيراد، وعن تسؤل الأفكار والتقاليد من عند غيرنا.

عندنا صراطنا المستقيم، فكيف نتبع صراط المغضوب عليهم والضالين؟!

كيف نمشي وراء السُّبُلِ، الَّتِي عَلَى رَأْسِ كُلِّ سَبِيلٍ مِّنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَنَتَرَكُ صِرَاطَ اللَّهِ الْوَاحِدِ، وَطَرِيقَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؟!

يا أئيّها الإخوة المسلمين، يا أئيّها الآباء، يا أئيّها المُرَبُّون، يا أئيّها الإعلاميون، يا أئيّها المُعَلّمون، يا أئيّها الدُّعاة، يا أئيّها المسؤولون، يا أئيّها النّاس جميعًا، احذروا من هذه التيارات الدّخيلة الغازية، الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تقتلّعوا من جذورنا، وأنْ تهدمّنا من أساسنا، وأَلَّا تبقي فينا شيئاً أصيلاً ذا قيمة.

حافظوا على أنفسكم، على أبنائكم، على بناتكم ﴿فُوَافِنُفَسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَأَمْرَأَهُلَكَ بِالصَّلَوةِ وَأَصْطَرَ عَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقًا تَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

نَسْأَلُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا مَا مَضَى، وَأَنْ يُصْلِحَ لَنَا مَا بَقَى، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

* * *

الشَّابُ وَوَبَاءُ الْمُسْكَراتِ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِلَحْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زَلَنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّابِ فَتِيَانًا وَفَتِيَاتٍ.

لَا زَلَنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْثَّرَوَةِ الْبَشَرِيَّةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مَا تَمْلِكُ
الْأَمَّةُ، إِنَّهَا ثَرَوَةُ الْمُسْتَقْبَلِ، إِنَّهَا أَغْلَى مِنَ النَّفْطِ، وَأَغْلَى مِنَ الْذَّهَبِ،
وَأَغْلَى مِنَ الْجُواهرِ، وَأَغْلَى مِمَّا تَحْتَ الْأَرْضِ وَمِمَّا عَلَيْهَا.

لَا زَلَنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّابِ، عَنْ مَرْحَلَةِ الْقُوَّةِ بَيْنَ ضَعَفِيْنِ: ضَعْفِ
الْطَّفُولَةِ وَضَعْفِ الشِّيَخُوخَةِ.

لَا زَلَنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّابِ لِنَحْمِي هُؤُلَاءِ الشَّابِ مِنَ الْأَفَاتِ وَالْأَوْبَةِ،
لِنَقِيهِمُ مِنَ الْكَوَارِثِ وَالْمَصَائِبِ، لِتَجْنِبُهُمُ الْمَزَالِقُ وَالْعَثَرَاتُ، لِنَحَاوِلَ
تَوْجِيهِهِمُ التَّوْجِيهِ الْإِسْلَامِيِّ الصَّادِقِ، لِنَجْعَلَهُمْ عَدَّةً لِلْأَمَّةِ وَذَخِيرَةً لِغَدِهَا.

لَا بَدَّ أَنْ نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّابِ بِصَدْقٍ وَإِلْحَاصٍ، لَا نَنَافِقُ وَلَا نَمَالِعُ
وَلَا نَرَائِي، وَلَا نَحَاوِلُ أَنْ نَدْفَنَ رُؤُوسَنَا فِي الرَّمَالِ وَ(نَرَدَم) عَلَى الْأَشْيَاءِ وَنَتَسْتَرَ
عَلَيْهَا، فَهَذَا لَا يَدَوِي دَاءً، وَلَا يَحْلُّ عَقْدَةً، وَلَا يَعْلَجُ مَشْكُلَةً مِنَ الْمَشْكُلَاتِ.

أتَحدَثُ اليَوْمَ عَنْ آفَةٍ مِنَ الْآفَاتِ؛ بَلْ عَنْ وَبَاءٍ مِنَ الْأَوْبَةِ، أَصْبَحَ الْيَوْمُ تُعْقِدُ لَهُ الْحَلْقَاتُ وَالنَّدْوَاتُ لِدِرَاسَةِ عَوَاقِبِهِ وَمَغْبِّتِهِ.

أَصْبَحَ الْكُلُّ يَتَحدَثُ عَنْ هَذَا الْوَبَاءِ، وَهَذَا الْبَلَاءُ هُوَ: وَبَاءُ الْمَسْكَرَاتِ وَالْمَخْدِرَاتِ.

إِنَّهُ وَبَاءٌ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَسْكُتَ عَنْهُ، صَحِيحٌ أَنَّ «قَطْر» لَا تَزَالُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا، وَلَا تَزَالُ أَحْرَصُ عَلَى التَّدِينِ وَالْإِلْتَزَامِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْبَلْدَانِ بِجُوارِهَا، وَلَكِنَّ الْعَدُوِيِّ سَرْعَانٌ مَا تَنْتَقِلُ، وَالشَّرُّ أَسْرَعُ اِنْتِقَالًا، وَأَقْرَبُ اِشْتِعَالًا.

الْعَدُوِيُّ فِي الشَّرُورِ وَالْأَثَامِ سَرِيعَةُ، تَنْتَشِرُ اِنْتِشَارَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ. وَهُنَاكَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِهَذِهِ الْمَجَامِعَاتِ الْمُسْلِمَةِ، وَيَدِّبِرونَ لَهَا الْمَؤَامِرَاتِ، وَيَرِيدُونَ أَنْ يَقْضُوا عَلَيْهَا بِأَيْدِيِّ أَهْلِهَا.

حرب غير ملعنة:

إِنَّهَا حَرْبٌ غَيْرٌ مُعلَّنَةٌ، تَدْبِرُهَا قُوَّى خَفِيَّةٌ، قُوَّى تُضْمِرُ العَدَاءَ لِهَذِهِ الْأَمَّةِ، تَرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ عَلَى بُنْيَانِهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَأَنْ تَجْتَثِّثَهَا مِنَ الْجُذُورِ.

إِنَّهَا حَرْبٌ غَيْرٌ مُعلَّنَةٌ، حَرْبٌ صَامِتَةٌ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْحَرَوْبِ أَشَدُ خَطَرًا، وَأَعْقَمُ أثْرًا مِنَ الْحَرَوْبِ الظَّاهِرَةِ، الَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِيهَا الْقَنَابِلُ وَالْمَدَافِعُ وَالصَّوَارِيخُ، فَإِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَرْبِ الْعُلَنِيَّةِ يَسْتَثِيرُ غَرَائِزَ الْمَقاُومَةِ، فَيَنْفَرُ النَّاسُ لِلدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلِلْحَفَاظِ عَلَى الذَّاتِ، يَسْتَمِيتُونَ فِي الْمَقَاتِلَةِ؛ دَفَاعًا عَنِ الْأَرْضِ وَالْعِرْضِ وَالْذَّاتِ.

أَمَّا هَذِهِ الْحَرَوْبِ الصَّامِتَةِ، الْحَرَوْبِ الْخَفِيَّةِ، فَإِنَّ أَعْدَاءَنَا يَعْطُونَا السَّلَاحَ لِنَقْتَلَ أَنْفُسَهَا بِأَيْدِينَا، يَسْتَخْدِمُونَ أَنَاسًا مِنَّا لِيَرْوِجُوا فِينَا هَذِهِ السُّمُومَ «الْمَسْكَرَاتُ وَالْمَخْدِرَاتُ»؛ لِيَقْتَلُوا شَبَابِنَا؛ لِيَدْمِرُوا اِقْتَصَادِنَا؛ لِيَدْمِرُوا أَخْلَاقِنَا؛ لِيَدْمِرُوا تَمَاسِكِنَا؛ لِيَدْمِرُوا كُلَّ شَيْءٍ عَظِيمٍ فِينَا.



إنَّا الْحَرْبُ الْخَفِيَّةُ الْخَطْرَةُ، فَعَلَيْنَا أَن نَتَبَيَّهَ لَهَا، وَأَن نَقْفَ لَنَذْرَ وَنَحْذَرَ، وَنَوْجَهَ وَنَعْلَمَ وَنَصْرَخَ صَرْخَةَ الْحَرَاسِ الْأَيْقَاظِ، إِذَا دَاهَمُهُمْ خَطَرٌ عَلَى مَا يَحْرُسُونَ.

عَلَيْنَا أَن نَقْفَ جَمِيعًا لِنَصِدَّ هَذَا التَّيَارُ الْخَطَرُ؛ لِنَحْمِي أَبْنَاءَنَا؛ لِنَحْمِي فِلْذَاتَ أَكْبَادِنَا؛ لِنَحْمِي الشَّبَانَ وَالشَّابَّاتَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الْأَخْطَارِ، سَقَطُوا فِرَائِسَ سَهْلَةً لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَاجِرُونَ فِي هَذِهِ السُّمُومِ، وَيَرِيدُونَ أَن يَشْرُوا مِنَ السُّحْتِ، وَأَن يَكْسِبُوا الْمَلَيْنَ بِسُرْعَةٍ، مِنْ وَرَاءِ صَحَّةِ النَّاسِ، وَأَخْلَاقِ النَّاسِ، وَقِيمِ النَّاسِ.

هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ خَالِقًا، وَلَا يَرْحَمُونَ مَخلُوقًا، أُولَئِكَ الْمَهْرِبُونَ وَالْمَتَاجِرُونَ بِالسُّمُومِ، عَلَيْنَا أَن نَقْفَ لَنَحَارِبِهِمْ، لَنَحَارِبَ هَذَا الْوَبَاءَ الَّذِي يَتَسَلَّلُ إِلَيْنَا، رَبَّمَا لَا يَرَاهُ الْكَثِيرُ مِنَّا، وَلَكِنَّهُ مَعْلُومٌ وَمَعْرُوفٌ، وَأَصْبَحَتْ ضَحَايَا كَثِيرَةً، وَأَصْبَحَتِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ تَسْتَقْبِلُ ضَحَايَا الإِدْمَانِ الْخَطَرِ، وَهُمْ قَلِيلٌ جَدًّا مِنَ الْكَثِيرِ.

هُنَاكَ موادٌ مِنْ تَنَاوِلِهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنَ أَصْبَحَ مَدْمَنًا، وَأَصْبَحَتْ صَحَّتَهُ مَهْدَدَةً بِالْخَطَرِ؛ بَلْ أَصْبَحَتْ حَيَاتَهُ مَهْدَدَةً بِالْخَطَرِ.

كَيْفَ تَنْتَقِلُ هَذِهِ السُّمُومُ إِلَى تِلْكَ الْبَلَادِ الْآمِنَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ؟! كَيْفَ يَنْتَقِلُ الْهَيْرُوِينُ وَالْكُوكَائِينُ وَالْحَشِيشُ، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ الْخُمُورُ وَالْمَسْكَرَاتُ؟!

أَلَسْنَا مَجَمِعًا مُسْلِمًا؟! أَلَسْنَا مَجَمِعًا يَحْرِمُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَيَعْتَبِرُهَا مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ وَأَشَدِ الْمُنْكَرَاتِ؟!

لَا بَدَّ لِصَيْحَاتِنَا أَن تَدُوِّيَ، وَأَنْ تَعْلُوْ أَصْوَاتِنَا بِالْأَسْتِنْكَارِ، وَأَنْ نَحْمِي أَبْنَاءَنَا، وَأَنْ نَوْعِيْهُمْ.

غياب الرقابة الأسرية:

أبناءنا يسقطون فرائس وضحايا لهؤلاء؛ لأنَّ الرقابة الأسرية قد غابت، والأب مشغول، والأم مشغولة.

الآباء لا يسألون عن أبنائهم، ولا يعرفون: أين يذهبون، وأين يسهرون، ومن يصاحبون، وماذا يعملون؟

كلُّ ما يصنعه الأب أنَّه يعطي المال و(الفلوس) لابنه، ماذا يصنع بهذا المال؟ فيمْ ينفقه؟ هل سألته أيها الأب الراعي؟ هل حاسبته؟ هل جلست إليه؟ لماذا تنتشر هذه المصائب؟ لماذا؟

إنَّ الفراغ، إنَّ الشاب يشعر بفراغ في وقته، وأكثر من ذلك بفراغ في نفسه، إنَّه لا يتعلَّق بمُمثلٍ عليها، لا يعيش لأهداف كبيرة، كان يعيش لها من قبل أسامة بن زيد، أو علي بن أبي طالب، أو معاذ بن جبل، أو عبد الله بن عباس، أو مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، إنَّه يقلُّد الممثِّلين، ويقلُّد الأجانب.

إنَّه لم يجد القدوة الحسنة، ولا الأسوة الطيبة، لم يجدها في بيته، لم يجدها في أسرته، لم يجدها في مدرسته، لم يجدها فيمن حوله، لم يجد التربية الصالحة التي تتعاون فيها الأجهزة المختلفة؛ لتخلق منه إنساناً سوياً.

لهذا يذهب الشاب حيث يذهب، وقد غابت الرقابة الاجتماعية، كما غابت الرقابة الأسرية، غابت أعين الرقباء، ولا يدرى المسؤولون عنه أنَّ الله تعالى سيسألهم الله يوم القيمة عَمَّن استرعاهم: ماذا فعلوا لرعاياهم؟ «كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤول عن رعيته»^(١).

(١) سبق تخرجه ص ١٥٦.

ماذا يصنع هؤلاء الشباب في غيبة أعين الرقباء؟

أقرب الناس إليهم: الآباء، الأب مهمته أن يربح ويكسب ويكون ثروة، ولكنَّه يضيئُّ أعظم ثروة عنده، وهي أبناؤه!

ما قيمة ما تكسب من ملايين، إذا خسرت ولدك، إذا خسرت ابنك، إذا خسرت ابنتك، إذا خسرت فلذة كبدك؟ ماذا تصنع الملايين؟

نحن في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، إلى أن نعرف لماذا تنتشر هذه السموم؟! لماذا تنتشر المسكرات؟! ولماذا تنتشر المخدرات؟! لماذا؟! هو الفراغ؟! هو الضياع؟! أهي انعدام التربية الدينية الإسلامية الصحيحة؟! لماذا نُعین على أنفسنا؟

مهما قلنا: إنَّ هناك حرباً، وإنَّ هناك مؤامرات تُدبِّر لتدمير هذه المنطقة، وتضييع أموالها وشبابها، فنحن الذين نُعین على أنفسنا.

نقول: إنَّهم يخططون لنا، فهل هذا عذر لنا؟

لماذا لا نخطط لأنفسنا لبنيها ونحميها، كما يخطط أعداؤنا لهدمها وتمزيقنا؟

لا بدَّ أن نعي وأن نوعي.

إنَّ الإسلام جاء إلى العرب وقد كانوا مولعين بالخمر، يشربونها، ويسيرون لشربها، ويجلسون لها الساعات، سموها أكثر من مائة اسم، فهي: الخمر، وهي الراح، وهي الصبهاء، وهي السلافة، وهي المدام، وهي بنت العنقود، وبنت الدنان، وهي... وهي... وصفوا مجالسها، ووصفوا نُدامها، ووصفوا أقداحها، وقالوا فيها من الشعر ما قالوا.

ولهذا أخذهم الإسلام بمنهج تربوي حكيم، فلم يفطمهم عنها مرّة واحدة، وإنّما جاء وبين لهم أنَّ إثم الخمر أكبر من نفعها، إذا كان فيها منافع اقتصادية، أو تجارية، أو نحو ذلك، فإنَّ أضرارها أكبر من نفعها.

وهنا لا بدَّ أن نبيِّن لأبنائنا وللأجيال الجديدة أضرار الخمر، وأنَّها ليس فيها أي منفعة إلَّا المنافع التجارية، والعلم الحديث والطب الحديث قد أثبتتا هذا.

إنَّها خطر على الصحة، إنَّها تسارع بالإنسان إلى الموت.

إنَّ جمعيات «منع المسكرات في العالم» تعمل بجدٍ، وتُظهر من الصور والأفلام ما يبيِّن خطر الخمر.

الخمر خطر على الصحة، على الكبد، على القلب، على الأعصاب، على الأعضاء.

إنَّها خطر على العقل، إنَّها تسلب الإنسان أهم مزية فيه، وهي العقل».

كرَّم الله الإنسان بالعقل، ومخاطب فيه العقل، وأثابه وعاقبه بسبب العقل، فـيأتي الإنسان ويغيب عقله بإرادته، باختياره، بل بـحرر ماله! يشتري الجنون بماله!

ذكر ابن أبي الدنيا أنَّه مرَّ على رجل سكران وهو يبول في يده، ويمسح به وجهه، كهيئة المتوضئ، ويقول: الحمد لله الذي جعل الإسلام نوراً، والماء طهوراً^(١)!

(١) انظر: تفسير الرازي (٤٠١/٦).



انظروا كيف يفقد الإنسان عقله:

الخمر خطر على العقل، كما هي خطر على الجسم، كما هي خطر على الأخلاق؛ فالإنسان السكير لا أخلاق له، إنسان ضائع تائه، لا يعرف واجبه نحو ربّه، ولا نحو نفسه، ولا نحو غيره.

وهي خطر على الأسرة؛ لأنَّ هذا الإنسان الذي أدمَنَ الخمر يضيِّع أولاده، لا يفكُّر في شيء آخر إلَّا في شهوته، ولذاته، وإن انحرفت زوجته أو ضاع أولاده.

إنَّها خطر على المجتمع كُلُّه في النهاية، خطر على الاقتصاد، على الإنتاج؛ لأنَّ مثل هذا السكير والمدمن لا يصلح للإنتاج، ولا يحسن أن يُتقن عملاً، أو يحافظ على المال، أو ينميه بكافأة إذا أؤتمن عليه.

ومثله المدمن للمخدرات أيضاً، بل لعلَّها أشدُّ خطراً، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١).

إنَّ المخدرات - الحشيشة وغيرها - أشدُّ خطراً من الخمر؛ لأنَّ الخمر قد تدفع إلى الحركة، وهذه تدفع إلى الخمول والفتور.

هذه السموم خطر على الإنتاج، على التنمية، على المجتمع.

في أمريكا ينفقون كلَّ عام اثنين وستين بليون دولار «اثنين وستين

(١) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعية: والحسنة المصنوعة من ورق العنبر حرام أيضاً، يُجلد صاحبها كما يُجلد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تُفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تختُّ ودياثة وغير ذلك من الفساد. والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصدُّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة. السياسة الشرعية صـ ٨٧، ٨٨، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط ١، ١٤١٨ هـ.

ألف مليون دولار» على ضحايا الخمور والمخدّرات، لعلاج المدمنين، لتعوّض غيابهم عن العمل، وربما زادت هذه الأرقام اليوم؛ فالخطر يتفاقم ويزداد باستمرار.

ونحن للأسف نريد أن نقلّد هذه المجتمعات، هي تشكو من هذه الأوبئة - وهي مجتمعات غنية وقوية ومتقدمة - ونحن ننقل شرّ ما فيها، ونأخذ أسوأ ما عندهم، ولا نأخذ أحسن ما عندهم.

الخمور والمخدّرات خطرة على الإنسان مادياً ومعنوياً، وهي خطرة على الإيمان نفسه، تهدّد إيمان الإنسان، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(١).

لا يمكن أن يكون مؤمناً من يدخل إلى جوفه تلك السموم، والله قد نهى عنها، وجعلها رجسًا من عمل الشيطان، والنبي ﷺ قال: «اجتنبوا الخمر؛ فإنها مفتاح كلّ شرّ»^(٢).

إنّها تجرّ إلى ما بعدها، وتجرّئ الإنسان على المعاصي واقتراف الكبائر، وخصوصاً من أدمنها ومن واكب عليها، تصبح آفة من الآفات الكبرى.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من لقي الله مدمراً خمراً لقيه كعبد وثن»^(٣)؛ ذلك لأنّ الخمر أصبحت وثنًا بالنسبة له يعبدوها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغضب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الحاكم في الأشربة (١٤٥/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (٢٤٥٣)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وابن حبان في الأشربة (٥٣٤٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢١٠): رجال أحمد رجال الصحيح، إلا أن ابن المنكدر قال: حديث عن ابن عباس. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٦٧٧)، عن ابن عباس.



وقال أبو موسى رضي الله عنه : ما أبالي أشربت الخمر، أو عبدت هذه السارية من دون الله^(١) ! السارية: عمود في المسجد.

اعتبر شرب الخمر نوعاً من الشرك؛ فالذى يعبد هذه الشهوة إنما يعبد وثنًا من دون الله تعالى.

الخمر ضارة كلّ الضرر، لا منفعة فيها، وأشدُّ منها ضرراً: المخدرات، لا يشكُّ في ذلك أحد.

ومن هنا قاوم الإسلام هذه المضار وهذه الخبائث كلّ المقاومة، وحرّمها أشدّ التحريم.

تدرج في تحريمها من قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [آل عمران: ٢١٩]، إلى قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ بِالْكُفَّارِ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، إلى الآية الحاسمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ بِإِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالبغضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [آل عمران: ٩١، ٩٠].

ولمَّا نزلت هذه الآية قال الصحابة: قد انتهينا يا رب، قد انتهينا يا رب^(٢).

(١) رواه التّسائي في الأشربة (٥٦٦٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٦٥): صحيح موقف.

(٢) سبق تخریجه ص ١٤٩.

وبعضهم بلغته هذه الآية والكأس في يده، شرب بعضًا وبقي بعض، فلما علم بالتحريم أفرغها على التراب، وقال: قد انتهيت.

لم يكملها، ولم يقل ما قال امرؤ القيس قديماً: اليوم خمر وغداً أمر، فلنكم الشراب، ول يكن في غد ما يكون! لا، قد انتهى الأمر، قد حرم الخمر.

نجح الإيمان، وفشلت أمريكا في محاربة الخمر، بعد أن أقامت من التشريعات والقوانين ما يحرّمها، وجندت الجيش والأسطول والشرطة لمقاومة تهريب الخمر، وصنعتها في الخفاء، وترويجهما في السرّ، وأنفقت في ذلك الملايين، وجندت كل الدعايات، ومع هذا لم تستطع التغلب على المهرّبين، فأباحتها مجبرة.

نحن عندنا الدين الذي حرم الخمر تحريماً قاطعاً، وأصبح تحريمهما من المعلوم من الدين بالضرورة، وجعل الإسلام فيها حدّاً: عقوبة بدنية لمن شربها، يُجلد حتى يرتدع ويكون عبرة لغيره.

هكذا فعل الإسلام.

بل حرم النبي ﷺ كل مساهمة في الخمر من قريب أو بعيد، ولعن فيها عشرة: «عاصرها، ومتصرّها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وأكل ثمنها، والمشتري لها، والمُشتري له»^(١).

كل من ساهم فيها من قريب أو من بعيد، فهو ملعون على لسان محمد ﷺ.

يريد الإسلام أن يسدّ الباب بالكلية، ولهذا حينما حرم شربها حرم أن

(١) سبق تخرّيجه ص ١٥٠.

يُجلس مع من يشربها^(١)، وفي الحديث «ومن كان يؤمِّن بالله واليوم الآخر؛ فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر»^(٢).

يجب أنْ يتبعَد عن هؤلاء.

عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين، حينما جيء له بجماعة شربوا الخمر، وكان معهم واحد لم يشاركهم في الشرب، حتى قيل له: إِنَّهُ كان صائمًا!

فقال: صائم ويجلس مع شراب الخمر، به فابدؤوا؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِّعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُهَا وَيُسْهِرُهَا فَلَا تَقْعُدُوهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وإذا جلستم معهم وهم يخوضون في آيات الله فأنتم إذن مثلهم، فمن جلس مع شراب الخمر فهو مثلهم، ومن قعد على مائدة يُدار عليها الخمر؛ فهو شريك في الإثم^(٣).

الإسلام إذا حرم شيئاً حرم كلَّ ما يساعد عليه، وكلَّ ما يؤدي إليه، إلا أن يكون الإنسان مضطراً غير مختار، كما نفعل نحن: نركب الطائرات ويكون بجوارنا من يشرب الخمر، ولا نستطيع أن نغادر مكاننا.

حتى طائرات البلاد العربية وطائرات الخليج - التي تنسب إلى هذا الخليج العربي المسلم - تُقدم الخمر، وأرى الناس بجواري يشربونها وفي رمضان! ونحن معلقون بين السماء والأرض! ويقولون: طوق النجاة أمامك!

(١) لأنَّه - كما قال المناوي - تقرير على المنكر. فيض القدير (٢١١/٦).

(٢) رواه أحمد (١٤٦٥)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والترمذى في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب. والنمسائي في الكجرى في الوليمة (٦٧٠٨)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن جابر.

(٣) رواه الطبرى في التفسير (٣٢١/٩)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢١/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

﴿أَيُّ طُوق لِلنَّجَاةِ يَا قَوْمٌ؟﴾

وإذا وقعت الطائرة فهل يعني طوق النّجاة من شيء؟!

هؤلاء لا يستحقون، ويشربون الخمر في الطائرة، وفي رمضان! والمضيفون والمضيفات يعلمون الناس كيف يستخدمون أطواق النّجاة، إذا واجهوا خطر الموت!

وكم من أناس يشربون الخمر في رمضان، وكم من زوجات يشتكون من أزواجهن ويقلن: يطلب زوجي مني أن أقدم له الخمر ولضيوفه في الشهر الكريم، فهل يجب عليّ هذا؟ هل يجوز لي أن أمنع وأعصيه؟

المصيبة أي مصيبة انتشرت في مجتمعاتنا.

كم من فتاة سألتني: تقدم لي أكثر من خاطب، وحينما أسأله عنهم، أجدهم ممن يشربون الخمر، فماذا أصنع؟ أبقى عانسًا أم أقبل هذا النوع من الناس؟!

الوباء ينتشر ولا بد له من مقاومة، لا بد أن نوعي أجيالنا بما صنعه الإسلام.

الإسلام قاوم هذه الآفات، وحرّمها أشدّ التحريم، حرّم شربها، وحرّم الاتجار بها، وحرّم صناعتها، وحرّم عصرها، يعني: بيع العنب ليعصر، فالخمر لا تُعصر، إنّما العنب هو الذي يُعصر، هذا تعبر مجاري.



وقد روي في حديث: عن الطبراني في «الأوسط»: «من حبس العنبر أيام القطايف ليبيعه ممن يتخذه خمراً، فقد ت quam النار على بصيرة»^(١).

فما بالك بمن يبيع الخمر نفسه؟! ما بالك بمن يبيع المخدرات؟!
وما بالك بمن يتناولها؟!

حماية المجتمع من أسباب الفساد والخلل:

إننا في حاجة إلى أن نحمي مجتمعنا من هذه الآفات، وأن نقاوم أولئك الذين يريدون أن يكتسبوا ويربحوا من وراء الضحايا المساكين.

يجب أن يقف المجتمع كله ضد هذا الوباء.

إن الإسلام يريد المسلم القوي، المنتج، المعطاء، الذي يساهم في الرقي بمجتمعه، يريد عضواً فعالاً، حياً قوياً في جسم المجتمع، لا يريد عضواً أشلّ، لا يريد أن يكون عالة وعبئاً على المجتمع، لا يريد أن يكون بلاء على المجتمع.

ولهذا ينبغي أن نعمل على حماية هذا الجيل، وحماية ثروتنا البشرية.

الإسلام يريد أن يربّي المؤمن القوي، يريد أن يربّي الإنسان الذي يعطي مجتمعه أكثر مما يأخذ منه، وينتّج للحياة أكثر مما يستهلك منها.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٣٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤١٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الكريم ابن عبد الكرييم: قال أبو حاتم: حديثه يدل على الكذب. وقال الألباني في غاية المرام (٧١): «رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الحافظ في بلوغ المرام وهو ضعيف جداً، وتحسّين الحافظ إيه وهم لا أدري من أين منشأه». ولكن حسبنا أنَّ الحديث الآخر في لعن عاصر الخمر ومعتذرها قد صحّحه الأئمة؛ فدلَّ على حرمة هذا الأمر. وربما كان حديث الطبراني من كلام بعض الصحابة أو التابعين.

ولا يكون ذلك إذا كان ضحية لهذه الأوبئة ولهذه السّموم التي تفدي علينا من هنا وهناك.

إنَّ هذا الترويج لهذه السّموم من أكبر ما حرَّم الله تعالى.

يجب أن نعلم ونعلم أبناءنا، ونعلم شبابنا، أنَّ الإسلام قد حمى الإنسان حينما حرم هذه الأشياء، لم يحرِّمها إلَّا لحمايتنا، لمصلحتنا؛ لأنَّه لا يحلُّ إلَّا الطيبات، ولا يحرِّم إلَّا الخبائث، فإذا حرم علينا شيئاً فليس ذلك تضييقاً علينا، ولا انتقاماً مِنَّا، إنَّما هو لمصلحتنا أفراداً ومجتمعات.

هذا ما جاء به الإسلام.

ما أسكر كثيره فقليله حرام:

ولذلك رأينا النبي ﷺ حذر من المسكرات - كل المسكرات - حذر من القليل ومن الكثير، وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(١)، «ما أسكر منه الفرقُ [الفرق: مكيال كبير] فملء الكفّ منه حرام»^(٢)؛ لأنَّ القليل يجرُ إلى الكثير، والألف تجرُ إلى الباء كما يقولون، ومعظم النار من مُستصغر الشرر.

حرَّم النبي ﷺ الكثير والقليل، وحرَّم المسكرات أيًّا كانت المادة المصنوعة منها.

(١) رواه أحمد (١٤٧٠٣)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٦٨١)، والترمذى (١٨٦٥) وقال: حسن غريب. والنسائي (٣٣٩٣)، ثلاثتهم في الأشربة، وصححه الألبانى في غاية المرام (٥٨)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٢٤٤٢٣)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (٣٦٨٧)، والترمذى (١٨٦٦)، وقال: حسن. كلاهما في الأشربة، وصححه الألبانى في غاية المرام (٥٩)، عن عائشة.

جاء رجل من اليمن؛ فسأل النبي ﷺ عن شراب يصنعونه باليمن من الذرة اسمه «المِزْرُ»، فقال النبي ﷺ: «أَوْ مُسْكُرٌ هُوَ؟». قال: نعم. فقال ﷺ: «كُلُّ مُسْكُرٍ حرام، وَإِنَّ اللَّهَ عَهِدًا لِمَن يَشْرُبُ الْمُسْكُرَ أَنْ يُسْقِيَهُ طِينَةَ الْخَبَالِ». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَقُ أَهْلَ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١).

يسقيهم الله من هذه الطينة وهذه العصارة أو «الرَّدْغَة» إهانة لهم وتحقيقاً.

وجاء عنه ﷺ: «مَنْ شَرَبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٢). أي أنَّ صلاته مرفوضة.

وجاء في الحديث: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةً: الْعَبْدُ الْأَبْقَى حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ، وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطَةُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا، وَالسَّكَرَانُ حَتَّى يَصْحُو»^(٣).

وفي حديث آخر: «ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: الْجُنُبُ، وَالسَّكَرَانُ، وَالْمُتَضَمِّنُ بِالْخَلُوقِ»^(٤)، لَا تقربهم الملائكة ولا ترفع لهم صلاة.

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٠٢)، وأحمد (١٤٨٨٠)، عن جابر.

(٢) رواه الترمذى (١٨٦٢)، وحسنه، والحاكم (١٤٦/٤)، كلامهما في الأشربة، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.

(٣) رواه ابن خزيمة في الصلاة (٩٤٠)، وابن حبان في الأشربة (٥٣٥٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف. عن جابر.

(٤) رواه البزار (٤٤٤٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٠): إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨١٩٨): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا العباس بن أبي طالب وهو ثقة. وصححه الألباني في الصحيح (١٨٠٤)، عن ابن عباس.

و«الخلوق»: طيب مرَّكَبٌ يُتَّخَذُ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وإنما نهي عنه الرجال؛ لأنَّه من طيب النساء، ووردت إباحته ولعلها منسوخة.

ومن هنا كان على المسلم - الذي يريد أن يكون بينه وبين الله صلة، ولا يريد أن ينقطع عن الله، الذي يريد أن تُقبل حسناته وتُغفر سيئاته، وأن يتوب إلى الله من هذا البلاء - أن يعرف كيد شياطين الجن وشياطين الإنس له، أن يحمي نفسه من بلاء الدنيا ومن بلاء الآخرة، فإنه معَرض للبلاء في الدنيا: معَرض للمرض ومعَرض للجذون، ومعَرض لتلف الكبد، وتلف الأعصاب، وتلف الأجهزة، ومعَرض للإصابات النفسية والعقلية، ومعَرض - قبل ذلك كُلُّه - لغضب الله وعذابه في الآخرة.

لو كتب كاتب أو أحصى محسِّن ما تجرُّه الخمور والمسكرات والمخدّرات على النّاس من بلاء، مثل: الحوادث التي نراها، والجرائم التي نشهدها، حوادث المرور، وحوادث الشجار بين النّاس، لكان الأرقام مذهلة حقًا.

لقد انتقل إلينا هذا البلاء وهذا الوباء من مجتمعات أخرى، كانت مجتمعاتنا مصونة، وكانت بعيدة عن هذه المصائب، ولكن انتقلت إلينا العدوى.

فعليينا أن ننتبه أيّها الإخوة المسلمين، وأن نرجع إلى أمر الله وأمر رسوله.

علينا أن نرجع إلى ديننا؛ ففيه العِصمة، فيه العلاج، وفيه الوقاية معاً.

علينا أن نرجع إلى كتاب ربنا وسُنة نبينا، وهناك نجد الخير كلَّ الخير ﴿وَمَن يَعْصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله يستجب لكم.

* * *



العِفَةُ وَالْإِحْصَانُ



الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإِخْرَوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زَلْنَا مَعَ الشَّبَابِ، لَا زَلْنَا مَعَ فَتِيَانَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفَتِيَاتِهَا.

الشَّبَابُ هُمْ أَغْلَى الثَّرَوَاتِ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا أُمَّةٌ مِّنَ الْأَمَمِ، إِنَّهَا ثِروَةٌ لَا تَقْدِرُ بِالْدُّولَارِ وَلَا بِالْجُنَاحِيَّهِ وَلَا بِالْدِينَارِ وَلَا بِالرِّيَالِ، إِنَّهَا أَغْلَى وَأَثْمَنُ وَأَنْفُسُ مَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ، إِنَّهَا الْأُمَّةُ، إِنَّهَا الْمُسْتَقْبِلُ!

وَلَهُذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَطْلِيلَ الْحَدِيثَ عَنْ شَبَابِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ عَلَى حِمَائِهِمْ مِّنَ الْانْهِيَارِ، مِنَ الْانْسِيَاقِ وَرَاءَ التِّيَارَاتِ الْغَازِيَّةِ، الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَضْلِلَهُمْ عَنْ هُوَيْتِهِمْ، وَالَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَمْحِقْهُمْ مَحْقًا، وَلَا تَبْقِي فِيهِمْ شَيْئًا يَنْفَعُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَوْ يُصْلِحُهَا وَيَنْهَضُ بِهَا.

الشَّبَابُ هُمْ عَدَّةُ الْأُمَّةِ وَذِخِيرَةُ غَدِهَا، وَلَهُذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَرْبِيَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَأَنْ نَرْبِيَهُمْ عَلَى الْفَضَائِلِ وَمِكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ نَحْمِيَهُمْ مِّنَ الرِّذَايْلِ، وَنَحْمِيَهُمْ مِّنَ التِّيَارَاتِ الْغَازِيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ أَفْكَارًا مَسْتُورَةً، لَا تَمْتُ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِسَبَبِهَا، وَلَا تَتَصَلُّ بِهَا بِنَسْبٍ.

تهذيب الإسلام للغرائز البشرية:

هناك ما يسمونه «المشكلة الجنسية» العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة، وبين الشاب والشابة، سموها مشكلة! وما كانت يوماً من الأيام مشكلة، لو أنَّ النَّاسَ اتَّبعوا هدِيَ اللَّهِ، وساروا وراء منهج الله.

إنَّ الإِسْلَامَ لم يعتبر الدافع الجنسي في نفس الفتى أو في نفس الفتاة، في نفس الرجل أو نفس المرأة، لم يعتبر ذلك من الشيطان، لم يعتبر ذلك شيئاً قدراً ينبغي أنْ يستخبئه الإنسان ويستهجهنَّه.

لا، إنَّه دافع فطري، رُكْبَه اللَّهُ تَعَالَى في البَشَرِ لِحُكْمَةِ بَالْغَةِ؛ لَكِي يدفع الإِنْسَانَ وَيُسُوقَه سُوقًا ليبحث عن شريكَ حِيَاةِه، وَتَبْحَثُ الْفَتَاهُ عَنْ شريكَ حِيَاةِه؛ لِتَقُومَ الْأَسْرَ، وَمِنْ وَرَاءِ الْأَسْرِ تَقُومُ الْجَمَاعَاتِ، وَيُسْتَمِرُ بَقَاءُ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَتَطْلُبُ إِلَيْهِ عُمَارَتَهَا: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

ليُسُوقَه سُوقًا ليبحث عن شريكَ حِيَاةِه، وَتَبْحَثُ الْفَتَاهُ عَنْ شريكَ حِيَاةِه؛ لِتَقُومَ الْأَسْرَ، وَمِنْ وَرَاءِ الْأَسْرِ تَقُومُ الْجَمَاعَاتِ، وَيُسْتَمِرُ بَقَاءُ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَتَطْلُبُ إِلَيْهِ عُمَارَتَهَا: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

لا، إنَّه يَكُونُ قَذَارَةً وَنِجَاسَةً، حِينَما يَتَعَدَّ بِهِ حَدُودَ اللَّهِ، حِينَما يَتَجاوزُ بِهِ مَا أَرَادَ الشَّرْعُ.

أمَّا حِينَما يَوْضِعُ مَوْضِعَهِ، فَلَيْسَ قَدْرًا، وَلَا رَجْسًا، وَلَا نِجَاسًا.

لا حرج على الإِنْسَانِ أَنْ يَطْلُبَ تَصْرِيفَ هَذِهِ الطَّاقَةِ أَوْ يَلْبِي نِداءَ هَذَا الدَّافِعِ الْجَنْسِيِّ بِمَا أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ النِّكَاحَ وَحرَّمَ السَّفَاحَ، حَرَّمَ الزِّنَى: ﴿وَلَا نَقْرِبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحْشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ٣٢].

حرَّمَ الشَّذوذَ الْجَنْسِيِّ، وَ«اللَّوَاطُ» عَمِلٌ قَوْمَ لَوْطٍ، فَهُوَ عَمِلٌ: قَوْمٌ

مجرمين^(١)، و قوم مفسدين^(٢)، و قوم جاهلين^(٣)، و قوم عادين^(٤)، كما سَمَّا هم القرآن الكريم.

حَرَمْ هَذَا، وَلَكِنَّه طَلَب إِلَى النَّاس أَنْ يَتَزَوَّجُوا: «يَا مَعْشِرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاع مِنْكُم الْبَاءَة فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّه أَغْضَى لِلْبَصَرِ وَأَحْسَنَ لِلْفَرْج»^(٥).

مساعدة المجتمع لمن يرد الزواج:

وَعَلَى الْمَجَامِعِ أَنْ يُسَاعِدَ مِنْ أَرَادَ الزَّوَاجَ: ﴿وَأَنِكْحُوا الْأَيْمَنَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [الثُّور: ٣٢].

الأَيَامِي جَمْع: أَيْمَ، وَالْأَيْمَ: مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنْ رَجُلٍ أَوْ اِمْرَأَةٍ.

الرَّجُلُ الَّذِي لَا زَوْجَ لَهُ يُسَمَّى «أَيَّمًا»، وَالمرْأَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا تُسَمَّى «أَيَّمًا».

وَالْمَجَامِعُ الْمُسْلِمُونَ مَطَالِبُ بِمَقْتَضَى هَذَا الْأَمْرِ الإِلَهِيِّ أَنْ يُزُوِّجَ الْأَيَامِيُّونَ، أَنْ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى الزَّوَاجِ، أَلَّا يَعُوقَ الزَّوَاجَ الْحَلَالَ، أَلَّا يَضُعَ فِي طَرِيقِهِ الْعَقَبَاتُ وَالْعَرَاقِيلُ، أَنْ يَسِّرَ الْحَلَالَ وَيَعُوِّقَ الْحَرَامَ.

هَذَا هُوَ مَنْهَاجُ الْإِسْلَامِ.

(١) قال تعالى: ﴿وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

(٢) قال تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصَرِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

(٣) قال تعالى حكاية عن لوط وهو يخاطب قومه: ﴿أَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ إِلَيْهِ حَالَ شَهَوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النَّمَل: ٥٥].

(٤) قال تعالى حكاية عن لوط، وهو يخاطب قومه: ﴿وَنَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْزَلَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود. والمراد بالباءة هنا: ما يلزمها من القدرة على مؤن الزواج ونفقاته.

فتح أبواب الحلال، وأزال العقبات من طريقه: تيسير المهور، تيسير التكاليف، تيسير النفقات، اعتماد الدين والخلق مقاييساً قبل كلّ شيء: «إذا أتاكم من ترثون خلقه ودينه فرِّجُوهُ، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(١).

هكذا يريد الإسلام.

يريد للناس أنْ يزوجوا «أياماهم»، وأنْ يزيلوا العقبات من طريقهم، كما يريد لهم - من ناحية أخرى - أنْ يعوّقوا طريق الحرام، ألا يكون طريق الحرام ميسوراً.

حرمة كل ما يؤدي إلى الفساد الجنسي:

ومن هنا حرم الإسلام كلَّ ما يؤدي إلى الفساد الجنسي:

حرَّمَ النَّظرةُ غَيْرُ الْبَرِيَّةِ، النَّظرةُ الَّتِي تَغْلُغُ فِي مَحَاسِنِ الْجَنْسِ الْآخِرِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الْأَنْبَيْهُ لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيٌّ، لَا تُتَّبِعُ النَّظرةَ النَّظَرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَ لَكَ الْآخِرَةَ»^(٢).

غض البصر:

وقال الله تعالى في شأن الرجال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ كَيْفُ عَضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَنَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الثور: ٣٠].

(١) رواه الترمذى (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً. وإنما يعني بقوله مرسلاً: انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقد رجح البخارى المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلامها في النكاح، وحسنه الألبانى في الصحيحه (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٩١)، وقال مخرجه: حسن لغيره. وأبو داود في النكاح (٢١٤٩)، والترمذى في الأدب (٢٧٧٧)، وحسنه، عن بريدة.

وقال في شأن النساء: ﴿وَقُلْ لِلّٰمٰوْمَنَتِ يَعْصُمُنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَ وَيَحْفَظُنَ فُرُوجَهُنَ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيَضْرِبَنَ بِخُمُرِهِنَ عَلَى جُيوبِهِنَ وَلَا يُبَدِّيْنَ زِينَتَهُنَ إِلَّا لِبُعْوَلَتِهِنَ أَوْ إَبَابِهِنَ أَوْ بُعْوَلَتِهِنَ أَوْ أَبْنَاءَ بُعْوَلَتِهِنَ﴾ [الثور: ٣١] إلى آخر ما جاءت به الآية الكريمة.

يريد الإسلام من المسلم أن يكون غاضباً للبصر، حافظاً للفرج.

يريد أن يحتفظ المسلم بحياته وعفافه وإحسانه، وأن تحفظ المسلمة بعفافها وحياتها وإحسانها؛ فالحياة شعبة من الإيمان.

يريد الإسلام من المسلم أن يتربى على تقوى الله تعالى، حتى إن الفاحشة ل تعرض له فيقول: إني أخاف الله رب العالمين؛ ليكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

حينما تعرض له الفاحشة، حينما يتيسّر له الحرام وهو قادر عليه، يتراءى له ذلك الموقف حينما تدنو الشمس من الرؤوس، حينما يلجم الناس العرق، ولا مظلة ولا جدار ولا شجرة، لا شيء يقي الناس من حر الشمس إلا ظل الله، ظل عرش الرحمن.

يتراءى له هذا، ويجد سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، منهم: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين»^(١).

الإسلام يربّي المسلم على هذه الخُلُق، على هذا الاعفاف، على هذه التقوى، حتى إنه ليرى الحرام أمامه فيعف عنه، لا لشيء؛ إلا خشية الله وابتغاء رضوانه.

(١) سبق تخریجه ص ٢١٣، وفيه: «وشاب نشاً في عبادة الله».

وكذلك المسلمـة قد تجد أمامها الحرام ميسوراً، ولكنـها تعـف نفسها وتحصن فرجـها، كـذلك الجـاريـة الـتي رـاودـها رـجـل عن نـفسـها، فـامـتنـعـتـ منهـ، فـقـالـ: ما الـذـي يـمـنـعـكـ ولا يـرـانـا إـلـاـ الكـواـكـبـ، فـقـالـتـ لـهـ: وـيـحـكـ، وـأـيـنـ مـكـوـكـبـهاـ^(١)؟

هـذا ما يـرـيدـهـ الإـسـلامـ.

يرـيدـ منـ المـسـلـمـينـ وـالـمـسـلـمـاتـ أـنـ يـنـشـئـوـاـ عـلـىـ خـلـقـ الـعـفـافـ وـالـاحـصـانـ.

خطر الجاهليـةـ الـحـدـيـثـةـ:

أـمـاـ ماـ تـرـيـدـهـ الـجـاهـلـيـاتـ الـحـدـيـثـةـ الـمـسـتـورـدـةـ مـنـ الغـرـبـ وـالـشـرـقـ،ـ فإنـهاـ تـرـيـدـ أـنـ تـنـتـزـعـ مـنـ الفتـىـ وـالفـتـاةــ مـنـ أـبـنـاءـ الإـسـلامـ وـبـنـاتـهــ هـذـهـ الـأـفـكـارـ وـالـمـفـاهـيمـ،ـ بـمـفـاهـيمـ خـبـيـثـةـ جـديـدةـ.

وـتـرـىـ أـنـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ الـعـتـيقـةـ الـقـدـيمـةـ مـنـ روـاسـبـ عـصـورـ التـخـلـفـ،ـ وـمـنـ بـقـاـيـاـ الـانـحـطـاطـ،ـ وـيـنـبـغـيـ أـنـ نـتـحـرـرـ مـنـهـاـ،ـ وـأـنـ نـحلـ عـقـدـةـ الـكـبـتـ عـنـ الفتـيـانـ وـالفـتـيـاتـ،ـ وـأـنـ يـنـظـرـ كـلـ مـنـهـمـاـ إـلـىـ الـآـخـرـ نـظـرـةـ جـديـدةـ.

يـنـبـغـيـ أـنـ نـذـيبـ الـحـواـجزـ بـيـنـ الـجـنـسـيـنـ،ـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ هـنـاكـ اـخـتـلاـطـ حـرـّـ بـيـنـ الفتـىـ وـالفـتـاةـ،ـ بـيـنـ الشـابـ وـالـشـابـةـ،ـ فـيـ المـدارـسـ وـالـجـامـعـاتـ،ـ وـالـأـنـديـةـ وـالـأـسـوـاقـ وـغـيـرـهـاـ،ـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـزـولـ هـذـهـ الـحـواـجزـ الـعـتـيقـةـ الـتـيـ تمـثـلـ فـيـ نـظـرـهـمـ أـفـكـارـاـ بـالـيـةـ وـمـفـاهـيمـ قـدـيمـةـ عـفـاـ عـلـيـهـاـ الزـمـنـ.

وـلـكـنـ هـذـهـ الـمـفـاهـيمـ إـنـماـ جـاءـتـ مـنـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـىـ وـمـنـ سـُـنـنـ رـسـولـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ،ـ فـهـؤـلـاءـ الـذـينـ يـرـيدـونـ أـنـ يـذـيبـواـ الـحـواـجزـ يـنـاقـضـونـ مـاـ أـمـرـ اللهـ بـهـ وـرـسـولـهـ.

(١) رـوـاـهـ الـبـيـهـقـيـ فـيـ شـعـبـ الإـيمـانـ (٨٥٣).



إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يَقِيمَا مَجَمِعًا مَؤْمَنًا عَفِيفًا مَصُونًا، يَتَرَبَّى فِيهِ كُلُّ فَرَدٍ عَلَى أَنَّ الزِّنَى حَرَامٌ، وَعَلَى أَنَّ الْفَاحِشَةَ حَرَامٌ، وَعَلَى أَنَّ «الْحَيَاةَ شَعْبَةً مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، وَعَلَى أَنَّ «الْحَيَاةَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَخِيرٍ»^(٢)، وَعَلَى أَنَّ غَضَّ البَصَرِ عِبَادَةً، وَأَنَّ حَفْظَ الْفَرْزَجَ فَرِيضَةً: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتُ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْوَمِينَ﴾

[المؤمنون: ٥، ٦] [المعارج: ٢٩، ٣٠].

أمرنا الإسلام أن نغضّ البصر.

أمرنا الإسلام ألا يختلي رجل بامرأة، ولا امرأة ب الرجل إلّا ومعهما محرّم؛ فإنّ الشيطان ثالثهما إذا اختلّيا، قد يغرّي الرجل المرأة، والمرأة الرجل، ولا يدعّي أحد أنه ملكٌ من الملائكة، الشيطان (أشطر) وأمهر وأخبر.

ولهذا فإنّ الإسلام يسدّ الذرائع إلى الفساد سداً، فيمنع الخلوة، ويمنع التبرج، ويمنع أن تخرج المرأة بزيتها وطيبها وعطرها في الطرق والشوارع، تغرّي الرجال، وتتجذب الشّبان.

إنّ زينة المرأة في بيتهما، فإذا أرادت أن تخرج؛ فلا ينبغي أن تتعطّر ولا أن تتطيّب، ولا يجوز لها أن تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زيتها؛ كما قال القرآن: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [الثّور: ٣١].

لا يريد الإسلام أن يضع النار بجوار «البترول»، وإنما يريد أن يمنع الفساد من جذوره، من أصله، وأن يسدّ الأبواب التي تهبّ منها رياح الفتنة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٧)، ومسلم في الإيمان (٣٧)، عن عمران بن حصين.

راعي الإسلام ضعف البشر، وغرائز البشر: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨].

هؤلاء الذين يريدون أن نذيب الحواجز بين الفتيان والفتيات، ويدعون إلى برامج مشتركة للاختلاط: حفلات مختلطة، وجوالة مختلطة، وتمثيليات مختلطة، ورقص فلكلوري مختلط، إلى غير ذلك مما يزعمونه من علامات التحرر، ومن أمارات التحضر.

هؤلاء الذين يريدون لنا أن ننفذ ما قيل عن برامج حكماء صهيون، بحيث نستقي منها مناهجنا من الغرب، وأن نأخذ فلسفاتنا عن مدرسة التحليل النفسي، وعن المدارس الغربية الاجتماعية، وأن نركض وراء أفكار فرويد ودوركايم، وماركس وأمثالهم.

هذه الفتنة الغربية تريد أن تفسد على هذه الأمة فكرها، وتفسد عليها اعتقادها، وتفسد عليها سلوكيها، وتفسد عليها أسرها، وتفسد عليها مجتمعاتها.

هؤلاء الذين يريدون مثناً أن ندع ديننا وقرآننا وسنّة نبينا محمد ﷺ؛ لنتبع سننهم، ونسير وراء أفكارهم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع. هؤلاء دخلاء علينا، أجانب مثناً، غرباء عننا، ليس لهم مكان في مجتمعاتنا.

نحن مجتمعات مسلمة، نعتز بالإسلام، نعتز بالحياة، نعتز بالإحسان والعفاف، نعتز بهذه الفضائل.

ولكن مجتمعات أخرى أصبحت - والعياذ بالله - كالبهائم، يتсадدون في الطرقات!

هل يُراد لنا أن نكون كهؤلاء؟!

هؤلاء هم الذين حلوا عقد الكبت! كما يقولون، فماذا صنعوا؟

حينما تركوا الفتى وللفتاة حرية الحبّ، حرية ممارسة الجنس، حرية العلاقات بين الجنسين، هل حلوا المشكلة؟

لا والله، لقد زادت، وأصبح عقلاً وهم ومفكروهم ومصلحوهم يشكون، ويقول بعضهم: إن المشكلة الجنسية أخطر على الغرب الآن من القنبة الذرية! لأنَّهم كلَّما ازدادوا شرَّاً ازدادوا عطشاً، كلَّما ازدادوا حرية ازدادوا بهيمية.

لم يحلوا المشكلة.

لماذا نريد أن نقلد هؤلاء وعندنا دیننا، وعندنا قرآننا، وعندنا سُنّة

نبينا محمد ﷺ؟

إنَّ الإسلام شرع لنا الطريق الوسط، والمنهج المعتدل، لم يُرد لنا أن نكون - كما في بعض الأديان - رهباً نبتعد عن الزواج، ونعتبر النساء نجساً، ونرى المرأة شيئاً مجسماً.

لا، النَّبِي ﷺ يقول: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، وَالْطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرْةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

لا رهانية في الإسلام:

وواجهه الَّذين أرادوا الرهانية، ونزعوا نزعة الرهانية في الغلو والتبعُّد والتزهُّد والتنسُّك؛ فقال من قال منهم: أمَّا أنا فأصلِي الليل أبداً، وقال

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والنسياني في عشرة النساء (٣٩٣٩)، وصحح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، وحسنه ابن حجر في التلخيص (١١٦/٣)، وصححه الألباني في الصحيح (٣٢٩١)، عن أنس.

الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً؛ فقال النبي ﷺ: «أَمَا وَاللَّهُ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ اللَّهُ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطُرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنْنَتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

لم يعتبر الإسلام الزواج جريمة، ولا التفكير في الجنس المشروع جريمة، إن القرآن يعرض هذا «الأمر الجنسي» في أسمى المقامات الروحية حين يتحدث عن الصيام وعن الدعاء: «وَإِذَا سَأَلَكُمْ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الْمَدْعَى إِذَا دَعَانِ» [آل عمران: ١٨٦]، في هذا المقام الرفيع يحدّثنا عن الناحية الجنسية فيقول: «أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَأَلَّا نَبْشِرُهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» [آل عمران: ١٨٧].

في قلب آيات الصيام والدعاء لا يجد حرجاً من الحديث عن العلاقات الجنسية.

وفي نفس السورة يقول الله تعالى معلماً للمؤمنين: «نِسَاءُكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ٢٢٣].

«فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ»: ما دام ذلك في القبْل، في موضع الحرج، فلا حرج عليك في أي طريقة تتبعها؛ ل تستمتع بامرأتك.

(١) متّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

إلى هذا الحد يتحدد كتاب كريم، كتاب الخلود، كتاب الله، عن هذه العلاقات، ولا يخرج منها.

والنبي ﷺ يقول: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقنا، فإنّه إنْ قضى بينهما ولد من ذلك، لم يضره الشيطان أبداً»^(١).

حتى في هذه اللحظة، لحظة الغريزة، لحظة دفن الشهوة، لا ينسى المسلم ربّه: أن يذكّره ويدعوه؛ ليتغلّب على الشيطان، وبذلك ينتقل الأمر من عمل غريزي بحت، إلى عمل عبادي مقصود.

الإسلام لا يرى الناحية الجنسية قذارة ولا رجسًا، إنما تكون قذارة ورجسًا حينما يتجاوز بها الحال إلى الحرام.

أمّا إذا وضعها في الحال فهي عبادة، وهي صدقة، وفيها مثوبة وأجر.

ولهذا حدّث النبي ﷺ الصحابة عن أنواع من الصدقات، ثم قال لهم: «وفي بعض أحدكم صدقة». في الجماع صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيّاتي أحدهنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟!

قال: «أرأيت لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحال كان له أجر»^(٢).

يعني: أتحسبون الشرّ ولا تحسبون الخير؟!

أي دين هذا الدين العظيم، الذي ينزل إلى واقع الناس، ويعرّفهم أمورهم بصرامة بلا مواربة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٨)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

الإسلام يربّي النّاس تربية جنسية منذ الصغر، يتعلّم ذلك المسلم حينما يدرس نواقض الوضوء، أو موجبات الغسل، أو الحيض أو النّفاس، أو غير ذلك، فيتعلّم كثيراً من هذه الأمور.

ولكنَّه يتعلّمها في جو إيجابي نظيف، بعيد عن ذلك الجو الخبيث الموبوء.

يتعلّم العبارة النظيفة، العبارة المؤدبة المهدبة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النّساء: ٤٣]، [المائدة: ٦]. قال: اللمس والمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، ولكن الله كريم يكفي عمّا شاء بما شاء^(١).

أي يعلم النّاس أدب التعبير في هذه الأمور، يريد ألا يخدش الحياء، فيتحدّث عنها بألطف العبارات وأرق الكلمات.

هذا ما يريده الإسلام.

الإسلام يحلُّ هذه المشكلة؛ بل لا توجد مشكلة أصلاً في ظلّ الإسلام.

يوم كان المجتمع مجتمعًا مسلماً فطرياً بسيطاً، لا يعرف هذه الأمور الدخيلة، ولا تلك الأفكار المستوردة، ولا تلك العادات الغربية، كانت أموره تتم بسهولة ويسراً، وكان الزواج يتتم بسهولة دون تعقيد ولا تكليف ولا إسراف، والرجل يتزوج أكثر من واحدة إذا احتاج إلى ذلك، ولا يصنع ذلك مشكلة، لا مع المرأة الأولى، ولا مع المرأة الثانية، ولكن المفاهيم الدخيلة تريد أن تغيّر هذا المجتمع.

(١) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبرى ورجحه. انظر: تفسيره (٣٩٢ - ٣٨٩/٨).

مفاهیم جدیدة باسم التطور:

هؤلاء الذين يريدون أن يغيّروا التركيب الإسلامي لهذا المجتمع، يريدون أن يدخلوا عليه مفاهيم جديدة، باسم هذا الصنم الجديد الذي يسمى «التطور».

هؤلاء لا يعرفون روح هذا المجتمع، ولا يعرفون روح هذا الدين.

هؤلاء الذين يسمون كل تصوّن وكل تعفّف عقداً وكتباً، ويقولون: الذي لا يمارس الجنس مكبوت معقد، أمّا الذي أطلق لشهوته العنان، وسار وراء غرائزه، فهذا إنسان عصري، متتحرّر، إنسان خالٍ من العقد!

يوسف عليه السلام حينما رأى الإغراء يوماً ورأى التهديد يوماً آخر، ومن امرأة تملك أن تقول وتفعل، وأن تهدّد وتنفذ^(١)، يوسف الذي يواجه هذا كله بإيمان القوي وقوة المؤمن، ولجا إلى ربّه داعياً مستعيناً «قال رب السجن أحَبْ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ» [يوسف: ٣٣]، يوسف الصديق كان معقداً في نظر هؤلاء، كان مكبوتاً، لو استجاب للمرأة لكان متحضرّاً، لكان متتحرّراً.

هؤلاء المغزّون بالفكر الغربي وبالثقافة الغربية وبالحضارة الغربية، ليكونوا ما يكونون، ولكن لا يقبل منهم أبداً أن يؤثّروا على مجتمعاتنا، لا يقبل منهم أبداً أن يتقدّموا بهذه الأفكار الخبيثة النجسة إلى مجتمع مسلم يعتزّ بإسلامه، ويعتزّ بتقاليده، ويعتزّ بفضائل العفاف والإحسان، ويرى أن حماية الشرف وحماية العرض من أخلاق الرجال المؤمنين.

(١) حينما قالت: «وَلَقَدْ رَوَدَهُ عَنْ فَقْسِهِ فَأَسْتَعْصَمْ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرَهُ لِيُسْجَنَ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» [يوسف: ٣٢].

إنَّ الحضارة الغربية لا تعرف شيئاً اسمه العِرض، أو اسمه الشرف، حتىَّ الَّذين درسوا هذه اللغات قالوا: لا نرى فيها كلمة تعبر عن الكلمة العربية «العرض» أو «الشرف»، لا يوجد في هذه اللغات ما يماثل هذه الكلمة الَّتي يقول فيها الشاعر:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العِرض في المال
أحتال لِلماں إنْ أودى فأكسبه ولست للعرض إنْ أودى بمحтал^(١)

إذا ضاع العِرض فلا يعوض، ولكن المال قد يعوض.

هؤلاء يأتون إلينا بحضارة غربية دخيلة، بأفكار لا تمتُّ إلينا، ولا تتصل بنا، ولا نعرفها.

هل يريدون أن تكون صورة كصورة ذلك المجتمع؟

هل يقبل أحدٌ منا بذلك لبنيه وبناته، هل يقبل أحدٌ منا لزوجته أو لأخته أو لأمه، أن تكون مثل النساء في أوربا وأمريكا، والسويد والنرويج، ولندن وغيرها؟

وقد شاهد بعضكم هناك ما شاهد في أثناء رحلاته وجوالاته.

هل يريدون أن تكون كتلك المجتمعات، حذو القذة بالقذة، أو النَّعل بالنَّعل؟!

علينا أن نعتزَّ بهويتنا وبأنتمائنا لأعظم دين، ولأفضل رسول، ولخير أمَّة، وأن نستقي فلسفة حياتنا، ومنهج سلوكنا من كتاب الله تعالى، ومن سُنة رسوله، نستقي منهاج حياتنا من المصدر المعصوم الَّذي لا يضلُّ ولا ينسى.

(١) من شعر حسان بن ثابت. انظر: الدر الفريد (٢٨٥/٢)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.



إن كانوا يستقون من «فرويد» أو من «ماركس» أو من غيرهما، فنحن نستقي من هدي مُحَمَّد ﷺ، ومن كتاب ﴿لَا يَأْنِيهُ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

نحن نرفض هذا الاختلاط العصري الشائن، الّذى يريد أن يمزّق الروابط والأعراض، وأن يذيب الحواجز بين الجنسين، وأن يحلّ ما حرم الله، ويُسقط ما فرض الله.

نحن مجتمع مسلم، كلّ ما نعتزّ به هو «إسلامنا»، ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر حينما قال: نحن كنّا أذلّ قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغيره أذلّنا الله^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر لله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) سبق تخریجه ص ٤٥.

معاكسة الفتىان للفتيات

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِخْرَوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثُنَا وَكَرَرَنَا، وَلَا زَلَّنَا نَكْرِرُ وَنَقْرِرُ:

إِنَّ الشَّبَابَ هُمْ ثُرَوَةُ الْأَمَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، أَعْظَمُ ثُرَوَاتِ الْأَمَّةِ لِيُسْتَعْدِي
الثُرَوَاتِ الْمَادِيَّةِ مِنَ الْذَّهَبِ الْأَسْوَدِ، أَوِ الْذَّهَبِ الْأَبْيَضِ، أَوِ الْذَّهَبِ
الْأَصْفَرِ، أَعْظَمُ الثُرَوَاتِ هِيَ الثُرَوَةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَأَعْظَمُ هَذِهِ الثُرَوَةِ هُمُ
الشَّبَابُ؛ لَأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَمْثُلُونَ غَدَ الْأَمَّةِ، هُمُ الَّذِينَ يَجْسِدُونَ الْمُسْتَقْبَلَ.

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مُسْتَقْبَلَ أَمَّةٍ، فَانْظُرْ إِلَى شَبَابِهَا: أَيْنَ هُمْ؟ وَكَيْفَ
هُمْ؟ وَمَا خُلُقُهُمْ وَسُلُوكُهُمْ؟ وَمَا هِيَ اِتِّجَاهَاتُهُمْ وَأَحَلَامُهُمْ؟ وَمَا هِيَ
أَهْدَافُهُمْ وَغَایَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ؟

مِنْ خَلَالِ ذَلِكَ تُسْتَطِعُ أَنْ تَحْكُمَ لِلْأَمَّةِ أَوْ عَلَيْهَا: هَلْ هِيَ أَمَّةٌ
مَكْتُوبَ لَهَا أَنْ تَرْقَى وَتَصْعُدَ؟ أَمْ مَكْتُوبَ عَلَيْهَا أَنْ تَنْحَدِرْ وَتَهْبَطْ؟

ظَاهِرَةٌ مُؤْسِفَةٌ بَيْنَ الشَّبَابِ:

الْكِتَابُ يُقْرَأُ مِنْ عَنْوَانِهِ، وَعَنْوَانُ الْأَمَّةِ هُمْ شَبَابُهَا.



ولهذا ساءني والله، أن نرى بعض الظواهر المؤسفة بين شباب أمّتنا، في بلادنا نحن العرب والمسلمين، وفي بلاد الخليج خاصة.

نجد ظواهر تفتت لها القلوب، ويندی لها الجبين، من تلك الظواهر ما لا أزال أتلقّى رسائل من أجله، عشرات وعشرات من تلك الرسائل التي تشکو من معاکسة الشّباب للفتيات في خدورهن، وللنّساء في قعر بيوتهم، عن طريق الهاتف، هذا الجهاز الذي أنعم الله علينا به.

وللأسف - نحن المسلمين ونحن العرب - لم نخترعه، إنّما اخترعه (الخواجات) لنا، يقرب البعيد، ويسهّل الصعب، ويوفّر الجهد والوقت، نعمة من الله تعالى.

ولكن أنساً مثـا بـذـلـوا نـعـمـة الله كـفـرـا، لم يـشـكـرـوا الله عـلـى هـذـه النـعـمـة. وشكـرـ الله عـلـى النـعـمـة: أـنـ تـسـتـخـدـمـها فـي طـاعـة الله، فـيـما يـحـبـ الله وـيرـضـاهـ. أـمـا كـفـرـ النـعـمـة فـأـنـ تـسـتـخـدـمـها فـيـما يـغـضـبـ الله، فـيـما لـيـسـ من شـائـهاـ. نـحـنـ كـفـرـنا بـنـعـمـة الله تعـالـىـ، فـاسـتـخـدـمـ كـثـيرـ من شـيـابـنـا هـذـهـ النـعـمـةـ فـيـ غيرـ مـوـضـعـهاـ.

استخدموها في الإساءة إلى ربّات البيوت، إلى الفتيات من بنات الأسر والعائلات، حتّى شـكـا النـسـاء وـشـكـا الرـجـالـ من هـذـهـ الـظـاهـرـةـ، التي يـأـسـىـ لهاـ الـحـرـ الـكـرـيمـ، وـلـاـ تـلـيقـ بـإـسـلامـ مـسـلـمـ؛ بلـ وـلـاـ تـلـيقـ بـإـنـسـانـ إـنـسـانـ.

فتـاةـ فـيـ بـيـتهاـ - فـيـ أـمـانـ اللهـ - تـجـدـ هـذـاـ الـذـيـ يـُـزـعـجـهاـ بـالـمـكـالـمـاتـ تـلـوـ المـكـالـمـاتـ، أـحـيـاـنـاـ بـالـفـاظـ سـخـيـفةـ وـكـلـمـاتـ بـذـيـةـ، وـأـحـيـاـنـاـ أـخـرىـ بـكـلـمـاتـ معـسـولـةـ مـزـيـفةـ، يـحاـوـلـ أـنـ يـسـرـقـ بـهـاـ قـلـبـ الفتـاةـ السـاذـجةـ.



هذا ما سمعنا به، وما كثُرت منه الشكوى.

ثم زاد الطين بلة، وزاد الداء علة، ما علمته من الإخوة المسؤولين عن برنامج «الشرطة معك» منذ أسبوع، من معاكسات أخرى في الأسواق، والطرق العامة، وأماكن التجمعات.

شباب فارغون عابثون يلاحقون النساء، ويلاحقون الفتيات، بالكلام الجارح وباللفظ البذيء، مما يدل على فقدان الحياة، وقد قال النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١)، أي: من فقد الحياة ولم يستحب من الله، ولا من نفسه، ولا من الناس؛ فليفعل ما يشاء، فليس في داخله ما يردعه.

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياة^(٢)

«الحياة من الإيمان»^(٣)، «والحياة شعبة من الإيمان»^(٤)، و«الحياة لا يأتي إلا بخير»^(٥)، كما قال النبي ﷺ.

ولكن الذي فقد الحياة يفعل ما يشاء، ويصنع ما يشاء لا خلق عنده ولا ضمير ولا حياء، لا خلق يردعه، ولا عقل يمنعه، ولا خوف يقمعه.

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) نسبهما ابن أبي الدنيا إلى رجل من خزاعة. انظر: الإشراف في منازل الأشرف ص ٣٠٦، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ونسبهما ابن مفلح في الآداب الشرعية إلى حبيب بن أوس (٢٢٧/٢)، نشر عالم الكتب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦)، كلاهما في الإيمان.

(٤) سبق تخرجه ص ٢٦٣.

(٥) سبق تخرجه ص ٢٦٣.



هذه الظواهر ما كانت لتحدث في مجتمعاتنا - مجتمعات الإسلام والعروبة - قط.

هذا لا يحدث في بلاد الكفر، في بلاد التحلل والإباحية؛ لأنَّه إذا حدث شيء من هذا يكون عادة باتفاق الطرفين.

أمَّا أن يسير فتى وراء امرأة، أو رجل وراء امرأة، يعاكسها رغم أنفها، فهذا ما لا يحدث.

دلالة هذه الظاهرة على ضعف الدين:

علام يدلُّ هذا؟

يدلُّ هذا - أول ما يدلُّ - على ضعف الإيمان، وعلى قلة الدين، وأنَّ هذه الضمائر فرغت من التقوى.

لو كان مثل هؤلاء الناس وهؤلاء الشباب يخافون الله، ويرجون حسابه، ويخشون الدار الآخرة، ما فعلوا ذلك، وما اجترؤوا على أن يصنعوا ما يصنعون.

ولكن قلوبهم خراب من الإيمان، من تقوى الله تعالى.

دلالتها على ضعف الخلق:

ودلَّ هذا ثانية على ضعف الخلق، وضعف المروءة والرجلة؛ فإنَّ الإنسان الشريف الكريم الأخلاق لا يفعل هذا، ولا يرضي هذا؛ لأنَّه يخشى إذا فعل هذا ببنات الناس أنْ يُفعل ذلك ببناته.

ألا تخشى - أيها الشَّابُ الَّذِي يُقْتَرِفُ هَذِهِ السَّيِّئَاتِ الْمُنْكَرَاتِ - أَنْ يُفْعَلَ ذَلِكَ بِحُرْمَاتِكَ كَمَا فَعَلْتَ بِحُرْمَاتِ الْآخَرِينَ؟

ألا تخشى أن يعاقبك القدر الأعلى؛ بأن يسلط شاباً آخر يعاكس
أختك، أو يعاكس أمك، أو يعاكس إحدى محارمك؟

ألا تحب للناس ما تحب لنفسك؟

ألا تكره للناس ما تكره لنفسك؟

إن عترة بن شداد - الفارس الشاعر، أحد أبطال الجاهلية، على
جاهليته - كان عنده فضائل وأخلاق تحجزه عما لا يليق؛ فكان يقول:
أغشى فتاة الحي عند حليلها^(١) وإذا غزا في الجيش لا أغشاها
وأغضض طرفني إن بدت لي جاري حتى يواري جاري مأواها^(٢)
يغضض طرفه، لا ينظر إليها؛ لأنّه يرى نفسه حارساً على امرأة جاره،
وعلى بنت جاره.

إنها الأخلاق، والأمم تُبني بالأخلاق، فإنّهم ذهبوا
إذا أصيّب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مائماً وعويلاً^(٣)

دلالتها على فراغ النّفس من المُمثل العُليا:

ويدلّ هذا على فراغ النّفس من المُمثل العُليا، فمِثل هؤلاء لو كان
عندّهم طموحات، لو كانوا يعيشون لآمال كبيرة، لأهداف عظيمة، لرسالة
يؤدونها في الحياة، ما فكروا في ذلك، ولكن هؤلاء فرغوا من التعلّق
بالآمال العظيمة.

(١) أي: أزور الفتاة ابنة الحي في حضرة زوجها؛ رعاية لجوارها وقربتها.

(٢) ديوان عترة ص ٣٠٨، نشر المكتب الإسلامي.

(٣) من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي، كما في أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١)،
نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨ م.



لو فَكَرُوا فِي مِثْلِ مَا كَانَ يَفْكِرُ فِيهِ شَبَابُ الصَّحَابَةِ وَشَبَابُ السَّلْفِ الصَّالِحِ: أَسَامِةُ بْنُ زَيْدُ الَّذِي قَادَ الْجُنُودَ - وَفِيهِ بَعْضُ كَبَارِ الصَّحَابَةِ - وَهُوَ ابْنُ الثَّامِنَةِ عَشَرَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ التَّقْفِيُّ، الَّذِي قَادَ الْجَيُوشَ لِفَتْحِ الْهَنْدِ وَهُوَ ابْنُ السَّابِعَةِ عَشَرَةَ، وَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى
لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
قَادَ الْجَيُوشَ لِسَبْعِ عَشَرَةِ حَجَةَ
يَا قُرَبَ ذَلِكَ سَوْدَدًا مِنْ مَوْلَدِ^(١)

قادَ الْجَيُوشَ إِلَى بَلَادِ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ خَاصَّهَا بِجَيْشِهِ، وَلَمْ يَبَالِ، وَهُوَ ابْنُ السَّابِعَةِ عَشَرَةَ.

ولو فَكَرُوا فِي مِثْلِ مَا يَفْكِرُ فِيهِ أَطْفَالُ الْحِجَارَةِ، جِيلُ ثُورَةِ الْمَسَاجِدِ، الَّذِينَ يَقاومُونَ رَصَاصَ الْيَهُودِ بِالْحِجَارَةِ يَقْذِفُونَهَا، يَتَلَقَّونَ الرَّصَاصَ بِصَدْوَرِهِمْ، وَتَكَسَّرُ عَظَامُهُمْ بِالْبَنَادِقِ، لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلُ هَذِهِ الْهَمَمِ مَا فَعَلُوا مَثْلَمَا فَعَلُوا.

بلْ لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلُ مَا عِنْدَ شَبَابِ الْيَهُودِ وَبَنَاتِ الْيَهُودِ مَا فَعَلُوا مِثْلُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، هُؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، مِنَ الشَّرْقِ وَمِنَ الْغَربِ، وَمِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَتَرَكُوا الْأَقْطَارَ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا؛ لِيَقِيمُوهَا دُولَةً «إِسْرَائِيل»؛ لِيَقِيمُوهَا عَلَى أَنْقَاضِنَا، عَلَى أَشْلَائِنَا.

وَهُمْ لَا يَكْتَفُونَ بِإِسْرَائِيلِ الصَّغِيرِ؛ بلْ يَنْشَدُونَ إِسْرَائِيلَ الْكَبِيرِ: «مَلَكُكَ يَا إِسْرَائِيلَ مِنَ الْفَرَاتِ إِلَى النِّيلِ»، هَكَذَا زَعَمُوا أَنَّ رَبَّ أَعْطَاهُمْ.

لَوْ كَانَ عِنْدَ هُؤُلَاءِ طَمُوحٌ مِثْلُ طَمُوحِ شَبَابِ الْيَهُودِ وَبَنَاتِ الْيَهُودِ، مَا فَعَلُوا الَّذِي فَعَلُوا، لَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ فَارَغَةٌ مِنْ كُلِّ طَمُوحٍ.

(١) تاريخ دمشق (٦٥/٦٤).

لو شغلو أنفسهم بشيء ينفع، برياضة تقوّي أجسامهم، بكتاب نافع يقرؤونه، بهوائية نافعة، بالعمل في جمعية علمية أو جمعية خيرية، أو جمعية اجتماعية، يفرّغون فيها بعض طاقتهم، لو اشتغلوا بهذا ما صنعوا الذي صنعوا، ما ساروا في الطرق عابثين لا هين، في غمرة ساهون:

﴿لَعْمَرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكَرٍ هُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

لقد دلّنا هذا على أنّ هناك فراغاً رهيباً لدى هؤلاء الشباب، ليس فراغ وقت فقط، بل فراغ نفس كذلك، وهو أشدُّ خطرًا.

هناك فراغ وقت، وفراغ الوقت نعمة لمن يستفيد منه؛ كما قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصّحة والفراغ»^(١)، ولكنّهم لا يعرفون قيمة هاتين النعمتين، ولا يؤدّون شكرهما.

ولكن أهم من فراغ الوقت: فراغ النّفس.

هؤلاء نفوسهم فارغة من القيمة الرفيعة، ليس لديها شيء يشغلها، ومن لم يشغل نفسه بالحقّ شغلته نفسه بالباطل.

ومن ترك نفسه فارغة، عَشَشَ فيها الشيطان!

النّفوس لا تترك فارغة، لا بدّ أن تُملأ بشيء، فإذا لم يكن هذا الشيء خيراً كان شرّاً، وإذا لم يكن هدى كان ضلالاً، وإذا لم يكن حقاً كان باطلاً.

دلّ هذا المسلك المنحرف على ضعف الدين، وضعف الخلق، وفراغ النّفس.

(١) رواه البخاري في الرفاق (٦٤١٢)، عن ابن عباس.



ضعف التربية الأسرية من الصّغر:

ودلل ذلك أيضًا على قلة الأدب، وسوء التوجيه، وعلى ضعف التربية عندنا: لو كان وراء هذا الفتى أب يشعر بمسؤوليته عنه، يرعاه ويحسن توجيهه، أب ربّاه وعلّمه منذ نعومة أظفاره على التدين، والتمسّك بقيم الدين، وغرس فيه حبّ الخير، وكراهية الشرّ، وزرع فيه الرغبة في الفضيلة والنفور من الرذيلة، وعلّمه أنَّ هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا حلال وهذا حرام، وعلّمه أنْ يصلِي منذ سبع سنين، وضربه أو هدده بالضرب على ترك الصلاة بعد عشر سنين.

لو كان هناك أسرة ترعاه، وتهتمُّ به وبتأديبه وتربيته، ما حدث مثل هذا.

هذا حصاد غرس سيء، هذه نتيجة لمقدّمات، المقدّمات لا بدَّ أنْ تأتي بنتائجها، من يزرع الشرّ لا يحصد إلَّا الشرّ، وكما قال العرب: إنك لا تجني من الشوك العنبر!

ضعف التربية في الصّغر، وضعف الرقابة في الكِبر، هو السبب في هذه الانحرافات، الّتي تبدأ صغيرة ثمَّ تكبر، محدودة ثُمَّ تنتشر.

هذه مسؤولية الأسرة: «كُلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»^(١).

للأسف ليس هناك اهتمام، هناك ضعف في الرقابة الأسرية، الولد يسهر إلى ما بعد منتصف الليل، أين يسهر؟ لا يعرف الأب شيئاً!

من أصدقاؤه؟ لا يعرف عنهم شيئاً!

(١) سبق تخرّجه ص ١٥٦.

وكثيراً ما تكون المصيبة من أصدقاء السوء، الذين هم شياطين الإنس، وقد يكونون شرّاً من شياطين الجن، يزيّنون له الغواية، ويزينون له الباطل والشرّ والفساد، صديق السوء - أو جليس السوء - مثله كمثل نافخ الكير، إن لم يحرقك بناره أصابك دخانه.

الأسرة في غفلة لا تراقب أولادها، ولا تراقب بناتها.

المفروض أن يوضع الهاتف في مكان في البيت يراه الجميع، حيث لا يختبئ أحد ويستخدمه حيث لا يعلم الآخرون.

لا بدّ من يقظة، لا بدّ من رقابة، هذه مسؤولية.

ليست مهمة الأب والأم أن ينجحا أولاداً (أبناء وبنات)، ثم يتركا حبلهم على غاربهم، ولا يدرّيا عنهم شيئاً.

لا، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَأَتِيهَا الَّذِينَ إِمْنُوا قُوَّاً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

كما أنك مسؤول أن تغذّي أولادك وتوفّر لهم الطعام والشراب واللباس، وفر لهم الأدب وحسن التربية، كما جاء في الحديث: «ما نحل ولدُ ولدَه أفضل من أدب حسن»^(١)، أفضل نحلة، وأفضل عطيّة، وأفضل هدية وهبة تهديها إلى ولدك: الأدب الحسن، يجلب لك الذكرى الحسنة في الدنيا وفي الآخرة.

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٧١٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذني في البر والصلة (١٩٥٢)، وقال: حديث غريب... وهذا عندي حديث مرسل. والحاكم في الأدب (٤/٢٦٣)، وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي: بل مرسل ضعيف. عن جد أيوب بن موسى.

أَمَّا سُوءُ الْأَدْبِ فَلَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ إِلَّا اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،
سِيَقُولُونَ: لَعْنَهُ اللَّهُ، وَلَعْنَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَلَمْ يُحْسِنْ تَرْبِيَتَهُ.
وَلَدُ السُّوءِ يَجْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ لَعْنَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

ضعف التربية المدرسية:

وليس ضعف التربية الأسرية هو المسؤول وحده، فهناك لا شكَّ
خلل وقصور في التربية المدرسية.

المدرسة لم تُعدْ تقوم بدورها المنشود في حسن توجيه الأولاد إلى
الخير، وتنشئهم على الفضائل، وكأنَّما أصبحت مجرد مكان يلتقي فيه
الأولاد؛ لنخشى رؤوسهم بعض المعلومات؛ ليفرغوها عند الامتحانات
على الأوراق، دون أن يكون لما تعلَّموه أثر يُذكر في تنقيف عقولهم، أو
تهذيب نفوسهم، أو ترقية سلوكهم.

لقد فقدوا في أكثر الأحيان «المعلم القدوة» الذي يربِّي التلاميذ
بحاله أكثر مما يربِّيهم بمقاله، ويؤثِّر فيهم بسلوكه وحبِّه وعواطفه وحسن
تعامله معهم، وأبوَّته لهم وغيرته عليهم، أكثر مما يؤدِّبهم بالقيل والقال.

ضعف الرقابة الاجتماعية:

وبجوار ضعف الرقابة الأسرية، هناك ضعف الرقابة الاجتماعية؛
فالرأي العام في الإسلام مسؤول.

الإسلام جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل المجتمع
مسؤولًا بعضه عن بعض: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

بجوار الضمير الفردي لا بد من ضمير اجتماعي يقظ، يعرف المعروف وينكر المنكر، فإذا وجد منكر شاع بين الناس؛ لا بد أن يتدخل الرأي العام.

أمّا أن يقول كل إنسان: ما شأني؟!

ويرى أمامه الفساد ويغضّ طرفه عنه، ويُسكت عليه، والساكت عن الحق كالناطق في الباطل، إنّه شيطان أخرس.

كيف تدع المنكر أمامك ولا تتكلم؟!

هؤلاء الذين يفعلون ما يفعلون في الطرق، لماذا لا ينكر عليهم الناس؟ لماذا لا يكون الناس أشدّاء عليهم في الحق؟

لو وجد هؤلاء أنّ هناك من يغضب للحرمات إذا انتهكت، وأنّ الناس لا يُسكتون على ذلك، ما اجترأ أحدهم أن يفعل ما يفعل.

ولكن الناس سلبيون، كلّ يقول: نفسي نفسي!

لا، لا يجوز هذا في مجتمع مسلم يتواصى بالحق، ويتواصى بالصبر.

المجتمع المسلم مسؤول عمّا يجري فيه، هناك مسؤولية فردية ولا شكّ، ولكن بجوارها توجد مسؤولية اجتماعية: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الأنفال: ٢٥] حينما تنزل النّقمة تأخذ الجميع: الذين فعلوا المنكر، والذين سكتوا عليه.

لا بد أن تقوى الرقابة الاجتماعية.



مسؤولية الفتيات في زيهن وحركاتهن:

هناك أمر لا بد أن نشير إليه هنا:

هو أنَّ كثيراً من النساء والفتيات اللاتي يظهرن في الطرقات والمجامع والأسواق، يكن على مظهر يغري بالمعاكسة.

المرأة المحشمة، والفتاة الملزمة، التي تلتزم أدب الإسلام في زيهها ولباسها، في مشيتها وحركاتها، في كلامها إذا تكلمت، في نظرتها إذا نظرت، في مشيتها إذا مشت، في حركتها إذا تحركت، هذه لا يمكن أن يطمع فيها طامع، ولذلك يقول القرآن: ﴿فَلَا تَخْضُعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

الخضوع بالقول هو التكسير والتميع، وتعتمد الإغراء للرجل بطريقة الكلام.

ومثله الخضوع بالفعل: أن تمشي متثنية متكسرة.

ومثله الإغراء باللباس والزي: أن تلبس الملابس الرقيقة الشفافة، أو الملابس المحددة لمفاتن الجسم، وأن تتعتمد إظهار شيء مما يجب ستره من جسمها.

كل هذا إغراء لأولئك المفسدين، وقد قال القرآن: ﴿وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [الثور: ٣١].

إنَّها حركة بالأرجل؛ للفت الأنظار، وجذب الانتباه، وهذا لا يجوز من مسلمة تخاف الله.

إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا النِّسَاءُ قُلْ لَا زَوْجِكَ وَبَنَائِكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَانِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

إذا احتشمَت المرأة ولبست لباسها الشرعي، عرفت بأنّها امرأة وقور، أو فتاة ملتزمة، فلا يؤذيها أحد.

إنَّ كثيَراً من الفتيات يجِرُّنَ الَّذين في قلوبهم مرض - مرض الشهوة، ومرض الغريزة الجنسية - على أنْ يسيراً خلفهن، ويطاردوهن بالكلمات وبالحركات.

مسؤولية الإعلام:

وهناك مسؤولية أجهزة الإعلام، التي تدغدغ العواطف، وتثير الغرائز، بهذا السيل المتدافق من الأفلام والمسلسلات، والصور والأغاني، وغير ذلك من المثيرات، والشهوة الجنسية غريزة عاتية، حتَّى إنَّ بعض علماء النفس فسَرَ بها السلوك البشري كُله، واعتبرها أعتى غريزة في الإنسان، فهي ليست في حاجة إلى إثارة.

فكيف إذا كانت هناك المثيرات بالصورة والكلمة، وبالنغم والموسيقى، وبالتشويق، وبالقصص وبالدراما والمسلسلات؟! هذا كُله يشحن هؤلاء الشَّباب، ويعيئهم ويلهיהם، ولا بدَّ أن يظهر ذلك في سلوكِ ما.

تعاون المؤسسات كُلُّها:

الكلُّ إذن مسؤول، ولا بدَّ أن يتعاون الجميع على مقاومة هذه الظاهرة السلبية: الأسرة، والمجتمع، والدولة، وأجهزة الإعلام، وأجهزة رعاية الشَّباب، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، كلُّ هذه يجب أن تتعاون لهذه الرعاية.



لا يجوز أن يبني بعضها، ويهدم البعض الآخر؛ لأنَّه لن نصل في هذه الحالة إلى نتيجة، وكان الأمر كما قال الشاعر:

متى يبلغ البُنيانُ يومًا تمامهِ
إذا كنت تبنيهِ وغيرك يهدمُ^(١)؟!
وخصوصاً أنَّ الهدم أسهل من البناء.

الشاعر قديماً قال:

فلو ألف بانٍ خلفهم هادمٌ كفى
فكيف بيانٍ خلفه ألفٌ هادمٌ^(٢)!
هَدَام واحد يكفي أنْ يهدم ما بناه ألف شخص، وخصوصاً في عصرنا؛ لأنَّ الهدم لم يعد بالفأس، إنَّما هو بالألغام، لغم واحد يهدم عمارة ضخمة وينسفها نسفاً في لحظات.

وهذا كما يقال في الماديات يقال في المعنويات، أجهزة جبارات تستطيع أن تهدم وتتنفس.

لهذا ينبغي أنْ يتعاون الجميع على صدِّ هذه التيارات الدخيلة على مجتمعاتنا، التي لا تتناسب مع أخلاقنا، ولا مع ديننا، ولا مع موارينا، ولا مع تقاليدنا.

ويجب أنْ يعاقب كلُّ من يثبت عليه العبث والانحراف؛ فإنَّ من أمن العقوبة أساء الأدب.

ضرورة الرقابة والعقاب:

ينبغي أن تكون هناك شرطة في الأسواق، وفي بعض الأماكن؛

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣).

(٢) من شعر عبد الله بن الرية المالقي. انظر: مطالع الأنوار ونزهة الأبصار (٢٢٩/١)، تحقيق عبد الله المرابط، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

لتمسك بتلابيب من صنع مثل هذا الصنيع، ثم يأخذ جزاءه، أياً كان وضعه في المجتمع.

إن كان طالباً في المدرسة فصلته وزارة التربية والتعليم، وإن كان طالباً في الجامعة فصلته الجامعة، وألقي في الطريق؛ لأنَّ مثله لا يصلح أن يكون جامعياً، إذا كان في وظيفة أخرى من وظيفته وعزل عنها.

لا بدَّ من العقاب؛ العقوبة شرعيَّة الله تعالى، سُنَّة الله في الدُّنيا والآخرة أن يُثاب المحسن، وأن يُعاقب المسيء، فلا بدَّ من العقاب، وإنْ فإنَّ مَنْ أَمِنَ العقاب أساء الأدب.

يا أيُّها الإخوة، إنا ورثة خير المجتمعات: مجتمع رسول الله ﷺ، ومجتمع الصحابة، ومجتمع التابعين، وخير القرون.

الأمَّةُ الَّتِي فتحت العالم بالعدل والإحسان، والعلم والإيمان، والفضائل والأخلاق، هذه الأمَّةُ لا يجوز أن ندع العابثين يعيشون بها، ويضيئوا مقدراتها. وإنَّما ينبغي أن نحرص عليها بالتربيَّة، بالرعاية، بحسن التوجيه، بالعقوبة عند اللزوم.

حينما نفعل ذلك نصون أبناءنا وبناتنا، نصون شبابنا، ونصون مجتمعاتنا، ونصون هذه الثروة الحقيقية.

وإلا بدَّدنا ثروتنا، وحُكِّم علينا بما يُحَكَّم على السُّفهاء، الذين يبددون الثروات.

نَسْأَلُ الله تعالى أنْ يفقِّهنا في ديننا، وأنْ يعلَّمنا ما ينفعنا بما علَّمنا إِنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر لله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فیا أيّها الإخوة المسلمين:

منذ أسبوعين حدثت بعض التصرّفات السخيفة من بعض الصبية
الذين يحضرون المسجد، ولا أدری كيف يتركهم آباءهم يرتكبون مثل
هذا؟

لقد شكا إلى عدد من الإخوة ما يحدث في المسجد من الصبيان
الذين يحضرون، وكأنّما يحضرون للعبث واللعب، وبعضهم ليس
صغيراً، ليس في سن الخامسة، ولا في سن السادسة، ولا في سن
السابعة، بل بعضهم أكبر من ذلك.

منذ أسبوعين فعل هؤلاء الصبية أفعالاً تسيء إلى هذا المسجد،
وتسيء إلى هذا البلد، وتسيء إلينا جميعاً، ذهبوا إلى الكاميرا أثناء
الصلاه، وبدؤوا يفعلون أشياء غريبة جدّاً: يخرجون أسلتهم، ويُظهرون
حركات حمقاء!

وظلّوا يفعلون ذلك إلى ما بعد أن انتهت الركعة الأولى، وظهر هذا
في التليفزيون وفي أماكن شتى، وهذا أمر لا يليق فقط.

هؤلاء لا بد أنّ لهم آباء هنا، وصورهم موجودة ومجلّة، ويمكن
معرفتهم.

وهؤلاء ليسوا أطفالاً، بعضهم عمره اثنتا عشرة أو ثلث عشرة سنة!
كيف يحدث هذا؟!

هذا دليل - كما قلت لكم - على أن الرقابة الأسرية ضعيفة، وأن التربية ضعيفة، فلا بد من عناية بأولادنا.

هؤلاء قطعاً إذا كانوا يفعلون ذلك في المسجد، بعد أن يكبروا سيفعلون في الشوارع ما يفعل الآخرون الذين تحدثنا عنهم في الخطبة الأولى، فمعظم النّار من مُستصغر الشرر، والألف تجر إلى الباء، والصغير يدفع إلى الكبير.

لا يجوز استحقار مثل هذه الأعمال، لا بد أن نقف لها بالمرصاد، ولا بد أن نؤدب أولادنا، ونلزّمهم بمحاسن الأخلاق وفضائل الصفات، فمن شَبَّ على شيء شاب عليه.

إنّها مسؤولية أيها الإخوة، فلنرجع الله، ولنراقب الله في هذه المسؤولية، وإنّا محاسبون ومسؤولون في الدنيا والآخرة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهم أكِرّمنا ولا تُهانّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عننا وأرضنا.

اللهم طهّر أقوالنا من اللغو، وطهّر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا من الضعف، وطهّر قلوبنا من الغشّ، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وطهّر أعيننا من الخيانة، وطهّر أعمالنا من الرياء.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلّ من ذلك.

اللهم احفظ شبابنا بالإسلام، واحفظ شبابنا للإسلام، وقهم الفتنة:
ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اجعل شبابنا هذا شباباً خيراً طيباً مباركاً فيه.

اللهم اعصمهم من فتن هذا الزمان.

اللهم أعننا على حسن توجيههم وتربيتهم.

الله اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائل بلاد الإسلام.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عبد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى الْتَّيْمِيِّ يَأْيَاهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاتٍ عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنکبوت: ٤٥].

* * *

وصايا للشباب المسلم المغترب

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

نحن الآن في مؤتمر الشباب^(١)، مع الشباب المسلم، والشباب مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما قال تعالى: ﴿أَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرّوم: ٥٤].

الشباب مرحلة القوّة، مرحلة الحيوية الدافقة، ولهذا كانت المسؤولية عن هذه المرحلة أكبر، وكان كُلُّ إنسان يُسأل يوم القيمة أسئلة أربعة رئيسية، يُسأل منها سؤالين عن عمره عامّة، وعن شبابه خاصة: «لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفاده، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيه أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(٢).

(١) عُقد هذا المؤتمر في إحدى الملتقيات السنوية، لرابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا.

(٢) سبق تخرجه ص ٢١٣.

الشَّباب هم حملة الدعوات الربانية:

ومن هنا كان الشباب حملة الدعوات دائماً، وحملة راية الرسالات.

كان أتباع موسى ذرية من قومه نابتة ناشئة: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرْيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ، عَلَىٰ حَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِئَنِهِمْ أَنْ يَقْتَنِهِمْ﴾ [يوسوس: ٨٣].

كان أصحاب الكهف - الذين خلد الله ذكرهم في أعظم كتبه - فتية: ﴿تَحْنُنُ نَّقْصُ عَيْنَكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ أَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

كان إبراهيم عليه السلام حينما عزم على أن يحطّم الأصنام بفأسه فتى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَيَّا يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنباء: ٦٠].

وقال ابن عباس معقباً على هذه الآية: ما بعث اللهنبياً إلا شاباً، ولا أöttى العلم عالم إلا وهو شاب^(١).

كان إسماعيل فتى غلاماً حينما سلم رقبته لله، حين عرض عليه أبوه أن يذبحه امتثالاً لأمر الله: ﴿قَالَ يَتَبَّعِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ ﴿قَالَ يَتَبَّعِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمِنُ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

كان يوسف فتى شاباً حين تعرض للمحن من كل نوع، وأشدّها خطراً: تلك الفتنة التي كانت تصاحبه وتماسيه، وتراروهه وتغاديه، فتنة الشهوة، فتنة المرأة التي عرضت نفسها عليه، ولم تكتف بالتلبيح عن التصرّح، وهيأت الأسباب: ﴿وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَةُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحَسَنَ مَثَوَّاً إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وهددته المرأة أمّام نسوة المدينة: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُمْنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدَنِي عَنْ نَفْسِي فَأَسْتَعْصِمُ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيُسْجِنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

(١) سبق تخرجه ص ٢٢٤.

وكان يوسف عليه السلام بين محنتين: محبة في دنياه، ومحنة في دينه.

محنة في دنياه: أنْ يُسْجَنَ، ويكون من الصاغرين، كما هدّدت المرأة التي تملك أنْ تنفّذ، وأنْ تؤثّر في السلطات.

ومحنّة في دينه: أن يزني، ويكون من الفاسقين.

وآخر الشاب المؤمن يوسف بن يعقوب عليهما السلام محبة الدنيا على محنّة الدين، كما علّمنا الرسول أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا»^(١)، آخر أنْ يُسْجَنَ، وناجي ربه قائلاً: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

كان أصحاب رسول الله عليهما السلام شباباً، أكبرهم كان أبو بكر الصديق، وكان في الثامنة والثلاثين حينما دخل الإسلام، وكان فيهم من دون العاشرة مثل: علي بن أبي طالب.

كانوا شباباً، هم الذين نصروا الإسلام، وناصروا رسول الله عليهما السلام، ووقفوا بجواره، ضد أولئك الشيوخ الذين أبوا إلا أنْ يسيراً على ما سار عليه آباءهم وقالوا: ﴿إِنَا وَجَدْنَا إِمَامَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى إِيمَانِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

الشباب المسلم في أمريكا:

ولا عجب إذن أن نجد الذين يحملون رسالة الإسلام اليوم جلّهم من الشباب.

(١) رواه الترمذى في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنمسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٣٤)، وحسنه الألبانى في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.

ولا عجب أن نجتمع اليوم مع الشّباب في هذا البلد، أن نعيش في يومٍ من أيام الله، في يومٍ من أيام الإسلام، أن نعيش مع الشّباب المسلم، وأين؟ في قلب أمريكا!

أن نعيش مع هذه الأصوات المرتفعة بالتكبير، مع هذه الألسنة الرطبة بذكر الله، مع هذه القلوب العامرة بحب الله وبخشية الله، أن تقام الصّلوات، أن يُتلى كتاب الله تعالى في قلب هذه البلاد.

من هيأ ذلك؟

إنه الشّباب المؤمن، إنه الشّباب الذي حمل الدّعوة الإسلامية منذ نصف قرن من الزّمان.

كانت الخطط مهيئة على أن يصهر هذا الشّباب صهراً في بوتقة الكفر، وأنْ يُغرَب تماماً عن دينه وعن قومه، وأنْ يُبعد عن الإسلام: يُغَرِّب فكره، ويُغَرِّب سلوكه، ويُغَرِّب اعتقاده، وتُغَرِّب عاداته، ويعيش في أمته باسم شرقي أو عربي أو إسلامي، ولكن بعقل غير عقل المسلم، وبقلب غير قلب المسلم.

هكذا أرادوا.

ولكن الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هيأ لدینه وهیأ لرسالته وهیأ لدعوته شباباً يحملون هذه الدّعوة، وأصابهم ما أصابهم في بلاد شتى، وفي محن متلاحقة، اختلطت فيها السياط باللحوم والدماء، وصنعت الكرابيج ما صنعت في الظّهور، وكُويت الأبدان بالنّار، ومع هذا ظلّ هذا الشّباب مؤمناً.

وجاء رصيد آخر وأجيال آخر، تحمل رسالة الإسلام، لم يُخفها ما نزل بإخوان لها من قبل، لم تُرهبها السّيّاط ولا الحديد ولا النّار، وقام المجاهدون في كلّ مكان من الشّباب، ومنهم هذا الشّباب الّذى يعمل لدّينه، في بلادٍ غير البلاد الّتي نشأ فيها الإسلام، وقام فيها الإسلام.

وكان من فضل الله ونعمته أن وجدنا الشّباب المسلم في ديار الغرب - وفي ديار الشرق - أيضًا؛ فقد وجدت هذا الشّباب في الشرق الأقصى كما وجدتهم في الغرب الأقصى.

ووجدت هؤلاء الربّانيين الصّوامين القوّامين، صوّام الخميس والاثنين، قراء القرآن، قوّام الليل والمستغفرين بالأحس哈尔.

رأيت هؤلاء الربّانيين المصريين على أنْ يعيشوا بالإسلام، وعلى أنْ يعيشوا للإسلام، أو يموتو في سبيله.

إنَّ الإسلام، إنَّه خلود هذا الدين، إنَّها معجزة مُحَمَّد صلوات الله عليه وآله وسليمه، المعجزة الخالدة الباقيَة: أنْ يظلَّ لهذا الدين مَنْ يحرسه، ومن يحمله فكرة واضحة في الرؤوس، وعقيدة راسخة في القلوب، وخلقاً فاضلاً في الناس وعملاً صالحًا في الحياة، ورسالة تنادي الدُّنيا كلَّها: أن اخرجي من الظلمات إلى النُّور، وراء مُحَمَّد صلوات الله عليه وآله وسليمه.

مسؤوليات المسلم المفترض:

يا أيُّها الشّباب: عليكم في هذه الديار عدة مسؤوليات:

١ - المحافظة على الشخصية المسلمة:

أول مسؤولية وأول واجب عليكم: أنْ تظلُّوا محافظين على شخصيَّتكم المسلمة.



حافظ أیّها المسلم المغترب على شخصیتك الإسلامية، إیاك أن تنما أو تذوب في هذا المجتمع؛ فتفقد نفسك وتخسر ذاتك.

وما قيمة أنْ تکسب درجة علمية، وتخسر الدرجات العُلیٰ عند الله تعالى؟!

ما قيمة أنْ تکسب شهادة و تخسر الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أنَّ محمداً رسول الله؟!

ما قيمة أنْ تجمع الدنيا و تخسر دينك، كما فعل بعض الناس هنا في هذه البلاد وفي غيرها: جمعوا أموالاً، وخسروا أنفسهم والعياذ بالله؟!
ما قيمة هذا كله؟

لا قيمة لهذا إذا لم تحفظ بشخصیتك الإسلامية: مصليًّا، مزكيًّا، صائمًا، ممتنعًا عن المحرمات، غيورًا على حدود الله، حريصًا على دينك حيثما كنت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].
إنَّ الله يُعبد في كلِّ مكان «اتقِ الله حيثما كنت»^(١).

هذه وصية رسول الله ﷺ لك أیّها المسلم حيثما كنت: في الشرق أو في الغرب، كنت في أمريكا أو في أوربا، كنت في اليابان أو في روسيا، كنت في إفريقيا أو أستراليا.

في أيِّ مكان اتقِ الله، عِش بإسلامك، احتفظ بإسلامك.

هذه هي المسؤلية الأولى، هذا هو واجبك أیّها المسلم، تعيش بالإسلام معتزاً به شامخاً بأنفك، رافعاً رأسك بأنَّ الله أكرمك بالإسلام.

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والترمذى في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

إِيَّاكَ أَنْ تتوارى لَأْنَكَ مُسْلِمٌ.

لَا، إِنَّكَ وَحْدَكَ الَّذِي تَحْمِلُ رِسَالَةَ الْخَلْوَدِ، وَتَحْمِلُ هَدَايَةَ الْوِجْدَوْدِ.
إِنَّكَ وَحْدَكَ الَّذِي تَمْلِكُ الْوَثِيقَةَ السَّمَاوِيَّةَ الْفَذَّةَ، الْوَحِيدَةَ الَّتِي لَمْ
يَعْتَرِهَا تَحْرِيفٌ أَوْ تَبْدِيلٌ، تَمْلِكُ «الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ».

إِنَّكَ وَحْدَكَ الَّذِي تَمْلِكُ الْمَنْهَاجَ الْمُتَوازِنَ، الَّذِي لَا يُسَعِ الدُّنْيَا غَيْرَهُ،
تَمْلِكُ الْإِسْلَامَ الَّذِي يَجْمِعُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيُوفِّقُ بَيْنَ الْعُقْلِ
وَالْقَلْبِ، وَيَمْرِجُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْمَادَّةِ، وَيَرْبِطُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ،
وَيَؤْخِي بَيْنَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَيَوَازِنُ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْمَجَمُوعِ.

إِنَّهُ الْمَنْهَاجُ الْوَسْطُ لِلْأَمَّةِ الْوَسْطِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِئَكُونُوكُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢ - المحافظة على الذرية والأسرة:

وَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ أَنْ تَحْفَظَ بِشَخْصِيَّتِكَ الْمُسْلِمَةَ لِنَفْسِكَ فَقَطْ؛ بَلْ
لِأَهْلِكَ إِنْ كُنْتَ مَتَزوجًا، حَافِظْ عَلَى إِسْلَامِ زَوْجِكَ، وَحَافِظْ عَلَى
شَخْصِيَّةِ أَوْلَادِكَ، وَعَلَى إِسْلَامِ أَوْلَادِكَ إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ أَوْلَادٍ.

إِيَّاكَ أَنْ تَدْعُ أَوْلَادَكَ يَذُوبُونَ فِي الْمَجَمُوعِ كَمَا يَذُوبُ الْجَلِيدُ تَحْتَ
أَشْعَةِ الشَّمْسِ؛ يَقُولُ رَبُّنَا تَعَالَى: ﴿يَأَتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوَّا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَقُوَّدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].

وَلَقَدْ قَلْتُ لِبَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ قَالُوا: نَحْنُ هُنَّا لَا نُسْتَطِعُ أَنْ نُعيِّشَ
بِالْإِسْلَامِ، وَلَا أَنْ نَرْبِي أَوْلَادَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، قَلْتُ: إِذْنُ فَعُودُوا مِنْ حِيثِ
جَئْتُمْ، ابْدُؤُو رَحْلَةَ الْعُودَةِ مِنَ الْغَدِ، أَوْ مِنَ الْيَوْمِ، وَلَا تَبْقُوا فِي مَكَانٍ
لَا تُسْتَطِعُونَ أَنْ تَقُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ فِيهِ مِنَ النَّارِ.

عليکم أن تحفظوا بشخصیتکم الإسلامية معتزین بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحَسَنَ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، أي: قالها مغالياً مفاخرًا معتزاً أنه من المسلمين.

إنه لا يفتخر بأنه عربي أو عجمي، وإنما يفتخر بهذه النسبة: إنه من المسلمين.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخرروا بقياس أو تميم^(١)

٣ - الدعوة إلى الإسلام:

ثم عليك أيها الأخ المسلم، أيها الشاب المسلم المغترب، أن تدعوا إلى الإسلام في هذه الديار، أن تعيش داعية لهذا الدين.

لا تظن أن الدعوة إلى الإسلام مقصورة على المشايخ أو العلماء أو أهل الفكر أو المحاضرين.

لا، كل مسلم داعية لدینه، كل مسلم مخاطب بقول الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمُحَسَّنَةِ وَجَنِدْلُهُمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

كل من اتبع رسول الله ﷺ هو من أهل الدعوة؛ فالله تعالى يخاطب رسوله بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُу إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فإذا كنت من أتباع محمد ﷺ فلا بد أن تدعوا إلى الله، وتدعوا إليه على بصيرة.

(١) قول نهار بن توسيع اليشكري، انظر: الكامل في الأدب (١٣٣/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

وكلّ يدعوا على قدر طاقته: هناك من يدعوا بتأليف كتاب، وهناك من يدعوا بإلقاء محاضرة، وهناك من يدعوا بخطبة، وهناك من يدعوا بالكلمة الطيبة، ومن يدعوا بالأسوة الحسنة، ومن يدعوا بزيارة لصاحبها.

كلّ مسلم يدعو كيف استطاع، المهم أنْ يحمل روح الداعية، أنْ يعرف أنَّه مسؤول عن تبليغ رسالة الإسلام تأسِّيًا برسوله الكريم ﷺ **الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** [المائدة: ٦٧].

عارٌ علينا أيها المسلمون: أنْ يوجد لكلّ فلسفة من الفلسفات، ولكلّ دين من الأديان، ولكلّ مذهب من المذاهب، دُعاة وأنصار وأتباع ومحماة، يحاولون أن ينشروه وأن يتبنّوه، وأن تعلو كلمته، ولا يجد الإسلام من بين أبنائه من يحميه وينصره ويبلغه للناس، لا، لا يجوز هذا يا مسلمون.

قرأت فيما قرأت: أنَّ رجلاً درس الإسلام وقرأه؛ فقال هذه الكلمة:
يا له من دين لو كان له رجال!

انظروا: مع أنَّ للإسلام أمَّة تنتسب إليه، وتحسب عليه، تقدّر بأكثر من مليار من البشر «ألف مليون»، ولكن أكثر هؤلاء لا يُعدُّون رجالاً للإسلام.
يقلون الأرض من كثتهم ثم لا يغنوون في أمر جلل!^(٢)

كثرة كما سماها النبي ﷺ : «كغثاء السيل»^(٣).

(١) رواه أبو بكر الدينوري في المجلسة (٨٥٢)، من مقوله إبراهيم بن أدهم، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر جمعية التربية الإسلامية، البحرين، ١٤١٩هـ.

(٢) البيت لمحمد فريد أبو حديد ترجمه عن هرقية جورج البيسيدي، انظر تعريفه لكتاب فتح العرب لمصر لألفرد ج. بتلر هامش ٣ ص ١٥٩، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

نَحْنُ لَا نَرِيدُ هَذِهِ الْكُثْرَةِ الْغَثَائِيَّةِ، وَإِنَّمَا نَرِيدُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَذَرُوا
أَنفُسَهُمْ لِلإِسْلَامِ، وَلِلْدُعْوَةِ إِلَيْهِ.

إِنَّ الشَّاعِرَ قَدِيمًا نَظَرَ إِلَى الْمَلَائِينَ مِنْ حَوْلِهِ، مِنْ سُوَادِ النَّاسِ، وَمِنْ
الْجَمَاهِيرِ الْغَافِلَةِ، فَقَالَ:

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقْلَهُمْ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقْلِ فَنَدَا!
إِنِّي لَا فَتُحُّ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا
عَلَى كَثِيرٍ، وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا^(١)!

شَخْوَصٌ، أَجْسَامٌ بَلَا أَحْلَامٍ، أَشْبَاحٌ بَلَا أَرْوَاحٍ، خُشُبٌ مُسَنَّدٌ!

تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ، وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ!

هُؤُلَاءِ لَيْسُوا هُمُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ الإِسْلَامَ.

إِنَّا نَرِيدُ لِلإِسْلَامِ رِجَالًا مِنْ أَمْثَالِ الصَّحَابَةِ، نَرِيدُ صَحَابَةً جُدُدًا،
يَحْمِلُونَ يَقِينَ الصَّحَابَةِ، وَرُوحَ الصَّحَابَةِ، وَعِزَائِمَ الصَّحَابَةِ، وَفَضَائِلَ
الصَّحَابَةِ.

وَمَنْ الصَّحَابَةُ؟

إِنَّهُمْ أَنَاسٌ مَثَلُنَا.

فَرَقٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَنَّهُمْ نَشَرُوا فِي شِرَكٍ وَجَاهِلِيَّةٍ صَرِيقَةٍ، وَنَحْنُ
نَشَأْنَا فِي مَجَامِعَ إِسْلَامِيَّةٍ.

فَعَلِيْنَا إِذْنَ أَنْ نَحْذُو حَذُوْهُمْ، وَأَنْ نَكُونَ مَثَلَهُمْ، وَأَنْ نَنْصُرَ الإِسْلَامَ
مِنْ جَدِيدٍ، وَلَعَلَّنَا يَكُونُ لَنَا مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مَمَّا لَكَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّ
لَمْ نَسْعَدْ بِرَوْءِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَعَدُوا بِهَا، وَلَعَلَّ هَذَا يَجْعَلُ لَنَا مَزِيْةً.

(١) مِنْ شِعْرِ دَعْبَلَ بْنِ عَلَيِّ الْخَزَاعِيِّ. انْظُرْ: الْعَقدُ الْفَرِيدُ (١٥٢/٢).

وقد جاء أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج يوماً على جماعة من أصحابه فقال: «أَيُّ
الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟». قالوا: الملائكة.

قال: «وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟!». قالوا: فالنبيون.

قال: «وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَنْزَلُ عَلَيْهِمْ؟!».

ثم قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِيمَانًا لِّقَوْمٍ يَكُونُونَ
مِنْ بَعْدِكُمْ، يَجِدُونَ صَحْفًا فِيهَا كِتَابٌ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا»^(١).

وفي حديث آخر: يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك
وجاهدنا معك. قال: «نعم، قوم يكونون من بعديكم، يؤمنون بي ولم
يروني»^(٢).

إِنَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَقْبِضُ عَلَى دِينِهِ كَمَا يَقْبِضُ عَلَى الْجَمَرِ فِي هَذَا
الزَّمَانِ - الَّذِي يُضْطَهَدُ فِيهِ الْإِسْلَامُ حَتَّى فِي دِيَارِهِ وَيُعِيشَ غَرِيبًا حَتَّى فِي
أَوْطَانِهِ - وَيَسْتَمْسِكُ بِهِ، وَيَغْالِي بِهِ، وَيَعْالَمُ بِهِ قَائِلًا: إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
إِنَّ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

(١) رواه الحسن بن عرفة في جزئه (١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٨/٦)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث صـ ٣٢. وقال ابن كثير في تفسيره (١٦٧/١): قال أبو حاتم الرازمي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث.

قلت (ابن كثير): ولكن قد روی أبو يعلى في مسنده (١٦٠)، وابن مردویه في تفسيره، والحاکم في مستدرکه (٨٥/٤)، من حديث محمد بن أبي حميد، وفيه ضعف، عن زید بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ، بمثله أو نحوه. وقال الحاکم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد روی نحوه عن أنس بن مالک مرفوعاً. رواه البزار (٧٢٩٤)، وقال: غريب من حديث أنس.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٧٦)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والبخاري في خلق أفعال العباد صـ ٨٨.
وابن أبي عاصم في الأحاديث والمثنوي (٢١٣٦)، والطبراني (٢٣/٤)، عن أبي جمعة حبيب بن سباع.

إِنَّ عَلَيْكَ - أَيُّهَا الشَّابُ الْمُسْلِمُ - أَن تَحْفَظَ بِشَخْصِيَّتِكَ، وَشَخْصِيَّةَ أَسْرَتِكَ، وَلَا يَكْفِيُ هَذَا، بَلْ لَا بَدَّ أَن تَحْمِلَ الدُّعَوَةَ.

شعار المسلم: «أَصْلِحْ نَفْسَكَ وَادْعُ غَيْرَكَ»، لَا يَكْفِيُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَعْمَلْ صَالِحًا وَيَتَرَكَ الدُّعَوَةَ إِلَى اللَّهِ، إِنَّهُ لَنْ يَكُونَ مِنَ النَّاجِينَ مِنْ خَسْرَانِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا بِشُرُوطٍ أَرْبَعَةَ ذَكَرْتُهَا سُورَةُ «الْعَصْر»:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ﴾ [الْعَصْر: ١ - ٣].

وَالتَّوَاصِيُّ بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِيُّ بِالصَّابَرِ مُعْنَاهُ: أَنْ تَجْنُّدْ نَفْسَكَ لِلْحَقِّ، تَوَصِيُّ بِهِ، وَتَسْمَعُ الْوَصِيَّةَ مِنْ غَيْرِكَ بِهِ، وَتَصْبِرُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَمَا فِيهِ مِنْ مَشَاقٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ نَفْسٍ طَوِيلٍ.

هَذِهِ هِيَ شُرُوطُ النَّجَاهَةِ مِنْ خُسْرِ الدُّنْيَا وَخُسْرِ الْآخِرَةِ.

لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ دَاعِيَةً لِلإِسْلَامِ، لَا يَجُوزُ يَا أَخِي أَنْ تَرَى لِلْيَهُودِيَّةَ دُعَاتَهَا وَرِجَالَهَا، الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَقِيمُوا لَهَا دُولَةً فِي قَلْبِ دِيَارِنَا، وَشُوكَةً فِي جُنُوبِنَا، وَلَا يَجُوزُ يَا أَخِي أَنْ تَرَى لِلنَّصَارَى دُعَاتَهَا وَمُبَشِّرِيَّهَا؛ بَلْ وَمُبَشِّرَاتَهَا، يَذْهَبُونَ مِنْ هَذِهِ الْبَلَادِ وَمِنْ أُورَبَا، إِلَى أَدْغَالِ آسِيا وَإِفْرِيقِيَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَرَى لِلشَّيْوِيَّةِ مِنْ يَسْتَعْذِبُ العَذَابَ وَيَدْخُلُ السَّجْنَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْكُفْرِ وَالْبَاطِلِ، وَلَا يَوْجَدُ لِلإِسْلَامِ مَنْ يَعْمَلُ لَهِ وَمَنْ يَدْعُو إِلَيْهِ؛ لَأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَرِيدُ أَنْ يَعِيشَ لِنَفْسِهِ، يَرِيدُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى «الْبَكَالُورِيُّوسَ»، وَبَعْدِ الْبَكَالُورِيُّوسَ يَحْصُلُ عَلَى «الْمَاجِسْتِيرَ»، وَبَعْدِ الْمَاجِسْتِيرَ يَحْصُلُ عَلَى «الدَّكْتُورَاهُ»، وَبَعْدِ الدَّكْتُورَاهُ يَحْصُلُ عَلَى وَظِيفَةَ كَبِيرَةَ، وَبَعْدِهِ، وَبَعْدِهِ، ثُمَّ مَاذَا؟

ما قيمة هذا إذا كانت نهايتك إلى النار والعياذ بالله؟

ما قيمة هذا إذا ضاع دينك؟

أنا لا أريد أن توقف - أيها الشاب - عن تحصيل العلم؛ فإن تحصيل كل علم نافع عبادة وجهاد.

لكنني أقول لك يا أيها الشاب المسلم: عليك أن تحمل الإسلام، عليك أن تحمل هذا الدين، هذه الرسالة، وأن تدعوا لها، وأن تعيش لها، وأن تسعد بحملها، وتشعر بأنك من قادة الخير، وحملة المشاكل الربانية، وأن تجد لهذا لذة لا تدانيها لذة، وسعادة لا تدانيها سعادة، سعادة قال عنها قديماً بعض السلف: إننا نعيش في سعادة، لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف^(١)! إنها سعادة الإيمان، سعادة القلوب، سعادة الأرواح بما عند الله تعالى.

٤ - الاهتمام بأمر المسلمين:

ثم عليك يا أخي - وأنت تعيش في هذه البلاد - ألا تكون في عزلة عن إخوانك المسلمين في كل بلاد الإسلام، عليك أن تصل ما بينك وبينهم، أن تعيش في همهم، أن تعيش في قضياتهم، فـ«من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(٢).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأين أخوة الإسلام، وأين رابطة الإيمان إذا عاش كل منا لنفسه؟

لقد أراد الاستعمار الصليبي والشيوعي أن يمزقوا الأمة الإسلامية

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٠/٧)، من قول إبراهيم بن أدهم.

(٢) سبق تخرجه ص ٨٦.

تمزيقاً، وأن يقطعوها إرباً إرباً، فلا يحسُّ بعضها ببعض، ولا يألم بعضها البعض، وأن يشيروا النّعرات القومية والوطنية بحيث يقول كلُّ واحد: وطني وطني، أو: قوميتي قوميتي، مصر للمصريين، سوريا للسوريين، هناك من ينادي بالقومية العربية، ومن ينادي بالقومية الطورانية، ومن ينادي بال القومية الهندية إلخ.

لا، قومية المسلم هي الإسلام، الإسلام هو الجامع بين المسلمين. المسلمين أمّة، لم يسمّهم الله «أمّا»، فلا يجوز أن تقول: «أمّ إسلامية»، هي شعوب إسلامية، ولكن أمّة إسلامية.

أمّتنا أمّة واحدة، قبلتها واحدة، كتابها واحد، ربُّها واحد، نبيها واحد، عقيدتها واحدة، شريعتها واحدة، فلا يجوز أن تتمزق هذه الأمّة أبداً «مثُل المؤمنين في توادِهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكتى منه عضُّو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

وهكذا يجب أن نعيش مع إخواننا في كلّ مكان، لا نغفل عنهم، ولا ننساهم؛ لأنّنا أمّة واحدة.

هكذا عاش المسلمون في العصور الأولى، وهكذا يجب أن نعيش، لا نرخص ولا نذعن لهذه التيارات الداخلية، ولهذه الأفكار المستوردة التي تريد أن تفرقنا شيئاً، وأن تمزّقنا قطعاً؛ لكي يسهل التهامنا بعد. يا أيها الإخوة، علينا أن نعرف هذا كله.

٥ - العمل الجماعي للإسلام:

وعلينا بعد ذلك أن نعلم أنّنا لا نستطيع أن نحتفظ بشخصيتنا

(١) سبق تحريره ص ١١٩.

و شخصيَّة أسرتنا، ولا أن نقوم بحقِّ دعوتنا، ولا أن نقوم بحقِّ إخواننا،
إذا عاش كُلُّ مَنَا فرداً برأته، مستقلاً بنفسه، يَعْمَلُ وحده.

لا، لا تستطيع أنْ تَعْمَلُ وحده، ولا تستطيع أن تَحْتَفِظَ بِإِسْلَامِكَ
و حده، سَيَبْتَلُوكَ التيار، سَيَقْذِفُ بِكَ هَذَا التيار فِي هَذَا الْيَمِّ الْكَبِيرِ،
سَتَذُوبُ وَتَضَيِّعُ!

ولكن تستطيع أنْ تَحْتَفِظَ بِدِينِكَ وَدِينِ أَسْرِتَكَ وَأَوْلَادِكَ، وَتَقْوِيمَ بِحقِّ
دعوتكَ، و بحقِّ إخوانكَ، إذا وَضَعْتَ يَدَكَ فِي يَدِ إخوانكَ: ﴿سَنَشُدُّ
عَصْدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]، المَرْءُ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ كَثِيرٌ بِإِخْرَانِهِ، ضَعِيفٌ
بِمُفْرَدِهِ قَوِيٌّ بِجَمَاعَتِهِ.

الجماعَةُ قَوَّةٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعِصْمَةٌ مِنَ الْمُعْصِيَةِ، وَقَدْرَةٌ فِي مُواجهَةِ
الْعُدُوِّ، وَقَدْرَةٌ فِي حلُولِ الْمُشَكَّلَاتِ.

أنت وحدك ضعيف، ولكن مع إخوانك قوي، والشيطان ذئب
الإنسان، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فإياكَ أَن تكون شاة شاردة، أَن تكون بعيداً عن القطيع، عن الجماعة،
فتُؤْكِلُ وَتُلْتَهُمْ.

كن مع الجماعة، حاول أَنْ تكون مع إخوانك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُوا مُبْنَينَ مَرْصُوصُونَ﴾ [الصف: ٤].

ولو لم تأت النصوص تأمِنَنا بالاتحاد والتلاحم والترافق، وأن يكون «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضاً»^(١)، لأوجبت

(١) سبق تخرجه ص ١١٨.

المصلحة وأوجبت الضرورة أن نعيش جماعة، وألا يعيش أحدها وحده؛ لأنَّه لا يستطيع؛ ولأنَّ أعداءه لا يعملون فُرادى، وإنما يعملون جماعات وتكتلات.

فإذا تكتَّل المبطلون على باطلهم، وتفرق أهل الحق عن حُقُّهم، فإنَّ الفتنة ستكون كبيرة.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حين يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَيْرٌ﴾ [الأفال: ٧٣].

أي: إلَّا يوالى بعضكم بعضاً كما يفعل أهل الكفر، وإلا يساند بعضكم بعضاً، وإلا يتكتَّل بعضكم مع بعض، تكون فتنة في الأرض وفساد كبير؛ لأنَّه سيكون هناك وحدة في جانب الكفر، وتفرق في جانب الإسلام.

سيكون هناك إيجابية من ناحية الكفر، وسلبية من ناحية الإسلام، عملٌ في ناحية الباطل، وفراغٌ في ناحية الحق، وهنا الفتنة والفساد الكبير.

فتكتَّلوا كُتلة مؤمنة.

إنَّ الله علَّمنا أن نقول ونحن نصلي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٥].

بل حتَّى لو صلَّيت وحدك تقول هذا وتطلب الهدایة لأخوانك ولا مَتَّك؛ فالجماعة تحيا في ضميرك دائمًا، وتمثل على لسانك دائمًا، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

هذه أيها الإخوة وصاياي لكم في هذه الغربة.

علينا أن نحفظ بِإِسْلَامِنَا، بِشَخْصِيَّتِنَا إِلَّا إِسْلَامِيَّةً قُوَّيَّةً صَلِيبَةً، لَا تَذَوَّبُ وَلَا تَنْمَعُ.

علينا أن نحمل الدعوة إلى الإسلام في هذا المجتمع: لأنفسنا، ولإخواننا الذين يعيشون هنا من المسلمين أَيًّا كانت جنسياتهم، وللمجتمع الأمريكي نفسه، فهذا المجتمع أحوج ما يكون إلى الإسلام.

لا تظنُوا أَنَّ هؤلاء الَّذِينَ وصلوا إلى القمر في غَنِي عن الإسلام.

إنَّهُمْ استطاعوا أَنْ يضعوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى سَطْحِ الْقَمَرِ، وَأَنْ يَأْتُوا مِنْهُ بِأَتْرَبَةٍ وَصَخْرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُسْتَطِعُوا أَنْ يُسْعِدُوا أَنفُسَهُمْ عَلَى ظَهَرِ الْأَرْضِ، إِنَّهُمْ يَشْكُونَ الْفَرَاغَ، يَشْكُونَ الْقَلْقَ، يَشْكُونَ تَفَاهَةَ الْحَيَاةِ.

إِنَّ هَذِهِ الظَّوَاهِرَ الَّتِي تَرَوْنَهَا: «الخنافس»، «الهبيز» إلخ إنَّها تمثِّل ثورة على الحضارة الصناعية، وعلى مادِيَّةِ الْحَيَاةِ وآلِيَّتِهَا، ولذلك خرجنوا إلى حياة أشبَهُها بِالْحَيَاةِ الْبَدُوِيَّةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمُتَحَضَّرَةِ لَمْ تَشْبُعْ نَهْمَمِ الرُّوحِيِّ، لَمْ تَمْلأْ فراغَهُمِ الْعَقَائِدِيِّ، لَمْ تَؤْمِنْهُمْ مِنْ خَوْفِ، لَمْ يَعْرِفُوا بِهَا مِبْدَأَهُمْ وَلَا مَصِيرَهُمْ، لَمْ يَفْهُمُوا بِهَا مَعْنَى لَحَيَاتِهِمْ، ظَلَّتِ الأَسْئِلَةُ الْخَالِدَةُ تُلْحِّ عَلَى أَفْكَارِهِمْ: مَنْ أَينَ؟ وَإِلَى أَينَ؟ وَلِمَ؟

هذه الأسئلة التي تُلْحِّ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ: مَنْ أَينَ جَئْتُ وَجَاءَ الْعَالَمُ مِنْ حَوْلِي؟ وَإِلَى أَينَ أَذْهَبَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ وَمَا هِيَ رِسَالَتِي بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ؟ وَلِمَاذَا أَعِيشُ؟ مَا قِيمَةُ الْحَيَاةِ؟

حضراتِهِمْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُجِيبَ عَنْ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ الْمُلِحَّةِ، وَمُسِيحِيهِمْ الْمُحرَّفَةُ لَمْ تَسْتَطِعْ، وَلَنْ تَسْتَطِعَ الشِّيَوْعِيَّةُ الْمَادِيَّةُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهَا.

إِنَّ الدِّينَ الْوَحِيدَ الَّذِي يُسْتَطِعُ أَنْ يَرَدَّ عَلَى أَسْئَلَةِ هُؤُلَاءِ النَّاسِ هُوَ: إِلَّا سَلَامٌ، إِنَّهُ دِينُ التَّوازُنِ، إِنَّهُ الْمَنْهَجُ الرَّبَّانِيُّ الْإِنْسانيُّ الْأَخْلَاقِيُّ الْعَالَمِيُّ.

وَعَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا هَذَا إِلَّا سَلَامٌ لِلنَّاسِ.

عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوا بِأَنْفُسِكُمْ.

وَأَنْ تَدْعُوا غَيْرَكُمْ.

وَأَنْ تَعِيشُوا بِهِمُومِ إِخْرَانِكُمْ فِي الْمَشْرُقِ، وَلَا تَتَخَلَّوْا عَنْهُمْ،
وَلَا تَنْقِطُوا عَنْ قَضَائِهِمْ.

وَعَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ تَتَعَاونُوا وَأَنْ تَجْمِعُوا، وَأَلَا يَعِيشَ أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَيَضِيعُ فِي وَسْطِ هَذَا الْمَجَمِعِ.

بَذَلِكَ تَرْضَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى.

بَذَلِكَ تَكْسِبُونَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ مَعًا.

بَذَلِكَ تَكُونُونَ مُسْلِمِينَ حَقًّا ﴿وَمَنْ أَحَسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ، وَادْعُوا اللَّهَ يَسْتَجِبُ لَكُمْ.

* * *



موعظة الموت

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

واعظان: ناطق، وصامت.

ترك فينا رسول الله ﷺ واعظين بليغين: واعظاً ناطقاً، وواعظاً صامتاً.

واعظان دائمًا لا يكفان عن الموعظة.

فالناس في حاجة إلى عِظة بليغة؛ فالقلوب تقوس، والعقول تغفل، والدنيا تغرر، والنفس تأمر بالسوء، والشيطان يضل الناس، لا بد من واعظ.

والنبي ﷺ ترك لنا هذين الواعظين الدائمين البليغين: الأول: واعظ ناطق هو «القرآن».

والآخر: واعظ صامت هو «الموت».

القرآن يصاينا ويماسينا بآيات الله، تذكّر الناسى، وتنبه الغافل، وتزيد المؤمن إيماناً **﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾** [ق: ٤٥].



الموت واعظ صامت:

والموت كذلك يصاحبنا ويماسينا، ويرأونا ويغادينا، وهو واعظ بليغ.

ولكن الناس للأسف صم لا يسمعون، الناس مشغولون بدنياهم، يلهشون وراءها، ويتهارشون عليها، ويتقاتلون على أعراضها، ناسين هذا الذي يهددهم في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل دقيقة، بل في كل لحظة، ناسين هذا الوعظ و«كفى بالموت واعظًا»^(١) جاء ذلك موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ.

رأيتم أبلغ من هذا الوعظ: أن يكون الإنسان بين يديك صورة حية، جسداً حياً، وجهها مشرقاً، لساناً ناطقاً، إرادة ترغب في الدنيا وتدبر لها، فإذا بهذا الوجه المضيء قد ذُبُل، وإذا بهذا الجسد الحي قد مات، وإذا بهذا اللسان الفصيح قد خرس، وإذا بالإنسان الذي كان ملء السمع والبصر قد أصبح في لحد من اللحود.

الحقيقة الغائبة الحاضرة هي الموت:

هذه هي الحقيقة الغائبة الحاضرة، حاضرة يشهدها الناس في كل يوم، وغائبة لأن الناس لا يريدون أن يذكروها.

لو تذَكَّر كلُّ امرئ من ودَع من أحباب وأقرباء وأصدقاء وزملاء وجيران، لذكر الكثير الكثير.

هات ورقة وقلماً واكتب من مات ممَنْ تعرف، لن تكفيك ورقة ولا ورقتان، ولا دفتر ولا دفتران، ستجد سجلاً حافلاً من الأهل

(١) رواه الإمام في الزهد صـ١٤٥، وصحح إسناده الألباني في الضعيفة (٥٠٢)، عن عمار بن ياسر موقوفاً.

والأقرباء، ومن الأحباب والأصدقاء، ومن البداء والغرباء، ستجد الكثير الكثير.

الموت أقرب من لمح البصر:

هل تظن أنَّ الموت بعيد عنك؟

لا، والله، الموت أقرب ما يكون إلى الإنسان.

كُلُّ امْرَى مُصْبِحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ^(١)

﴿وَمَا آمَرُ السَّاعَةَ إِلَّا كَلَمْحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النَّحل: ٧٧].

وإذا كانت هذه هي الساعة العامة، فلكل إنسان ساعته، ومن مات فقد قامت قiamته.

أمر الموت كلمح البصر، أو هو أقرب من لمح البصر، إنَّ هو إلَّا خيط دقيق يفصل بين الحياة والموت، فإذا بهذا المخْ يتوقف، وإذا بهذا القلب - هذه المضخة التي تضخ الدم للجسم - قد توقف، وإذا هذا النَّفْس الَّذِي دخل لا يستطيع أنْ يخرج، وإذا بهذا الجسم قد أصبح جُثَّة هامدة.

**حِكْمَةِ الْمُنَيَّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَارِيٌّ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارٌ قَرَارِ^(٢)
بَيْنَا يُرَى إِلَّا إِنْسَانٌ فِيهَا مُخِيرًا**

بعد أن كان يخبر ويقول: حدث كذا وكذا، أو سيحدث كذا وكذا، إذا

(١) رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا أخذته الحمى ينشد هذا البيت.

(٢) شعر أبي الحسن التهامي في رثاء ابنه. انظر: الحماسة المغربية (٨٦٧/٢)، تحقيق محمد رضوان الديبة، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

هو نفسه أصبح خبراً من الأخبار، يُذاع في الإذاعة، أو يُنشر في الصحف، أو يتناقله الناس: مات فلان.

ما أيسرها من كلمة تلوّكها الألسن، وما أعظمها من حقيقة وراء هذه الكلمة: «فلان مات»!

أي انتهى كل شيء، لم يعد أمامه فرصة ليراجع رصيده، أو يتوب من سيّاته، أو يزيد من حسابه عند الله.

انتهت الفرصة بالموت، ضاعت الفرص التي كانت للإنسان في حياته، قد ضيّعها بالغفلة.

حينما يأتي الموت يتمنى الناس: لو أمهلوا شهراً من زمن، أو أسبوعاً من شهر، أو يوماً من أسبوع، أو ساعة من يوم، أو دقيقة من ساعة، لعله في هذه الدقيقة يقول: تبت إلى الله، لعله يسبح أو يهلل أو يكبّر، أو يوصي بوصية لم يوصها في حياته وصحته، وهيّات هيّات! ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَنَّا لَهُمْ كُفُّرْ أَمْلَأْنَا شَهْرًا مِّنْ زَمْنٍ، أَوْ أَسْبُوعًا فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ * وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَتَنِي إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ فَأَصَدِّقَ كَمَا كُنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤْخِرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١]، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخِرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقِدُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤].

الساعة هنا ليست الساعة الفلكية «ستين دقيقة».

لا، الساعة هنا هي الساعة اللغوية: لحظة من الزمن، كل لحظة من الزمن تسمى ساعة في اللغة.

فالأجل معلوم لا يستقدم عنه ولا يستأخر لحظة واحدة، والعمر محدود: أيام معدودة، وأنفاس محدودة؛ بل لحظات معدودة، وأنفاس محدودة.

اذكروا هاذا اللذات:

النَّاسُ فِي غَفَلَةٍ عَنِ الْمَوْتِ، وَلَهُمَا أَوْصَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَكْثُرُوا ذَكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْتَ»^(١).

هو الَّذِي يقطع اللَّذَّاتِ، وينغْضَلُ عَلَى الإِنْسَانِ اسْتِمْتَاعُهُ بِهَا؛ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ، إِذَا ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ فِيهِ لَنْ يَدُومْ؛ لَأَنَّهُ لَوْ دَامَ لَمَنْ قَبْلَهُ لَدَامَ لَهُ.

سَأَلَ أَحَدُ الْخُلُفَاءِ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ لَهُ: عَظِيمٌ. قَالَ: أَعْلَمُ أَنْكُ لَسْتَ أَوَّلَ خَلِيفَةً يَمُوتُ، لَوْ لَمْ يَمُتْ مِنْ قَبْلِكَ مَا وَصَلَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْكَ.

قَالَ: زَدْنِي. قَالَ: لَيْسَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيْتٌ، وَإِنْ امْرَأً لَيْسَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيْتٌ لَمْ يَرَقِ في الْمَوْتِ، أَيِّ: أَصِيلُ فِي الْمَوْتِ^(٢).

أَخْذَ هَذَا أَبَوْ نَوَاسَ فَقَالَ:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفُ
لَهُ عَدُوٌّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ
وَذُو نَسْبٍ فِي الْهَالَكِينَ عَرِيقٍ^(٣)

(١) رواه أحمد (٧٩٢٥)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذى في الزهد (٢٣٠٧)، وقال: حسن غريب. والنمسائي في الجنائز (١٨٤٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) الخليفة هو عمر بن عبد العزيز، والواعظ هو يزيد الرقاشي. انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٩٤، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣) ديوان أبي نواس صنعة برواية الصولي ص ٧١٤، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديشي، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراجم، ط١، ٢٠١٠م.

میت، ابن میت، ابن میت، ذو نسب فی المیتین عریق!

فهل تخلد أنت بعد هؤلاء، بعد هذا السّجل الحافل من الموتى؟
لا، والله لن تخلد.

روى سهل بن سعد، أنَّ جبريل جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: «يا مُحَمَّد، عِشْ مَا شَئْتْ فَإِنَّكَ مَيْتَ، وَاعْمَلْ مَا شَئْتْ فَإِنَّكَ مَجْزِي بِهِ، وَأَحْبَبْ مِنْ شَئْتْ فَإِنَّكَ مَفَارِقَهُ»^(١).

عِشْ مَا شَئْتْ فَإِنَّكَ مَيْتَ، عِشْ أَرْبَعينَ أَوْ خَمْسِينَ، أَوْ سَتِينَ أَوْ سَبْعينَ، أَوْ مائةَ سَنَةٍ، أَوْ هَبْ أَنَّكَ عَمِّرْتَ مَا عَمِّرْتَ نُوحَ (أَلْفَ سَنَةٍ أَوْ تَزِيدُ مَا النَّهَايَةُ؟ النَّهَايَةُ هِيَ: الْمَوْتُ).

حَكُوا أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ، ثُمَّ أَخْذَهُمُ الطُّوفَانُ، وَعَاشَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَعِيشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ، فَلَمَّا جَاءَ مَلْكُ الْمَوْتِ يَقْبضُ رُوحَهُ سَأَلَهُ: يَا أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عَمَرًا، كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا؟

قال: وَجَدْتَهَا كَدَارٍ لَهَا بَابًا: دَخَلْتُ مِنْ أَحَدَهُمَا، وَخَرَجْتُ مِنْ الْآخَرَ^(٢).

وَإِذَا كَانَ آخِرُ الْعُمُرِ مَوْتًا فَسَوَاءَ قَصِيرُهُ وَالظَّوِيلُ^(٣)

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرائق (٣٢٤/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٥/٦٢)، من قول سفيان بن عيينة.

(٣) القائل: الشاعر العراقي بهاء الدين الرواس.

عند الاحتضار يتضاءل هذا العمر أمامك، وتجد هذا الشريط الطويل،
وكأنه لا شيء: ﴿كَأَنْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَحْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٦]،
﴿كَانَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

لا بد من الموت، مهما استمتعت بالحياة؛ فإنك مفارقها.

وإذا كان هذا شأن الدنيا، فما أهونها وما أتفهها؟

ما دام الإنسان معروضا في كل يوم وكل ساعة: لنعمة زائلة، أو لمصيبة
نازلة، أو لمنية قاتلة، فما قيمة هذه الدنيا؟!

جُلِّتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْآلَامِ وَالْأَكْدَارِ
وَمَكْلُفُ الْأَيَامِ ضَدَّ طَبَاعِهَا مَتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ^(١)

هذه هي الدنيا:

هذه هي الدنيا، وتلك طبيعتها!

بني أحد الملوك دارا؛ فجمّلها وزينها وزخرفها، وفرشها بفاخر
الأثاث، ووضع فيها من الزينات والتحف والثقافات ما لا يخطر ببال،
فقال لأحد جلساً: وكان من الصالحين - هل ترى من عيب في هذه
الدار؛ فأحاول أن أصلحه؟

قال: نعم، أرى فيها عيباً، ولكن لا يمكنك إصلاحه.

قال: كيف، وعندي المال؟

(١) من شعر أبي الحسن التهامي، يرثي ولده. انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (٣٥/١)، نشر دار
ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.



قال: عيب هذه الدار أن لك منها خرجة لا عودة بعدها إليها، أو دخلة لا خروج لك منها^(١)!

وهكذا كل دار مهما زينتها وزخرفتها؛ فإن لك خرجة لا دخول بعدها، أو دخلة لا خروج منها.

جاء رجل إلى أحد الصالحين؛ وقد اشتري داراً فاخرة، وأراد أن يسجّل له العقد، فأراد الرجل العالم الصالح أن يلقنه درساً فكتب في العقد: أمّا بعد، فهذا ما اشتري ميت من ميت: داراً في بلد الغافلين وسكة المذنبين، لها أربعة حدود: الحد الأول ينتهي إلى الموت، والثاني إلى القبر، والثالث إلى الحساب، والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار!

ثم أنشد وهو يبكي:

أنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرَكُّ ما فِيهَا
إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
وَإِنْ بَنَاهَا بَشَرٌ خَابَ بَانِيهَا
حَتَّى سَقَاهَا بِكَأسِ الْمَوْتِ سَاقِيهَا
وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
أَمْسَتْ خَرَابًا وَأَفْنَى الْمَوْتُ أَهْلِيهَا
مِنِ الْمَنِيَّةِ آمَالَ تَقوِيهَا
وَالنَّفْسَ تَنْشَرُهَا، وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا^(٢)!

النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ
لَا دَارَ لِلْمَرءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكُنُهُ
أَيْنَ الْمَلْوُكُ الَّتِي كَانَتْ مَسْلَطَةً
أَمْوَالُنَا لِذُوِي الْمَيْرَاثِ نَجْمَعُهَا
كَمْ مِنْ مَدَائِنَ فِي الْآفَاقِ قَدْ بَنِيتَ
لِكُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجْلٍ
فَالْمَرءُ يَبْسُطُهَا، وَالْدَّهْرُ يَقْبِضُهَا

(١) ديوان التهامي ص ٣٠٨، يرثي ولده، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الريبي، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٩٨٢.

(٢) يُنسب إلى سابق البربرى. انظر: محاضرات الأدباء (٤٠٤/٢)، نشر دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧/٢٠).

هذه هي الدنيا.

وقف سليمان بن عبد الملك - أحد خلفاءبني أمية - أمام المرأة، فأعجبته نفسه، ونظر في شبابه وجماله وقال: أنا الملك الفتى.

وكانت له جارية صالحة شاعرة، فقال لها: ما تقولين فيَ؟

قالت له منشدة:

أنت نعم المتع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان!
ليس فيما رأيْتُه فيك عيْبٌ كان في الناس غير أنك فانٍ^(١)
ما دمت فانياً فهذا عيبك، هذا هو العيوب الذي لا يصلح!

كل نفس ذاتية الموت:

الموت نهاية كل حيٍّ، حوض مورود لكل الناس: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧]، قرر ذلك القرآن في آيات ثلاث.
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: كل نفس: الأنبياء والصديقون، والشهداء والصالحون، يذوقون الموت.

الرسل المصطفون الأخيار قبل رسول الله ﷺ ذاقوا الموت.

محمد رسول الله، وخيرة الله تعالى من خلقه، ذاق الموت.

حينما مات ذهل الصحابة رضوان الله عليهم، وأنكر منهم من أنكر، وانعقد منهم لسان من انعد، وقال عمر: من قال ذلك ضربت عنقه، ولكن الله ثبت رجلين وألهما الحق:

(١) البيان والتبيين (٩٩/٣).

١ - العَبَّاس عُمْرُونَ رَسُولُ اللَّهِ، الَّذِي قَرَأَ عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصِصُونَ﴾ [الزُّمُر: ٣٠، ٣١]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلُدُّ أَفَإِنْ مِّتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

٢ - أبو بكر رضي الله عنه الذي خطب خطبته البلية: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌ لا يموت»، ثمَّ تلا الآية الكريمة من سورة «آل عمران»: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يُضْرَبَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الْشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]^(١).

الرسُلُ والأَنْبِيَاءُ والصَّالِحُونَ قد ماتوا، والملُوكُ والأَبَاطِرَةُ، والأَكَاسِرَةُ، والقياصرَةُ، والخلفاءُ، والعُظَمَاءُ، والأَغْنِيَاءُ، قد ماتوا، لم يغْنِهُم ملَكُهم ولا جنودُهُم وجيوشُهُم، لم تغُنِ عنَّهُم كنوزُهُم وأُمُوالُهُم، ولا ما يملكونَ من قناطير مقتنزةٍ من الذهبِ والفضةِ، وماذا يصنعون بها؟ هل يرثُون عزراً إيلَى القبرِ؟!

النَّاسُ يَقُولُونَ: الْكَفْنُ لَيْسَ لَهُ «جِيوبٌ»!

أَيُّ أَنَّ أَحَدًا لا يذهبُ في كفنهِ بأموالٍ؛ لأنَّ الأَكْفَانَ لَيْسَ فِيهَا مَخْبَأً أو جِيبًا، أو نحو ذلك توضعُ فيهِ الأَمْوَالُ وَالنُّقُودُ.

أَرَأَيْتَ أَحَدًا يَدْخُلُ الْقَبْرَ وَمَعَهُ صَنْدُوقٌ مِّنَ الْذَّهَبِ، أَوْ دَفْتَرٌ شِيكَاتٌ عَلَى مَصْرُوفٍ مِّنَ الْمَصَارِفِ؟

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة.

يستوي الأغنياء والفقراء حينما يأتي الموت، ولذلك مات الملوك،
مات الأكاسرة والقياصرة، كما قال المتنبي:

أين الأكاسرة الجباررة الألّى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كلّ من ضاق الفضاء بجيشه وحواه بعد الموت لحد ضيق^(١)

الذين ضاق الفضاء بجيوشهم حواهم بعد الموت لحد ضيق، متر في
متر، أو متر في متر، هذا هو مصير الإنسان في النهاية.

عَمْرُ القصور، وشِيدَ ما شئت من الدور، فمصيرك إلى هذه الحفرة
في وادي الموتى.

اذهب إلى ذلك الوادي في «أبي هامور»^(٢)، أو غير أبي هامور - وقد
شهدنا نحن هنا في الدوحة خلال ثلث قرن عدة مقابر امتلأت وأغلقت -
اذهب إلى هذه المقابر، هل تعرف قبر أمير من مأمور، أو غني من فقير؟
الكلُّ استوى حينما ضمَّته تلك اللحوذ، وأكله الدود.

من كلّ من ضاق الفضاء بجيشه وحواه بعد الموت لحد ضيق
دخل بعضهم على عبد الملك بن مروان في مرض موته، وسأله:
كيف تجده؟

قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْنَاكُمْ مَا حَوَلَنَاكُمْ وَرَأَءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [آلأنعام: ٩٤].^(٣)

(١) ديوان المتنبي ص ٢٨، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م.

(٢) موضع فيه مقبرة شهيرة في دولة قطر، لا زالت مفتوحة إلى اليوم، والمقابر في بلاد الخليج ليست دائمة، كما في مصر وغيرها؛ لأنَّ كلَّ ميت له قبره الخاص، فإذا امتلأت المقبرة بالموتى، أغلقت، وبحث عن مكان آخر يصلح مقبرة.

(٣) البداية والنهاية (١٢/٣٩٤).



هارون الرشید، انتقى أکفانه بیده، ثم جلس يقول على فراشه: ﴿مَا
أَغْنَى عَنِي مَالِيَّةٌ ﷺ هَلَكَ عَنِي سُلْطَنِيَّةٌ﴾ [الحاقۃ: ٢٨، ٢٩].

وابنه المأمون، جلس على الرماد وهو يدعو ويقول: يا من لا يزول
ملکه، ارحم من قد زال ملکه!

لا يبقى ملک أحد، ولا يبقى مال أحد، ولا يبقى نعيم أحد.

الكل زائل، الكل سُطُّوي صفحته، وسيواجه مصيره.

الموت كأس يشربها الجميع، ويدوّقها الجميع: أهل الدين وأهل
الدنيا، والأنبياء والصالحون، والملوك والأمراء، والأغنياء وأصحاب
المال والجاه. كل سينال نصيبه من هذه الكأس، لا فرار منها: «عش
ما شئت فإنك ميت»^(١).

كان الحسن البصري يقول للشيخ أهل المشيب: أيها الشيخ، ماذا
وراء الزرع إذا بلغ إلّا الحصاد!

وينظر إلى الشباب ويقول: أيها الشبان، أما رأيتم زرعاً أهلكته الآفة
قبل أن يبلغ^{(٢)؟}!

كم من آفة تدرك الزرع؛ فتأكله وتتلفه قبل أن ينضج؟!
وكذلك نرى في الحياة، اقرأ الصحف وانظر ماذا ترى؟

هذا مات عن عمر يناهز المائة أو الثمانين أو السبعين، وآخر لم يبلغ
الأربعين أو العشرين؛ لأنّ الموت لا يأتي في سن محددة، ولا يستأذن
قبل قدومه؛ بل يأتي بغتة وأنت في غفلة عنه.

(١) سبق تخریجه ص ٣١٣.

(٢) رواه البیهقی في الزهد الكبير ص ٢٠١، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.

لَا نجاة من الموت إِذَا جاءَ الأَجْلُ:

ما أكثر من يموتون بالسكتة القلبية، أو الذبحة الصدرية، أو بما شئت من ألوان موت الفجاءة، نعوذ بالله من موت الفجاءة.
وما أكثر من يموت في حوادث السيارات أو القطارات أو الطائرات!
بل قد تكون ماشياً على رجليك، فيأتي من (يدوسك) بسيارته ويقتلك.
بلقرأنا عن القطار الذي انحرف عن مساره؛ فدخل بعض البيوت
فقتل أهلها، وهم آمنون في بيوتهم!

ورأينا الطائرات التي تسقط على بعض القرى، فتهادم بيوتاً على
أهلها، وتهلك من فيها، وهم لم يركبوا طائرة في حياتهم، ودورهم أبعد
ما تكون عن المطارات!

الموت آتٍ لا ريب فيه، مهما حاولت أن تفرّ منه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَرْفَعُونَ كِمِنْهُ إِنَّهُ مُلَاقِيْكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا ظُلْمَوْنَ فَنِيَّا﴾ * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْكُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧].

نزل طاعون بعض البلاد، ففرّ أحد الشباب خشية أن يصيبيه، قال له أبوه: ابق معنا يصيبك ما يصيبنا، وقدر الله نافذ. قال: لا، أريد أن أهرب.

فذهب وفي سفره أدركته القيلولة، فقال تحت شجرة، فجاءت أفعى فلدغته فمات، فلما بلغ الخبر والده قال:

راح يبغى نجوة من هلاك
والمنايا راصدات للفتى حيث سلك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك^(١)

(١) العقد الفريد (٣/١٤٣).

إذا جاء الأجل سُتُقتل بأي شيء، ولو بعشرة تعثرها.

ومن لم يمت بالسيف مات بغیره تعددت الأسباب والموت واحد^(١)

إذا جاء الأجل فلا نجاة، قد تُعرض على أمراء الأطباء، قد تسافر إلى الخارج، ولكن إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وحار الأطباء، ونفذ القضاء.

إنَّ الطَّبِيبَ لَهُ عِلْمٌ يُدِلِّ بِهِ
ما دامَ فِي أَجَلِ الْإِنْسَانِ تَأْخِيرٌ
حَتَّى إِذَا مَا انتَهَتِ أَيَّامُ مُهْلَتِهِ
حَارَ الطَّبِيبُ وَخَانَتْهُ الْعَقَاقِيرُ^(٢)

مرض «ابن الرومي» الشاعر المعروف، فذهب إلى أحد الأطباء، فوصف له دواء، فتناول الدواء، فازداد مرضًا، ثمَّ عرف أنَّ الطَّبِيبَ أخطأ في التشخيص، وأخطأ في وصف الدواء، فقيل له: إنَّ الطَّبِيبَ قد غلط.

قال: ولكن القدر قد أصاب، ثمَّ أنشأ يقول:

غَلَطَ الطَّبِيبُ عَلَيَّ غَلَطةً مُورِدٍ
عَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الْإِصْدَارِ
غَلَطَ الطَّبِيبُ إِصَابَةً أَقْدَارٍ
وَالنَّاسُ يُلْحُونَ الطَّبِيبَ، وَإِنَّمَا

الموت أَيُّهَا النَّاسُ آتٍ لَا رِيبَ فِيهِ، ولَكُنَّا وَأَسْفَاهُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذِهِ
الْحَقِيقَةِ الْخَطِيرَةِ.

هناك يوم، وهناك ساعة سيقول الناس فيها عن كلِّ منَّا: مات فلان.

(١) البيت لأبي نصر بن نباتة. انظر: المحاضرات والمحاورات للسيوطى ص ٣٧٩، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي (١١٨ / ١)، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، نشر عالم الكتب، بيروت.

(٣) المنتحل للشعالبي (١٠٢/١)، نشر المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ - ١٩٠١م.

ما زا أعددت لها هذا اليوم؟ ما زا أعددت لهذه الساعة أيها الإنسان؟

جاء في الحديث: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمن على الله الأماني»^(١).

«الكيس»: العاقل، حسن التصرف.

«من دان نفسه»: من حاسبتها وحاكمتها، حاسبتها قبل أن تحاسب، وحاكمتها قبل أن تقف أمام المحكمة الإلهية.

«العجز»: أي الأحمق، الغبي، البليد.

سُئل النبي ﷺ عن أكياس الناس وأحزم الناس!

فقال: «أكثراهم ذكرًا للموت، وأكثراهم استعدادًا للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»^(٢).

فلنستعد أيها الإخوة للموت قبل أن يفجأنا، لنكن أكياسًا، لكن عقلاً، لنكن من أهل الفطنة والكياسة ولا نغفل؛ حتى لا نفاجأ بهذه الحقيقة ونحن لم نتزود من الدنيا بما ينفعنا من سفرنا.

لقد كان الصديقون والصالحون يبكون على أنفسهم من قلة الزاد.

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال محرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذى في صفة القيامة والرقائق (٢٤٥٩)، وقال: حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٤/٢٨٠)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٩) مختصراً، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣)، والطبراني في الصغير (١٠٠٨)، والأوسط (٦٤٨٨)، والكبير (٤١٧/١٢)، وجؤد إسناده العراقي في تحرير الإحياء صـ١٨٢٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢١٤): رواه ابن ماجه باختصار، رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن. عن ابن عمر.



علي بن أبي طالب رضي الله عنه يدخل عليه بعض أصحابه، فيجده يبكي ويقول: إلينك عنی يا دنيا، غری غیری، قد طلقتك ثلاثة لا رجعة فيها، عمرک قصیر، وعيشك حقیر، ومتاعک قلیل، آه من قلة الزاد وبعده السفر ووحشة الطريق^(١)!

ابن أبي طالب، ابن الإسلام، ورجل الإسلام، وسيف الإسلام،
يشتکي من قلة الزاد، وبعده السفر، ووحشة الطريق! فماذا أعددنا نحن
من الزاد ليوم المعاد؟!

ترزود للذی لا بد منه فإن الموت میقات العباد
أترضى أن تكون رفيقَ قومٍ لهم زادٌ وأنت بغير زاد^(٢)
وقال تعالى: ﴿وَتَرْزُّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الْزَادِ التَّقْوَىٰ وَأَنَّقُونِ يَتَأْوِلُ
الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

اللهم زوّدنا بالتقى، واجعلنا من أهل الآخرة، واجعلنا من الأكياس
الذين يستعدون لما بعد الموت، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مقتل علي بن أبي طالب صـ٨٩، تحقيق إبراهيم صالح، نشر دار
البشاير، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في بستان العارفين صـ١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢،
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْإِلَخُوَةُ:

اسْتَذَكِرُوا الْمَوْتَ، تَوَبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ
الصَّالِحةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغِلُوهُ.

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ مِنَّا، وَإِنَّمَا نَسَاهُ لِغَفْلَتِنَا، وَغَرَورِنَا بِالْدُنْيَا
وَبِالشَّيْطَانِ، وَكَلَّمَا وَدَعْنَا حَبِيبًا إِلَيْنَا أَوْ عَزِيزًا عَلَيْنَا تَذَكَّرُ الْمَوْتُ.

الشِّيخُ عَبْدُ اللَّطِيفِ زَايدُ فِي ذَمَّةِ اللَّهِ:

قد وَدَعْنَا فِي هَذِهِ الْأَسْبُوعِ أَخًا عَزِيزًا عَلَيْنَا، حَبِيبًا إِلَيْنَا، عَرَفْنَاهُ
فَأَحَبَبْنَاهُ، وَعَاشَرْنَاهُ فَازَدْنَا لَهُ حَبًّا، بِمَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مِنْ شُعُوبِ الإِيمَانِ،
وَخَصَالِ الرِّجْلَةِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، إِنَّهُ الْأَخُ الْكَرِيمُ، وَالصَّدِيقُ الْحَمِيمُ،
الْعَالَمُ الْعَالِمُ الْمُخْلِصُ الدَّاعِيَةُ، نَحْسَبُهُ كَذَلِكَ وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا نَزِّيْكُهُ
عَلَى اللَّهِ، هُوَ: الشِّيخُ «عَبْدُ اللَّطِيفِ زَايد»^(١)، الَّذِي طَالَمَا سَمِعْتُمُوهُ مِنْ

(١) هو الصديق العزيز والأخ الحبيب، والزميل الكريم: الشیخ عبد اللطیف محمد زاید أحد علماء الأزهر، الذين قدموا إلى قطر للتدریس في مدارسها، منذ أوائل الخمسينيات في القرن العشرين، وحين قدمت إلى قطر سنة ١٩٦١ مدیراً للمعهد الديني الثانوي، طلبت نقله إلى المعهد ليعمل معي مدرساً فيه؛ لما عرفته عنه في مصر من صدق وإخلاص، وتفان في أداء الواجب. وبقي معي في المعهد حتى انتقلت منه إلى الجامعة، ثم عمل موجهاً للعلوم الشرعية بالوزارة مع فضيلة الداعية الكبير الشیخ عبد المعز عبد السtar، ثم عُین مدیراً للمعهد الديني وظلّ به سنوات.

وقد كان الشیخ عبد اللطیف من خيرة العلماء الذين يحبهم كل من عرفهم؛ لصفاته نفسه، وحسن خلقه، وطيب مشعره، وكان من كرام المربيين، الذين يؤثرون فيمن حولهم بحالهم أكثر من مقالتهم. رحمه الله رحمة واسعة.



فوق هذا المنبر مرّات ومرّات، والّذی اختطفه الموت فجأة من بیننا، ففقدت قطر بفقده عالماً من العلماء الربّانیین، وداعية من الدعاة الصادقین، ومربياً من فضلاء المربيّن.

فنسأل الله تعالى أنْ يغفر له ويرحمه، ويقبله في الصالحين، ويسكنه الفردوس مع التَّبَّیْن والصَّدِّیْقین والشَّهَداء والصالحين، وأنْ يجزيه عن الإسلام والمسلمين والعلم خير الجزاء، ويخلفه في ذويه وأهله بخير ما يخلف به عباده الصالحين، وأنْ يقبل شهادتنا فيما نعلم عنه، ويغفر له ما يعلمه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

اللهم إنا نسائلك العفو العافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنّا.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمالنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسِن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزِّنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعلنا من الَّذِين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويُخلصون فيُقبلون.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السُّفلی.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين في كلّ مكان، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وإخوتنا في البوسنة والهرسك، وإخوتنا في الفلبين، وإخوتنا في كلّ مكان من أرض الإسلام.

اللهم عليك بآعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وفلحهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلا على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عبد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاتٍ عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسل وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



خطبة عيد الفطر^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، والله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

هذه أعيادنا نحن المسلمين، لا يُرفع فيها ذكر غير ذكر الله تعالى، الله أكبر وحده، هو الذي يُهتف باسمه، لا يُهتف باسم بشر.

التكبير في العيد ومعناه:

أعيادنا نحن المسلمين أعياد ربانية، تبدأ بالتكبير، وتزين بالتكبير، كما جاء في الأثر: «زَيَّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالْتَّكْبِيرِ»^(٢).

وقال تعالى في ختام آية الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) ألقيت بمدينة الدوحة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٣٧٣)، والصغير (٥٩٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٦٥٨): فيه نكارة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٠٠): فيه عمر بن راشد؛ ضعفه أحمد وابن معين والنسائي. وقال العجلبي: لا بأس به. عن أبي هريرة.

التكبير شعار الإسلام، شعارنا في العيد إذا عيّدنا، في الأذان إذا أذنَّا، في الإقامة إذا أقمنا، في الصلاة إذا صلّينا، في المعارك إذا غزونا، نؤذن به في أذن المولود إذا وُلد؛ ليكون أول ما يطرق سمعه: الله أكبر.

التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، ذلك لينغرس في نفس كل مسلم: أن كلَّ ما يتهافت النّاس عليه من متاع الحياة الأدنى؛ فالله أكبر منه.

إذا حرص النّاس على المال، على القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، فالله أكبر من المال، والله أكبر من الذهب.

إذا حرص النّاس على الأولاد، فالله أكبر من الأولاد.

إذا حرصوا على المناصب، فالله أكبر من المناصب.

إذا هاب النّاس الكباء، أو خاف النّاس فلانًا أو علانًا، أو طمع النّاس فيما عند زيد أو عمرو من الخلق، فالله أكبر من كلَّ ما يخاف منه النّاس، وأكبر من كلَّ ما يطمع فيه النّاس.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر والله الحمد.

مزية الأعياد الإسلامية:

أعيادنا نحن المسلمين تبدأ بالتكبير وتبدأ بالصلوة، إذا كانت الأعياد عند بعض النّاس انطلاقًا للشهوات وعيًّا من اللذات، ما حلَّ وما حرم، فالأعياد عندنا فيها فرحة، ولكن ليس فيها اتّباع للشهوات.

أعيادنا نحن المسلمين جاءت جائزة من الله للأمة، مكافأة لها على فريضة من الفرائض، وشعيرة من الشعائر، قامت بأدائها، فعيد الفطر جاء بعد الصيام، وعيد الأضحى جاء بعد الحج، هكذا تكون الأعياد.

فرحة العيد وبم تكون ولمن تكون؟

جاء عيّدنا هذا يتمّم الفرحة اليومية للمسلم: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربّه فرح بصومه»^(١) وهي أكبر. فرحة عند الفطر، وهذه لها معنian: عند الفطر اليومي، وعنده الفطر في نهاية الشهر.

إنّها فرحة المسلم بأنّ الحرام عليه أصبح حلالاً، ما كان ممنوعاً منه أصبح مأذوناً فيه، حلّ له الطعام والشراب ومتّسراً النساء.

وفرحة أكبر بأنّ الله وفقه لأداء الطاعة والامتثال للأمر «يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي»^(٢).

فرحة يوميّة، تمّمتها هذه الفرحة في يوم العيد؛ بانتهاء الشهر كله في طاعة الله.

من حقّ من أطاع الله ووفق لأداء الواجب أن يفرح: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرِحْمَتُهُ، فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرَهُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

الفرحة بفضل الله وبالطاعة، وبرحمة الله وتوفيقه، هي التي تغمر القلوب؛ وذلك لأنّ فرحة العيد إنّما تكون للصائمين القائمين وحدهم، أمّا الذين لم يعرفوا الصيام والقيام، فوجوههم يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح. عن أبي هريرة. وأصل الحديث في الصحيحين: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي». متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

إِنَّهُ لَيْسَ عِيدُهُمْ، إِنَّهُ يَوْمٌ أَسْوَدٌ عَلَيْهِمْ، عَلَامٌ يَعْيِّدُونَ، وَبِمَ يَفْرَحُونَ؟!

إِنَّهُ عِيدُ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ.

هذه فرحة العيد.

فرحة أخرى ننتظرها، عيد النصر:

ولكن تبقى فرحة نَذَرُها وننتظِرُها، ونرجوها هنالك في العيد الأَكْبَرِ: يوم ينتصر الإسلام، يوم تعلو كلمة الإيمان، يوم ترتفع راية القرآن، يوم تقرأً أعيننا بانتصار المجاهدين في سبيل الله في فلسطين، وفي أفغانستان، وفي كل مكان من أرض الإسلام، يوم تقوم دولة الإسلام الكبرى، التي تقيم دين الله في الأرض، وتحكم شريعته، وتعلّي كلمته، وتتوحد أمّته، وتحرّر أرضه من كل طاغوت، هنالك نفرح الفرحة الكبرى.

ننتظر هذه الفرحة، نتمنى ألا نموت حتى تقرأً أعيننا بهذا اليوم.

صار لي سنون والله - أكثر من أربعين سنة - وأنا أخطب في الأعياد، وأنظر هذا اليوم الذي تحرر فيه هذه الأمة من الطواغيت، ومن المستعمرين، من كل لون واسمٍ ونوع، ومن كل ظلم وجبروت، وتقيم شرع الله في أرض الله.

ننتظر هذا العيد، ولكن هذا العيد لم يأتي بعد، لم يأتي العيد المنشود الموعود، ولا زلنا في كل عام نتغنى مع أبي الطيب المتنبي:

عِيدٌ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُذْتَ يَا عِيدُ؟
بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ؟
فَلَيْتَ دُونَكَ بِيَدًا دُونَهُمُوا
أَمَّا الْأَجِبَّةُ، فَالْبَيِّنَادُ دُونَهُمُوا

(١) انظر: ديوان المتنبي بشرح العكري (٢٩/٢)، تصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

ما يکیده اليهود لنا:

كان المتنبّي يبكي على أحبّته، وعلى فراقه لهم، وبُعده عنهم، ونحن نبكي ما هو أكبر، نبكي على ضياع أرض الإسلام، نبكي على تحكُّم أعداء الله فينا، حتَّى اليهود الَّذين عاشوا في أκنافنا، وفي حضانتنا وتحت حمايتها، وفي أماننا وذمتنا قرونًا من الدهر، طردتهم العالم من كلّ مكان، ولم يجدوا صدراً حنوناً، ولا كهفًا يأوون إليه، ولا بلداً يضمّهم في رحابه إلَّا دار الإسلام، عاشوا فيها آمنين مطمئنين، حتَّى واتتهم الفرصة فقلبوها لنا ظهر المِجَنْ، وانقلبوا علينا، واحتلوا أرضنا، وطردوا أهلنا.

ولم يكفهم ذلك، ولتكنهم يريدونها ويعلنونها على الملاً «إسرائيل كبرى»، هكذا قال كبيرهم، وهكذا يدبُّرون ويخطّطون لملايين تأتي هناك من بلاد السوفيت إلى الأرض المقدّسة، الخروج الكبير، الخروج السامي كما يسمُّونه.

إنهم يبِّتون أمراً، ولا تستبعد شيئاً:

كَنَا نستبعد أن تقام دولة إسرائيل، وكان يُقال: «إسرائيل المزعومة» سنتين وسبعين، ثمَّ أصبحت حقيقة واقعة، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

لا تستبعدوا شيئاً، إنَّهم يريدون خير!

إن أحدهم قال على الحدود الأردنية لأحد الفلسطينيين، وقد وجد معه تمراً: من أين هذا؟

قال: من خير، خذ شيئاً منه. وأوشك أن يأخذ بعض تمرات، ثم
ردّها، وقال: لا والله، حتّى نأكلها هناك في خير!

إنهم يريدون خير؛ بل يريدون موضع بنى قريظة، وبني النضير،
وبني قينقاع حول المدينة المنورة، يريدون قبر رسول الله ﷺ.

إنهم يريدون ذلك، ولا تستبعدوا شيئاً ما دمنا في غفلتنا، ما دمنا
مشتتين، ما دمنا ممزقين، ما دامت تحكمنا أهواونا، ما دام على كراسى
الحكم أناس لا هم لهم إلا أن يبقوا سلاطين.

ما دامت هذه الأمة بعيدة عن ربها، بعيدة عن دينها، فسيغلبها كلُّ مغلّب.

اليهود الذين كانوا أحرص الناس على حياة، أصبحوا يقاتلون
ويتصرون علينا، برجالهم ونسائهم!

اليهود الذين عرّفوا بالشح والبخل وعبادة المال وعبادة عجل
الذهب، يبذلون ويدفعون ويعطون.

أين ما يعطيه العرب والمسلمون؟ أين الأغنياء؟ أين المنفقون؟ أين
أموال البترول؟ أين أموال التجارة؟ أين ما ندفع نحن؟ أين أين؟!

نحن ننتظر العيد الأكبر، عيد انتصار الإسلام وتحرر أرضه وتحكيم
شرعيته، ننتظر هذا العيد، فمتى يأتي العيد؟

لا زلت نقول مع الشاعر:

قالوا: عجبنا ما لشعرك باكيًا
في العيدِ ما هذا بشأنِ عيدهِ
ما حيلةُ العصافورِ قصوا ريشهُ
ورموه في قفصٍ وقالوا: غرّد!^(١)

(١) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.



عيد توحيد الأمة على كلمة الإسلام:

إننا ننتظر العيد الأكبر، العيد الذي تعلو فيه كلمة الإسلام، وتتوحد فيه أمة الإسلام على كلمة الإسلام، ولا يمكن أن يوحد أمة الإسلام إلا كلمة الإسلام.

إذا تركنا الإسلام تمزقت هذه الأمة، وتفرقت شذر مذر، ستختلف ما بين يمين ويسار، وما بين الولاء لغرب والولاء لشرق، ستذهب هنا وهناك، ولكن الذي يجمعها هو منهج الله، منهج القرآن، منهج محمد ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَيَّنُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. إننا إليها الإخوة في حاجة إلى ذلك العيد الأكبر.

لا مبرر لل Yas فالغد لنا:

ولا أريد أن تمتلىء القلوب باليأس، لا بد أن نذكر الأمل بجوار القنوط، لا بد أن نذكر أن بشائر الفجر قد ظهرت، ظهرت في هذه الصحوة الإسلامية المباركة، في هذا الشباب المؤمن الذي عرف ربّه، وعرف دينه، واستقام على طريقه، وعمّر المساجد في الليل والنهار، وعمّر مواسم الحجّ والعمرّة، ونشط لعبادة الله ولقراءة القرآن ودراسة الحديث، ودراسة الكتب الإسلامية.

ظهور الصحوة من المبشرات:

هذه الصحوة يجب أن نعترف بها، فقد أصبحت حقيقة واقعة.

هذه الصحوة بربت آثارها في الواقع شتى:

في الواقع الثقافية والفكرية، في انتشار الكتاب الإسلامي، الذي أصبح الكتاب الأول في سوق التوزيع وفي معارض الكتب.

الصّحوة الإسلامية تجسّدت في ظهور مصارف إسلامية ومؤسسات مالية إسلامية، بعد أنْ كانوا يقولون: إنَّ لا أمل في اقتصاد بغير ربا، الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربوية عصب البنوك.

أثر الصّحوة في ميادين الجهاد:

تمثّلت الصّحوة الإسلامية في الجهاد في سبيل الله، الذي قام في أفغانستان منذ سنوات، حتّى اضطر تلك الدولة العملاقة - القوّة العظمى الثانية في العالم - إلى أنْ تسحب جيوشها الجرارة، ولكنّهم تركوا وراءهم - أيضًا - أسلحة وذخائر وأرضاً فيها عشرات الملايين من الألغام، حتّى قال «جورباتشوف»: إننا قاتلنا عشر سنوات، وستقاتل الأرض بعدها عشر سنوات أخرى، ولكن الله من ورائهم محيط، وإنَّ نصر الله قريب.

أثر الصّحوة في أرض الإسراء والمراجـع:

رأينا هذه الصّحوة في إخوتنا وأبنائنا المجاهدين في أرض النُّبوّات، في أرض فلسطين، في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، في أرض المسجد الأقصى وأرض الإسراء والمراجـع.

بعد أن يئس الناس من هذه القضية التي احتكرها العلمانيون واليساريون وأمثالهم، ولم يكن للجهاد الإسلامي قول مسموع، ولواء مرفوع، قام هؤلاء الأشبال الصغار الكبار، التلاميذ المعلّمون، أشبال الحجارة، قامت ثورة المساجد، الثورة التي انطلقت من بيوت الله،

وكانت رایاتها المصاحف، وكانت شعاراتها: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»،
وكان نشیدها الَّذِي تَحْفَظُه لِأطْفَالِهَا:

خیبر خیبر یا یهود جیش مُحَمَّد سوف یعود
ارتفعت هذه الصیحات بعد أن کان الیهود یقولون بملء أفواهم:
مُحَمَّد مات و خلَفَ بنات!

لا، مُحَمَّد ﷺ لم یمت، إِنَّهُ باقٍ، وَدِينُه باقٍ، وَأَنْجَبَ رجَالًا، وَسَيُظْلَى
هؤلاء الرجال یجاهدون.

قامت هذه الثورة، وقامت حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وقام
الجهاد الإسلامي في فلسطين، وإنما لنتظر لهم النَّصر إن شاء الله.

إِنَّهُمْ يَبْذُلُونَ وَيَضْحُكُونَ رَغْمَ الضُّرُباتِ الْوَحْشَيَةِ الَّتِي تُكَالُ لَهُ، رَغْمَ
تَكْسِيرِ الْعَظَامِ، رَغْمَ دُفْنِ الشَّبابِ أَحْيَاءً، رَغْمَ الْاعْتِقَالَاتِ بِالْمِئَاتِ
وَالآلَافِ، رَغْمَ تَدْمِيرِ الْبَيْوَتِ.

ولكن هذا لم یُفْتَ في عضُدِ هؤلاء المجاهدين الأبطال، إنَّ أحدهم
يستقبل الموت ويقول: «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى» [طه: ٨٤]، ويدخل السجن وهو
يقول: خلوة في سبيل الله، والأم تسمع خبر استشهاد ابنها؛ فتقول ما قالت
الخنساء: الحمد لله الَّذِي شَرَّفَنِي بِقُتْلِهِ، وَجَعَلَهُ شَفِيعًا لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١)!

أمل الحكم الإسلامي في السودان:

إنَّ هذه كُلُّها من البشائر الَّتِي يَجُبُ أن نذكرها.

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٨٢٩)، تحقيق علي محمد البحاوي، نشر دار الجيل،
بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

يجب أن نذكر هذا الحكم الذي قام هناك في السودان، يرفع رأية الشريعة، ويتوجه إلى الإسلام بصدق، ولذلك تأمر عليه المتآمرون، حتى الذين رحبوا به في أول الأمر، حينما ظهر وجهه الإسلامي بدؤوا يكيدون له، وباتوا يتآمرون عليه.

وهو يحاول أن يبني البلد لبنة لبنة، ويزرع مساحات شاسعة من القمح حتى يستغنى الناس، فهذا البلد الذي يمكن أن يكون سلة الغذاء لعالمنا العربي كله: كان يستورد الدقيق من الخارج.

بدؤوا يزرعون، وبدؤوا يضبطون الأمور بعد التسيب، وبدؤوا يمنعون الفساد، ويمنعون التحلل والإباحية!

ولذلك تأمر عليهم المتآمرون، وكانت مشكلة الجنوب التي وراءها ما وراءها، من القوى الصليبية المختلفة.

إنَّ السودان الآن أمل من الآمال، نسأل الله أن يثبت أقدام أصحابه، وأن يضيء لهم الطريق، وأن يهديهم الصراط المستقيم، وأن يجنبهم المؤامرات والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يُبطل كيد الكائدين.

واجبنا مساندة الصَّحْوَة:

الصَّحْوَة الإسلامية أيها الإخوة في كل مكان، آثارها ملموسة، نراها هنا وهناك، ولكن لا بد أن نؤيدوها، لا بد أن تكون من ورائها، لا بد أن نبذل كما يبذل الآخرون، وأكثر منهم.

الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَهُنُّوْفِي أَبْتِغَاءَ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوْا تَالَّمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَّمُونَ كَمَا تَالَّمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].



نعم، نألم كما يألمون، ونرجو من الله ما لا يرجون، فلنبدل كما
يبدلون، إنَّهم يبدلون الكثير الكثير، فماذا بذلنا نحن؟

أقام اليهود دولة لهم في قلب ديارنا، والنصارى الصليبيون يحاولون
أن ينشروا النَّصرانية في العالم حتَّى على أرضنا، وعلى حساب عقيدتنا،
ورصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين، حتَّى الشِّيوعية تبذل،
فماذا بذلنا، وماذا أعطينا؟

لا بدَّ أن نعطي الكثير، نحن أصحاب الحقُّ، أيفدي أصحاب الباطل
باطلهم بما يملكون، ونحن نتقاعس عن نصرة الحقُّ الذي أكرمنا الله
تعالى به؟!

إنَّ هذه الأُمَّةَ بخير، قد يوجد الفاسدون والمنحلُون والمنحرفون، ولكن
الخير موجود في هذه الأُمَّةِ إلى يوم القيمة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ إِنَّمَا كُتِبَ
لَهُمُ الْحُكْمُ وَالنُّبُوَّةُ فَإِنْ يَكْفُرُوا بِهَا هُوَ لَاءُ فَقَدْ وَكَلَّا لِهَا قَوْمًا لَّيُسُوَّبُوا بِهَا إِنْ كَفَرُوا﴾ [الأنعام: ٨٩]
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدُلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، «لا تزال طائفة
من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتَّى يأتي
أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»^(١).

الطائفة المنصورة بالحقُّ، الداعية للحقُّ، الهدية بالحقُّ، هذه الطائفة
ستظلُّ إلى يوم القيمة.

فلنكن جنداً في هذه الطائفة، وأنصاراً لهذه الطائفة، ولا ينتظر كلُّ منَّا
أنْ يقوم غيره عنه، الإسلام يحتاج إلى رجال؛ فلنكن رجاله، سُنَّةُ الله ألا
ينصر الحقُّ إلَّا بأهله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

(١) سبق تخریجه ص ٢٧.

مؤامرات القوى المعادية:

صحيح أن هناك مكاييد ومؤامرات، وستظل، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَرَأُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يُرِدُوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وها نحن نرى هذا الكيد، وهذا الحقد الصليبي بين الحين والحين، نراه في المؤامرة على كل دعوة إسلامية، وكل حركة إسلامية، وكل جهاد إسلامي.رأينا في قضية سلمان رشدي في بريطانيا، في قضية حجاب الفتيات المسلمات في فرنسا.

في قضايا كثيرة، كبيرة وصغيرة، نرى هذا الحقد الصليبي.

لقد وقفوا ضدَّ الصَّحْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وقالوا: الأصوليون المتشددون المتطرفون، فلما وقفنا نحن ضدَّ التشدُّد والتطرف ودعونا إلى الاعتدال، أتدرُّونَ ماذا يقولون اليوم؟

يقولون في صحفهم وأجهزة إعلامهم: احذروا الإسلام المعتدل! احذروا المسلمين المعتدلين! إنَّهم يبدؤون معتدلين ثمَّ يتطرفون! الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلاً، إِيَّاكُمْ أَنْ تصدِّقوْهَا! المعتدلون أخطر من المتطرفين! المتطرفون لا يستمرون طويلاً، ولكن الَّذِين يبقون ويستمرون هم هؤلاء الَّذِين يزعمون أنَّهم معتدلون!

ماذا يُرضي هؤلاء؟

لا التطرف يرضيهما، ولا الاعتدال يرضيهما، إنَّهم لا يرضيهما إِلَّا أن نترك ديننا، وأن نتبع ملَّهُمْ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ولن نتبع ملَّهُمْ، ولن نتخلَّ عن ديننا، ولن نبيعه بملء الأرض ذهبًا، وبملك المشارق والمغارب.



سنظل ثابتين على هذا الدين، على هذه العروة الوثقى لا انفصال لها،
حتى يتم الله نوره ولو كره الكافرون.

نسأل الله تعالى أن يهیئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يتم علينا نعمه،
فاستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أيها الإخوة:

ابذلوا من أنفسكم، وأعطوا من أنفسكم لنصرة دينكم، ونصرة إخوانكم المجاهدين في سبيل الله.

أعطوا فإنَّ الله يبارك القليل، ويُرْبِي لأحدكم صدقته، حتَّى تصبح التمرة كأنَّها جبل كما قال النَّبِي ﷺ: «ما تصدقَ أحد بصدقة من طَيِّبٍ - ولا يقبل الله إلَّا الطَّيِّب - إلَّا أخذها الرَّحْمَن بِيمِينِه، وإنْ كانت تمرة تربو في كفَّ الرَّحْمَن حتَّى تكون أعظم من الجبل؛ كما يرْبِي أحدكم فلوَّه أو فصيله»^(١)، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَّوَابُ الْرَّحِيمُ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٤].

إنَّ الله أرسَد ملكين يدعوان كلَّ يوم: «يقول أحدهما: اللَّهُمَّ، أَعْطِ منفَقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللَّهُمَّ، أَعْطِ ممسَكاً تلَفاً»^(٢).

أعطوا للجهاد الإسلامي، سواء كان في فلسطين، أم في أفغانستان.

بعض النَّاس يقول: أي الجهادين أولى؟

كلُّ منها أولى، كلُّ منها جهاد في سبيل الله، كلُّ جهاد يرفع الراية الإسلامية فنحن وراءه، لا يمكن أن نتخلى عن جهاد من أجل جهاد، لا يتصور أن نتخلى عن الأرض المقدسة، عن المسجد الأقصى، عن أرض الإسراء والمعراج.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٣٠)، ومسلم في الزَّكَاة (١٠١٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، كلاهما في الزَّكَاة، عن أبي هريرة.

ابذلوا، وستقسّم الحصيلة بين الجهادين إن شاء الله: الفلسطيني، والأفغاني، ثبّتهما الله.

هناك التبرع المباشر، وهناك الاستقطاع لكلّ شخص.

ابذلوا والله تعالى معكم.

خبر كاذب عن الشيخ الغزالى:

أيها الإخوة:

أحببت أن أسوق إليكم خبراً كنت تكلّمت عنه في رمضان: نشرت الصحف عن الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالى أنه قال لإحدى المجالس: إنه لا يوافق على قيام أحزاب إسلامية، وأحزاب على أساس ديني، وإنّ من أراد أن يدخل السياسة فليدخلها منفرداً!

وبالاتصال بفضيلة الشيخ نفى هذا الكلام تماماً، وقال: إنّ هذا كلام بّين البطلان، ولا يقوله إلاّ جاهم بالإسلام، وفصل الإسلام عن السياسة كفصله عن الأخلاق، والإسلام لا يعرف هذا الانفصال، ولا يمكن أن أقول هذا، فهذا إلغاء لحياتي كلّها، ولكتبي كلّها!

والذين نقلوا عنه الحديث قالوا: إنه قاله في رمضان، وإنهم سألوه:

ماذا تفعل في رمضان؟

والشيخ يقول: أنا خارج مصر من (٢٥ شعبان)، وأنا في قطر، فأين لقيني هؤلاء الناس؟!

فأحببت تصحيح هذا لأنّي تحدّثت عن هذا الأمر في المسجد، وحتى نعطي كلّ ذي حقّ حقّه، وحتى نعلم كيف يكيد لنا هؤلاء، وكيف



يُكذبون على النّاس وهم أحياء، ويطيرون الخبر في الآفاق حتّى يشوشوا على المسلمين.

المؤامرات مستمرة، ولكنَّ الله من ورائهم محيط ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِلْ الْكَفَرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُويدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

سيأتي العيد الأكبر إن شاء الله، ستقرُّ أعيننا بانتصار الإسلام
 ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَنِكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرّوم: ٤ - ٦].

لقد أعدَّ الإخوة المسؤولون عن النّادي المبارك^(١) هدايا للأطفال
 بمناسبة العيد، ستوزَّع إن شاء الله بعد الخطبة.

نُسَأَلُ الله تعالى أن يقرَّ أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهُمَّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،
 وأحسِّن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرِّنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهُمَّ أقِرْ أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهُمَّ انصر إخوتنا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخوتنا
 المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخوتنا المجاهدين في السودان، وانصر
 إخوتنا المجاهدين في كشمير، وانصر إخوتنا المجاهدين في إريتريا،
 وانصر إخوتنا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخوتنا العاملين للإسلام
 في كلّ مكان.

(١) هو نادي قطر الرياضي، وله نشاطه الملحوظ بالدوحة، الذي اعتاد منذ سنوات إحياء سُنة صلاة العيد في ساحته «الإِسْتَاد».

اللهم اجمع على الحق كلامهم، ووحد صفوفهم.

اللهم اجعلهم جبهة واحدة، في مقاومة أعداء الإسلام.

اللهم اجمع كلمة الأمة على الهدى، وقلوبها على التقوى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

وتقبل الله منا ومنكم، وكل عام وأنتم بخير.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ [الصادفات: ١٨٢ - ١٨٠].

* * *

خطبة عيد الأضحى^(١)

أمّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمين،

يوم الحجّ الأكبر:

نحن في يوم العيد، يوم عيد الأضحى، وهو يوم من أيام الله، يوم الحجّ الأكبر، فيه عاد الحجيج من مزدلفة ليرموا جمرة العقبة، ويدبرحوا أو ينحروا، ويحلقوأو يقصّروا، ثم يذهبوا بعد ذلك لطواف الإفاضة - الركن الثاني من الحجّ بعد الوقوف بعرفة - ﴿وَلَيَطْوَّفُوا إِلَيْهِ بَيْتٍ عَتِيقٍ﴾ [الحج: ٢٩].

ومن هنا سُمِّي هذا اليوم «يوم الحجّ الأكبر»^(٢) لما فيه من عددٍ من أعمال الحج.

يوم النَّحر:

هذا اليوم يسمى أيضًا «يوم النَّحر»؛ لما فيه من نحر الأضاحي، فقد شرع الله لل المسلمين أن ينحروا في هذا اليوم أضاحيهم؛ توسيعة من الله عليهم، ليوسّعوا على أنفسهم، وعلى أسرهم، وعلى من حولهم، وعلى الفقراء في بلدتهم، أو حيّهم.

(١) أُلقيت بالدوحة عام ١٤١٧هـ.

(٢) يقول الله تعالى: ﴿وَأَذْنَنَّ مِنْ أَنْهَىٰ رَسُولَهُ إِلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الْحَجَّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبه: ٣].



والسُّنَّة في الأضحية أَنْ توزَّع أَثْلَاثًا: ثُلُثٌ لِلمرء وَلِعَائِلَتِهِ، وَثُلُثٌ لِأَقْرَبِهِ وَجِيرَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، وَثُلُثٌ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

ولو تصدق بكل أضحيته للفقراء فهو خير، إِلَّا شَيْئًا يُتَبَرَّكُ بِهِ مِنْهَا مِثْلُ: كبد الأضحية، أو رأسها، أو نحو ذلك.

شرع الله هذه الأضاحي في يوم عيد الأضحى ليُوسّع على الأمة؛ حتّى لا يكون العيد للموسرين والقادرين وحدهم، ويكون غمّاً وكرباءً على البائسين والمحرومين.

في عيد الفطر فرض الله «زكاة الفطر» طعمة للمساكين، وطهرة للصائم من اللغو والرفث، ونجدة وإسعافاً للفقراء في هذا اليوم العظيم، يسأل الغني عن الفقراء ويطوف عليهم، ويعنيهم أن يسألوا هم عنه ويطوفوا عليه.

وكذلك في هذا العيد شُرعت الأضحية.

المعنى الرباني والمعنى الإنساني:

في أعيادنا نحن المسلمين معنيان كبيران: معنى رباني، ومعنى إنساني.

الأعياد في بعض الميلل وفي بعض النحل تعتبر انطلاقاً للشهوات، ينطلق الناس فيها وراء غرائزهم، يفعلون ما يشتهون.

أمّا نحن فأعيادنا أعياد تبدأ بالصلوة، ويزينها التكبير: «زَيَّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالْتَّكْبِيرِ»^(١)، فالله أكبر الله أكبر الله لا إله إلّا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

(١) سبق تخرجه ص ٣٢٧.

الله أكبر من كلّ ما يحرص النّاس عليه، من كلّ ما يعظّمه النّاس ومن عظّمه النّاس، أكبر من الدنيا، من فضّتها وذهبها، من بترولها ونفطها، من ذهبها الأسود وذهبها الأصفر وذهبها الأبيض.

الله أكبر من كلّ هذه الدنيا، الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فماذا يكبّر النّاس من هذه الدنيا ويعظّمون منها؟!

هذا العيد يوم تكبير وتعظيم الله، ويوم صلاة الله، يبدأ هذا اليوم بهذه الصّلاة، صلاة العيد.

في عيد الفطر قالوا: نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

وفي عيد الأضحى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأُنْحِرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]. صلّ لله، وانحر لله.

كان المشركون ينحرون لآلهتهم، لمناة واللات والعزّى وهبل، وغيرها من الأصنام، فأصبح المسلم حين يضحي، حين ينحر، حين يذبح، يذبح لله، صلاته ونسكه لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسَلِّمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الأضحية تذكر بموقف إبراهيم وإسماعيل:

وهذه الأضحية تذكرنا بموقف عظيم من المواقف الخالدة وهو موقف أبيينا إبراهيم وابنه إسماعيل ﷺ فإبراهيم أول من ضحي، أمره الله أن يضحي بكبش، أو جاءته هذه الأضحية من الله تعالى؛ فداء لابنه إسماعيل.

فإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ جعله الله أسوة للناس: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا الَّذِي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨].

«إِبْرَاهِيم» ضَحَّى بِكُلِّ شَيْءٍ لِللهِ:

ضَحَّى بِوْطَنِهِ لِللهِ، خَرَجَ مِنْ وَطْنِهِ مَهَا جَرَأَ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيِّدِنَا﴾ [الصَّافات: ٩٩].

ضَحَّى بِنَفْسِهِ لِللهِ، أُلْقِيَ فِي النَّارِ، النَّارُ الَّتِي أَشْعَلَهَا لَهُ أَعْدَاؤُهُ، وَأَنْفَقُوا فِيهَا الْكَثِيرَ حَتَّى أَجَّجُوهَا، وَلَمْ يَسْتَطِعُوهُ أَنْ يُلْقِوْهُ فِيهَا إِلَّا بِالْمَقْلَاعِ.

اللهُ تَعَالَى حِينَما ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ بِهَذَا الْابْتِلَاءِ، لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ قَالَ: حَسْبِيَ اللَّهُ، فَكَانَ اللَّهُ حَسْبَهُ، وَكَانَ اللَّهُ كَافِيهُ، وَحَوَّلَ اللَّهُ النَّارَ إِلَى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ، وَقَالَ لَهَا: ﴿يَنَارٌ كُوْنٌ بَرَدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وَضَحَّى إِبْرَاهِيمَ بِوْلَدِهِ وَفَلَذَةِ كَبْدِهِ، لَقَدْ شَاخَ إِبْرَاهِيمَ وَبَلَغَ مِنَ الْكَبْرِ عَتِيًّا، وَلَمْ يَرْزُقْ أُولَادًا، وَلَكِنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٠].

طَلَبَ الدُّرِّيَةَ، وَالدُّرِّيَةَ الصَّالِحةَ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَشْتَاقُ إِلَى أَنْ يَمْتَدِدَ وَجُودُهُ فِي ذَرِيَّتِهِ، فَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ عَلَى الْكِبَرِ «إِسْمَاعِيلَ» كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَلِإِسْحَاقَ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٩].

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ «إِسْمَاعِيلَ»، جَاءَ مِنْ «هَاجَرَ» الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ مَلِكُ مِصْرَ، وَتَعْلَقَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ بِوْلِيَدِهِ وَوَحْيِدِهِ، وَكُلَّمَا شَبَّ الْغَلامُ وَنَمَّا: نَمَا حُبُّهُ فِي قَلْبِ أَبِيهِ، وَتَعْلَقَ بِهِ أَكْثَرُ وَأَكْثَرَ.

فأراد الله تعالى أن يختبر خليله ونبيه إبراهيم: أحب الله أعظم أم حب ولده وابنه الذي أوتيه على الكبر؟

وكان الامتحان عسيراً، إن هذا الامتحان هو: أن يقدم إبراهيم ابنه قرباناً إلى الله، ولم يكن ذلك بالوحى الصريح والأمر المباشر، ولكنه كان عن طريق الرؤيا.

رأى في المنام أنه يذبح ولده، ففهم الإشارة، وأطاع الأمر، وجاء لابنه بعد أن بلغ معه السعي، بعد أن أصبح يسعى معه ويذهب ويجيء، ويرجى منه النفع، فقال له: ﴿يَبْنَىَ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىَ﴾ قال يتأبه أفعل ما توئمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين [الصفات: ١٠٢].

هكذا كان موقف الوالد، وهكذا كان موقف الولد، كلّ منهما أسلم لله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَهُ لِلْجَيْنِ﴾ [الصفات: ١٠٣] أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه.

لم يكن في روعة موقف إبراهيم إلا روعة موقف إسماعيل، موقفان سجلهما التاريخ: الوالد يقدم ولده ويُتلّه ويصرعه على جبينه، والولد يقدم رقبته طائعاً مختاراً ويقول لأبيه بثقة المؤمن وإيمان الواثق: ﴿يَأَبِتِ أَفْعَلُ مَا تَوَمَّرُ﴾ [الصفات: ١٠٢] نفذ ما عندك من الأوامر، حتى إنّه لم يقل: افعل بي ما توئمر، لأنّما نسي نفسه وفني عن ذاته، ولم يدع الشجاعة ولا البطولة، ولكنه قال في تواضع المؤمنين، وثقة المتكلمين: ﴿سَتَجَدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

وكان كما وصفه الله: ﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١]، هنا يظهر الحلم، هنا يظهر الصبر، هنا يظهر العقل.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعْهُ السَّعْيَ قَالَ يَنْبُغِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَأْبَىٰ أَفْعَلُ مَا تُؤْمِرُ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَهُ، لِلْجَنِينَ ﴾ وَنَدِينَهُ أَنْ يَتَابَرِهِمُ ﴿قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٣ - ١٠٥]، انتهت الرؤيا، ليس المقصود أن تريق دم ابنك، إنما المقصود أن تذبح حبه في قلبك، أن تقدم أمر الله على عواطفك، وقد نجحت في الامتحان.

وهنا قال له: ﴿قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلْوَةُ الْمُبِينُ ﴿وَفَدِينَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَرَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ سَلَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَبَشَّرَنَهُ بِإِسْحَاقَ نِيَّتًا مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٥ - ١١٢].

جُوزي على هذا الصبر، وعلى هذه التضحية، وعلى هذا الفداء؛ بأن أعطاه الله ولدا آخر: إسحاق، وهو نبي من الصالحين.

لماذا وقف إبراهيم هذا الموقف الخالد؟ ما السر وراء ذلك؟

قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّافات: ١١١] العبودية المؤمنة وراء هذا الموقف البطولي، العبد المؤمن الذي يعبد نفسه لله، ويحررها من كل ما سواه، المؤمن بما عند الله، المؤمن بقدرة الله، المؤمن بلقائه الله، المؤمن بوعده الله، الله تعالى يعطيه قوة غير عادية، قوة فائقة.

ما أحوجنا إليها الإخوة إلى أن نستفيد من هذا الدرس.

الله خلَّدَ هذا الدرس، هذا الموقف العظيم للإنسانية طوال تاريخها، أيدَ الله إبراهيم، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وخلَّدَ هذا الموقف بهذا اليوم، وبالأهمية في هذا اليوم.

حاجتنا إلى تضحية إبراهيمية:

ما أُحوجنا إلى هذا البذل، وإلى هذه التضحية، وإلى هذه الطاعة لله، وإلى الصبر على أمر الله، وخصوصاً في أيامنا هذه.

الإسلام يهاجم من يمين وشمال، ومن شرق وغرب، ومن شمال وجنوب.

هجمة شرسة على هذا الدين، في الخارج وفي الداخل.

تكالب أعداء الإسلام مهما اختلفت هوياتهم، واختلفت أهدافهم، واختلفت طرائقهم، واختلفت دياناتهم، فقد اتفقوا على عداوة الإسلام، وعلى الهجمة على الإسلام.

نرى ذلك في نواحٍ مختلفة وصورٍ شتّى.

ما نراه في أرض النبوات - الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أرض الإسراء والمعراج، القدس الشريف، المسجد الأقصى، أولى القبلتين، أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرحال إلَّا إليها - ما نراه الآن من هذا الاستكبار الإسرائيلي، من هذه الصهيونية الإسرائيلية، من هذا التجُّرِّ الأمريكي، من هذا الغياب الإسلامي، من هذا العجز العربي، ما نراه اليوم يريانا أنّا نعيش عصر غربة الإسلام، الإسلام أصبح غريباً في دياره.

اليهود الذين عاشوا بين ظهرانينا قرونًا طويلة أهل ذمَّة لنا، في ذمَّة الله وذمَّة رسوله وذمَّة جماعة المسلمين، طردتهم العالم كلُّ العالم، لفظهم لفظ النُّواة، ولم يجدوا لهم ملاذاً يؤيدهم، لم يجدوا صدرًا حنونًا إلَّا دار الإسلام، أو طان الإسلام هي التي وسعتهم وأوتهم.



فَلِمَّا تَمْكَنُوا قَلْبُوا لَنَا ظَهَرَ الْمِجْنَنُ، وَأَصْبَحُوا إِلَيْنَا يَرِيدُونَ مَحْوَ
الْقَدْسَ، لَا يَرِيدُونَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى.

لقد قالوا من قديم: لا معنى لإسرائيل بغير القدس، ولا معنى للقدس
بغير الهيكل، أي: ي يريدون أن ينقضوا المسجد الأقصى، ويجعلوا مكانه
هيكل سليمان، الذي يبحثون عنه منذ سنوات وسنوات، ولم يجدوا له أثراً.
هذا هو شأن اليهود.

مستوطنة «أبي غنيم» أو «هارحوما» أو غير ذلك هي حلقة في سلسلة
بدأت من قديم، واتفق عليها الجميع: الليكود والعمل، رابين ونتنياهو أو
بيريز، كلهم سواء في هذه القضية.

حُبُّ الدُّنْيَا وَكُراہیةِ الْمَوْتِ:

الأمر الذي أطمعهم أننا أصبحنا كما جاء في الحديث: كثرة كغثاء
السيل، نزع الله من صدور أعدائنا المهابة منا، وقدف في قلوبنا الوهن.
قال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟

قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكُراہیةِ الْمَوْتِ»^(١).

أحَبَّ النَّاسُ الدُّنْيَا وَتَعَلَّقُوا بِهَا، وَأَصْبَحَ الْكُلُّ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي،
مَصْلِحَتِي مَصْلِحَتِي، وَكَرِهُوا الْمَوْتَ.

كان خالد بن الوليد يغزو الفرس والروم، ويقول للقادة في رسائله إليهم:
أَسْلِمُوا تَسْلِمُوا؛ وَإِلَّا غَزَوْتُكُمْ بِقَوْمٍ يَحْبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تَحْبُّونَ الْحَيَاةَ^(٢)!

(١) سبق تخریجه صـ ٢٩٨، وفيه: «كغثاء السيل».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وثق. عن الشعبي مرسلاً.

نحن نريد هؤلاء.

لقد طمع فينا أعداؤنا، أصبحنا كلّما سمعنا نشرة الأخبار أو شاهدناها، أو طالعنا الصحف في كلّ صباح، نجد قضايا المسلمين وماسي المسلمين هي التي تملأ الصحف، وهي التي تبدأ بها الإذاعات.

نجد ماسي المسلمين في فلسطين، وماسي المسلمين في السودان - الذي جُندت له الجنود، وسلط عليه الجiran، الذين طالما ساعدهم من قبل: إريتريا وأثيوبيا وغيرهما - وماسي المسلمين في كشمير، وماسي المسلمين في الفلبين، ماسي المسلمين في بلاد شتى.

المؤامرات الكيدية الجهنمية لا تحاول أن تغلق ملفاً إسلامياً، كلّقضايا ترك فيها ذيول.

أفغانستان كنّا نظنّ أن قضيتها انتهت، ولكن المكائد التي تكيد لهؤلاء لا تريد أن ينتفع هؤلاء بالنصر، سلطوا بعضهم على بعض.

لا نُعفي إخوتنا هناك من المسؤولية، ولكنّا نشير أيضاً إلى المكر الكبار، إلى الكيد العظيم الذي يُقاد لهم.

وفي كلّ مكان نجد آثار هذه المكائد التي تُقاد للمسلمين، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَرَأُونَنَّكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنَّ أَسْتَطِعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

الحرب على الإسلام في الداخل والخارج:

يا أيها الإخوة، الإسلام يُحارب في الخارج، وبهاجم في الداخل.

رأينا تلك الحملات المسعورة التي تشنّ على دعوة الإسلام، وعلى رسالة الإسلام، وعلى كتاب الإسلام، وعلى رسول الإسلام، رأينا ذلك كلّه.



رأينا من يكتب يشکّك في القرآن، رأينا من يكتب يشکّك في رسول الإسلام.

ورأينا في القنوات الفضائية وفي الحلقات الإذاعية تشکيگاً في المسلمات الإسلامية:

رأينا من يشکّك في تعدد الزوجات، رأينا من يشکّك في الطلاق،
رأينا من يشکّك في الميراث الذي جعله الله فريضة ﴿فَرِيضَةً مِّنْ أُلَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، رأينا من يشکّك في الربا!

رأينا هذه الحملات هنا وهناك.

وكلُّ هذا يدلُّنا على أنَّا في عصر لا بدَّ فيه من الرجعة إلى الله.

زماننا وزمان القدامى:

لو نظرنا ماذا كان يقول الأقدمون عن زمانهم، ماذا يقولون لو رأوا زماننا؟!

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تنشد قول لبيد بن ربيعة الشاعر، صاحب المعلقة:

ذهب الذين يعيش في أكتافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم تقول: رحم الله لبيداً، كيف لو عاش إلى زماننا هذا^(١)؟!

وقد عاشت هي إلى زمنبني أمية.

وكان ابن أختها عروة بن الزبير - وعاش بعدها سنين - يقرأ هذا

(١) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٤٨)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي، باكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

البيت ويقول: رحم الله ليبدأ، ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا^{(١)؟!}

وماذا نقول نحن؟

نحن نقول: رحم الله ليبدأ، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟!

كان الإمام الثوري - وهو في القرن الثاني للهجرة وفي عصر ازدهار الإسلام - يقول: هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت، والرضا بقليل القوت^{(٢)!}

كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟!

وكان شاعرهم يقول:

هذا الزمان الّذِي كَانَ نَحَادُرُهُ
في قول كعبٍ وفي قول ابن مسعودٍ
إن دام هذا ولم تحدث له غَيْرُ
لم يُبَكِ ميَتٌ ولم يُفْرِجَ بِمَوْلَودٍ^(٣)!

كانوا يقولون هذا عن زمانهم، فماذا يقولون عن زماننا هذا؟

انباثق النُّور من الظلام:

أنا لا أريد أن أيسركم أيها الإخوة.

لاشك أن هناك انبلاجات في هذا الظلام، من هذا الظلام انبلاج فجر

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٩٢٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٢) إحياء علوم الدين (٢٢٢/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) من شعر أبي سهل سعيد بن عبد الله الشكلي. انظر: اللطائف والظرائف للشعاليي ص ١٧٦.



جديد، هو فجر البعث الإسلامي، المدد الإسلامي، الإحياء الإسلامي، الصحوة الإسلامية، سمووا هذا الأمر ما تسمونه، ولكنها حقيقة واقعة.

هذه الصحوة هي التي أقلقت القوى المعادية للإسلام، وأقضت مضاجع أعداء الإسلام، وزلزلت أركانهم، فبدؤوا يكيدون كيداً لهذه الأمة، وبدؤوا يمكررون بها مكرراً، وطفقوا يستخدمون كثيراً من الحكام، وكثيراً من الأقلام، وكثيراً من أهل الفكر كما زعموا.

بدؤوا يستخدمون أبناء المسلمين في ضرب الإسلام نفسه، وهذه هي المصيبة.

المصيبة أنَّ الإسلام يُضرب من أهله، وهذا ما قاله أحد المنصرين الكبار^(١) قال: لن ننجح إلَّا حينما نرْبِي من المسلمين مَن يحارب الإسلام، الشجرة لا يقطعها إلَّا أحد أبنائها، لا بدَّ أن نرْبِي من أبناء الإسلام من يقطع الشجرة!

وهذا ما حدث، صنعوا على أعينهم، ورَبُّوا على أيديهم أنساً يتسمون بأسماء المسلمين: محمد، وأحمد، وعبد الرحمن، وعلى، وعمر، وحسن، وحسين إلخ، أسماء إسلامية؛ ولكن عقول غربية.

في رؤوسهم عقول غربية، وفي صدورهم قلوب أوربية أو أمريكية، عقول لا تحمل مفاهيم الإسلام، وقلوب لا تحمل مشاعر الإسلام، ولا وهم لغير الله، وعداؤهم لغير الله، حبُّهم لغير الله، وبغضهم لغير الله.

(١) هو القسيس «زويمير» رئيس إرسالية التبشير في البحرين، حيث ذكر في مقدمة كتابه العالم الإسلامي اليوم: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها» انظر: الغارة على العالم الإسلامي تأليف ا. ل. شاتليه صـ٥٠، تلخيص وترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

ما أحوجنا نحن إلى أن نكون مع الصّحوة، نشدُّ أزرها، نقوّي عضدها،
نغذيها بماء عيوننا، ودم قلوبنا، ودمع عيوننا؛ حتّى ترتوي تلك الشجرة، وتمتد
جذورها في الأرض، وفروعها في السماء، وتهبّي أكلّها كلَّ حينٍ بإذن ربها.

نحن نعتقد أنَّ الغد للإسلام، أنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ أحلَّك
ساعات الليل سوادًا وظلمة هي السويغات التي تسبق الفجر، تشتدُّ
الظلمة ثمَّ ينفجر الفجر، وينفجر النُّور، وهذا هو اعتقادنا.

لكن الأمة لم تزل بخير:

نحن الآن نعيش أيام مهنة لهذا الدين، ولكنَّا لا ننكر أبداً هذه
الجماع المسلمة، المؤمنة بالإسلام، أكثر من مليونين بالأمس كانوا في
صعيد عرفات، وحوالي ثلاثة ملايين كانوا في ليلة القدر (ليلة
رمضان) في الحرم المكي، وأخرون في الحرم المدني.

الآن لو نظرت إلى الذين يصلُّون صلاة العيد من المسلمين ستتجدهم
مئات الملايين.

هذه الأمة لم تكفر بربِّها، لم تكفر بمحمدَها، لم تكفر بقرآنها، لم
تُكفر برسالتها.

الذين كفروا وانحرفو منها قلة قليلة، لا يقام لهم وزن، ولا يُرْعى
لهم اعتبار، ولكن الأغلبية في هذه الأمة لا تزال مع الإسلام، حتّى من
لم يكن مع الإسلام بسلوكه فهو مع الإسلام بعواطفه، بقلبه، ويُتمنى أن
ينصر الله الإسلام.

وكثير من العصاة، المقصّرين في حقِّ الله، المفترطين في جنب الله، لو
دعوتهم إلى أن يذلوا للإسلام لاستجابوا لك.



وَوَاللَّهِ إِنَّ كثِيرًا مِنَ النَّاسِ حِينَما تَحْمِسُهُمْ لِهَذَا الدِّينِ، حِينَما يَسْمَعُونَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، حِينَما يَسْمَعُونَ كَلْمَةً صَادِقَةً مِنْ صَارِخٍ يَصْرُخُ فِي النَّاسِ: هُبُوا إِلَى اللَّهِ، مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ مَنْ يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ؟

سَتَجِدُ مِنْ جَمَاهِيرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مِنْ جَمِيعِهَا، مَنْ يَقُولُ: لَبِيكَ لَبِيكَ، نَحْنُ فَدَاءُ لِهَذَا الدِّينِ!

مِنْ قَدِيمٍ قَالَ الْعَالَمَةُ مُحَبُّ الدِّينِ الْخَطِيبُ فِي مَجْلِسِهِ «الْفَتْحُ»: الْمُسْلِمُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَلَكِنَ الْعَسْرَ فِي الْقِيَادَةِ!

لَا نَجِدُ قِيَادَةً سِيَاسِيَّةً، وَلَا قِيَادَةً فَكَرِيَّةً، وَلَا قِيَادَةً دِينِيَّةً عَلَى الْمُسْتَوْى الْمُطَلُوبِ، سَقَطَتُ الْخِلَافَةُ، وَلَمْ نَجِدْ بَدِيلًا لَهَا.

النَّاصَارَى عَنْهُمْ «بَابًا» يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَنَحْنُ لَيْسَ عَنْنَا «بَابًا» وَلَا «مَامَا» وَلَا أَحَدٌ نَرْجِعُ إِلَيْهِ!

حَتَّى الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ كَلْمَةُ النَّاسِ، كَانُوا هُنَّاكَ مِنْ يَسْمَى «شِيخُ الْإِسْلَامِ» لَا نَجِدُ الآنَ مِنْ نَعْتَبُهُ «شِيخُ الْإِسْلَامِ».

اسْتَطَاعَ السَّاسَةُ أَنْ يَفْسِدُوا الْعُلَمَاءَ، أَنْ يَقْرِبُوهُمْ إِلَى سَاحِطِهِمْ، أَنْ يَشْتَرُوهُمْ بِالْمَنَاصِبِ، أَنْ يَعْكِرُوا عَلَيْهِمْ دِينِهِمْ، فَقَسَدَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَمَا فَسَدَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَكَامِ، انتَشَرَ الْفَسَادُ فِي الْجَمِيعِ - وَالْعِيَادَةُ بِاللَّهِ - إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ.

نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِخَيْرٍ، الْعَسْرَ فِي الْقِيَادَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَبْحُثَ عَنِ الْقِيَادَةِ الْدِينِيَّةِ وَالْقِيَادَةِ الْفَكَرِيَّةِ وَالْقِيَادَةِ التَّرْبُوِيَّةِ، وَأَنْ يَنْضُمَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، مَا أَضَاعُنَا إِلَّا التَّمْزُقُ، إِلَّا التَّعَادِيُّ.

وأنا أدعو العاملين للإسلام خاصة - الذين وهبوا أنفسهم لنصرة هذا الدين - أن يتناسوا الخلافات الجزئية والمعارك الجانبية، وأن يقفوا صفاً واحداً في معارك الإسلام الكبرى: معركة الإسلام مع أعدائه، معركة العقيدة، معركة الشريعة، معركة الدعوة، معركة الأمة، معركة الحضارة، يجب أن ننسى كل المعارض الجزئية والجانبية، ولا نذكر إلا هذه المعركة.

يجب أن نتناسي خلافاتنا، وأن نستعلي على هذه الأمور الصغيرة؛ لنبقى في القضية الكبرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفَّا كَانُوكُمْ بُنَيَّنَ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

أيها الإخوة:

هذه خواطر إنسان يسمع ويرى.
 قلبي يحس وهذه عيني فيما أحس وما أرى^(١)!
 أحس وأرى فلا بد أن أبشركم مشاعري، وأن أظهر لكم ما في قلبي؛
 لتكونوا معي، وتعيشوني فيما أنا فيه.

عصر الصّحوة الإسلامية:

نحن نعيش في عصر يُقاد للإسلام فيه كيد كبير، ولكن هو عصر الصّحوة الإسلامية، صحوة العقول والقلوب، صحوة الإرادات والعزائم، صحوة الالتزام والسلوك، صحوة الدعوة والجهاد، صحوة الرجال والنساء، صحوة الشبان والشابت.

(١) ديوان ولی الدين يكن ص ٩٢، بلفظ مقارب، نشر مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ط ١، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م.



هي صحوة إسلامية عامة في كلّ أقطار الإسلام، وخارج أقطار الإسلام، حتّى في بلاد الغرب وببلاد الشرق الأقصى والأمريكتين، في كلّ هذه البلاد صحوة إسلامية.

وهذه الصّحوة لن تموت، وهذه الأمة لن تموت؛ لأنّها أمّة الدين الخالد، ليس بعد هذا الدين دين، ليس بعد هذه الرسالة رسالة، ليس بعد القرآن كتاب، ليس بعد محمد ﷺ نبي: «مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ» [الأحزاب: ٤٠].

وقد تضمن الله لهذه الأمة بالبقاء، وألا تُستأصل، وتضمن لها ألا تجتمع على ضلاله، وأن تبقى فيها أمّة قائمة بالحقّ: «وَمِنْ خَلْقَنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» [الأعراف: ١٨١].

ولا تزال طائفة من هذه الأمة، قائمة على الحقّ حتّى يأتي أمر الله، وقد روى الإمام أحمد والطبراني، عن أبي أمامة رضي الله عنهما ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم، إلَّا ما أصابهم من لأواء (أي: من أذى) حتّى يأتي أمر الله وهم كذلك».

قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟

قال: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»^(١).

فهذه بشري رسول الله ﷺ: «فَاسْتَبِشُرُوا بِيَعِيكُمُ الَّذِي بَأَيَّعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ» [التوبة: ١١١].

(١) رواه عبد الله في المسند وجادة عن خط أبيه (٢٢٣٢٠)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم إلخ. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٤٨): رجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

وَثَقُوا أَنَّ النَّصْرَ لِهَذَا الدِّينِ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [التوبه: ٣٢، ٣٣].

اللهم انصرنا على أعدائنا أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردد عن القوم مجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين وفي لبنان، وانصر إخواننا في كشمير وفي السودان، وانصر إخواننا في سائر بلاد الإسلام، اللهم أيدهم بروح من لدنك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقوى، ونفوسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رحاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على أمّة الإسلام، واجعله نذير وبال وحسرة وهزيمة على أعداء الإسلام.



اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأعد علينا أمثال هذا اليوم بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبه وترضاه.

اللهم آمين.

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِلْخَوَنَاتِ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وتقبل الله منا ومنكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *



وَقْفَةٌ بَيْنَ عَامَيْ أَفْلَ وَعَامِ أَقْبَلٍ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فِي أَيْهَا الْإِخْرَاجُ الْمُسْلِمُونَ:
نَحْنُ الْيَوْمَ نُؤْكِدُ عَامًا مَضِيَّ وَأَفْلَى، وَنَسْتَقْبِلُ عَامًا قَدْ أَطْلَى عَلَيْنَا
هَلَالَهُ، وَأَهْلَهُ عَلَيْنَا فَجْرٌ ٥.

نرى الهلال فنقول: «الله أكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهْلِهِ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامُ وَالْإِسْلَامُ وَالتَّوْفِيقُ لِمَا تَحِبُّ وَتَرْضِي، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»^(١).
وَدَعَّنَا عَامًا، وَاسْتَقْبَلَنَا عَامًا.

وجوب محاسبة النفس:

ومن حق كل مسلم - بل من واجبه - أن يقف وقفه على رأس كل عام، يحاسب نفسه ويراجع رصيده: ماذا قدم وماذا أخر؟ ماذا في صحيفة المكاسب وماذا في صحيفة الخسائر؟ ماذا في كتاب الحسنات وماذا في كتاب السيئات؟

(١) رواهُ أَحْمَدَ (١٣٩٧)، وَقَالَ مُخْرِجُوهُ: حَسْنُ لِشْوَاهِدَهُ. وَالترمذِيُّ فِي الدُّعَوَاتِ (٣٤٥١)، وَقَالَ: حَسْنٌ صَحِيحٌ. وَالدارِمِيُّ فِي الصُّومِ (١٧٣٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيقَةِ (١٨١٦)، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

من واجب کل مسلم أن يحاسب نفسه، كلما أتيح له ذلك: أن يقف مع نفسه موقف محاسبة في كل يوم وليلة، فينبغي أن يكون للعبد أربع ساعات: ساعة ينادي بها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتذكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو ل حاجته من المطعم والمشروب.

هناك ساعة للحساب، ولتكن في كل ليلة عند النوم، فإذا لم يتيسر للإنسان أنْ يحاسب نفسه عند النوم في كل ليلة، فليحاسبها في كل أسبوع، في آخر الأسبوع، في يوم الجمعة مثلاً، يحاسب نفسه على عمل الأسبوع: ماذا صنع؟ ماذا قدّم وماذا أخّر؟

فينبغي أنْ يحاسب الإنسان نفسه قبل أنْ يُحاسب، وأنْ يزن أعماله قبل أنْ توزن عليه، وأنْ يسأل نفسه قبل أن يصير السؤال إلى غيره: ماذا قدّم في أوامر الله؟ وماذا صنع في نواهي الله؟ هل فرط في الأوامر أم أداها؟ وهل أداها كما أمر؟ وهل أداها لوجه الله أم أداها رياء للناس؟ وماذا صنع فيما نهى الله تعالى عنه من حقوق الله أو من حقوق عباده؟

لا بدّ من هذه الوقفة اليومية، فإن لم تكن فلتكن آخر الأسبوع، فإن لم تكن فلتكن آخر كل شهر، عندما يهُل الهلال يقف الإنسان مع نفسه ويحاسبها: ماذا صنعت في هذا الشهر؟

لا بد للمسلم أن يكون أمين مع نفسه:

ول يكن أميناً مع نفسه كما قال التابعى الجليل ميمون بن مهران:
المؤمن أشد حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح^(١)!

فالشريك الشحيح لا يسامح في دينار ولا درهم ولا دانق ولا فلس!

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٦١). نبذة

فإذا لم يكن هذا، ولم يتم للإنسان حساب نفسه لا في كل يوم ولا في كل أسبوع ولا في كل شهر، فليقف وقفه طويلة للمحاسبة عندما ينقضي العام ويهلّ عام جديد.

ليقف الإنسان مع نفسه محاسباً عن عام مضى: اثنا عشر شهراً، الشهر ثلاثون أو تسعه وعشرون يوماً، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية، كل ثانية من هذه الثانية وكل لحظة من هذه اللحظات مسجلة للإنسان أو عليه.

فهل يقف الإنسان هذه الوقفة على رأس العام ليتذكر ماذا في عام كامل؟

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

جعل الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل، فمن فاته عمل الليل تداركه بالنهار، ومن فاته عمل النهار تداركه بالليل، ومن فاته عمل الأسبوع تداركه في الأسبوع الذي بعده، أو فاته في الشهر تداركه في الشهر الذي بعده.

وينبغي للإنسان أن يقف مع نفسه ليحاسبها؛ فالمؤمن من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

الكييس العاقل الفطن الذي يحسن التدبير والتقدير، هو الذي يدين نفسه ويحاكمها ويحاسبها، قبل أن تحاكم في يوم الدين، ويعمل لما بعد الموت.



والعاجز الأحمق هو الذي يتبع نفسه هواها، يُطلق لها العنان لتصنع ما تشاء، ويتمنّى على الله الأماني، كأمانی اليهود والنصاری حينما قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ فقال القرآن: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

أمانی فارغة، أمانی باطلة؛ لأنّها لا تقوم على أساس صحيح ﴿قُلْ هَا تُؤْمِنُوا بِرُهْنَاتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ مُسَلِّمٌ وَجْهُهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ وَعِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

﴿أَسَلَّمَ وَجْهُهُ لِلَّهِ﴾ إسلام الوجه لله رب العالمين لا شريك له، كما أمر الله رسوله أن يُعلن ذلك:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحَيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آلأنعام: ١٦٢].

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: يُحسن العمل، ويُحسن الأداء.

فلا بد من الأمرين معاً: إخلاص الوجه لله، وإحسان العمل.

اجتمع جماعة من أهل الكتاب وجماعة من المسلمين، فقال جماعة من اليهود: نحن أولى الناس بالله وبدخول الجنّة؛ لأنّنا أتباع موسى، الذي كلّمه الله تكليماً، وآتاه الله رسالته.

وقال النصارى: نحن أولى بذلك؛ لأنّنا أتباع عيسى، روح الله وكلمته.

وقال المسلمون: بل نحن أولى بذلك؛ لأنّنا أتباع النبي الخاتم والكتاب الخالد.

ونزل القرآن يحكم بينهم حكمًا عدلاً، ويقول في الأمر قولًا فصلاً: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ يهودياً

كان أو نصرياناً أو مسلماً ﴿وَلَا يَحْجُدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الْصَّنْعِ حَتَّىٰ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

لا بدّ من محاسبة النفس.

«الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»^(١).

فرقٌ بين الرّجاء والأمنية:

الرّجاء في رحمة الله: أن يعمل الإنسان، ويبذل جهده، ويمثل الأمر، ويتجنب النهي، وي العمل ما استطاع، ويقول: أرجو رحمة ربّي، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، بالإيمان والهجرة والجهاد تُرجى رحمة الله تعالى.

أمّا الأممية فهي أن يتمنى الرحمة والجنة والثواب العظيم دون أن يبذل مجهدًا أو يقدم عملاً، فهذا مخالف لسُنّة الله في الكون، وسُنّة الله في الشرع.

لا بدّ من عمل، ولا بدّ لهذا العمل من حساب للنفس.

نحن الآن نستقبل عاماً جديداً، ومن واجبنا أن نقف مع أنفسنا محاسبين على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي.

كلُّ فرد ينبغي أن يحاسب نفسه.

(١) سبق تخرجه ص ٣٢٢.

الأُمَّةُ تحاسب نفسها:

والأُمَّةُ في مجموعها ينبغي أنْ تحاسب نفسها: ماذا فعلتْ في قضایاها المعلقة؟ ماذا صنعت في مآسيها التي تصابحها وتماسيها؟ ماذا صنعت الأُمَّةُ في عام كامل مضى؟ ماذا صنعت أمة الإسلام التي تبلغ ملياريًّا وربعًا أو ملياريًّا ونصفًا في قضایاها الكبرى؟

ماذا صنعت أمة الإسلام في قضيَّة البوسنة والهرسك خلال اثني عشر شهراً مضت؟

لا زالت القضية كما هي، ولا زال النَّظام العالمي الجديد يعبث بالمسلمين وبمقدرات المسلمين.

ما صرخ المسلمون صرخة تُسمع وتُدوِّي وتقول: يا عالم يا جديـد، يا من تملكون ناصية الأمور في هذا العالم «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

ما فعل المسلمون شيئاً، حتَّى الاستنكار القوي لم يفعلوه، حتَّى مجرد المقاطعة مع ما يسمى بيوجسلافيا لم تحدث.

لازال الصُّرب يعملون في كثير من البلدان، وهم موجودون في كلّ مكان، لم يتخد أحد موقفاً ضدَّهم.

ماذا صنع المسلمون في قضيَّة فلسطين، في أرض التُّبوات، في أرض المقدَّسات، في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؟

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذـي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاکم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحـة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

ما زلنا نجهش لإنجاز مسجد الخليل

ماذا صنعوا بعد الاتفاق الهزيل الذي نرى آثاره السيئةاليوم؟
ولازال «رابين» و«بيريز» وغيرهما يعلنون ويؤكّدون أنَّ القدس هي
العاصمة الأبدية والموحَّدة لإسرائيل.

ما معنى فلسطين بغير قدس؟

قضية فلسطين - قضية المسلمين الأولى - لا زالت معلقة، لو لا بقية من شباب مؤمن رددوا إلى الأمة بعض الاعتبار.

ماذا صنع المسلمون في قضية كشمير؟

ماذا صنع المسلمون في قضية الصومال؟

ماذا صنع المسلمون في قضية جنوب السودان؟

والعالم يحيك المؤامرات ويدبر المكاييد؛ لكي يسطو على السودان، لا شيء إلا لتوجيهه الإسلامي وحكمه بالشريعة، لذلك يُتَأمِّر عليه هنا وهناك، ويحاصره اقتصادياً؛ لكي يركع أمام القوى العدوانية الطاغية.

ماذا صنع المسلمون إزاء هذا كله؟

ليست كل هذه الأشياء من صنع الغير وحده.

لا، هناك أشياء من صنعتنا نحن، والغير يستغلُّ هذا.

لا زال إخوتنا في أفغانستان يقاتل بعضهم بعضاً، إخوة الجهاد ورفقاء السلاح لا زالوا يضربون بعضهم بعضاً بالصواريخ، ولم يستطع أحد إلى اليوم أن يحل العقدة وأن يصلح ذات البين.



وهذا شيء مؤسف أن يحدث هذا بين إخوة الجهاد بالأمس.

وفي اليمن اليوم نجد هذا القتال الضاري، لا بين الشمال والجنوب حقيقة، ولكن بين الماركسيين اليساريين الاشتراكيين وغيرهم من أبناء الشعب الواحد.

وللأسف نجد من العرب والمسلمين من يؤيّد من يسمونهم الجنوبيين ضدّ الشمال أو ضدّ شعب اليمن، ونجد مجلس الأمن يسارع ويصدر القرارات، لا شيء، إلّا لمنع الشرعية الدستورية أن تتمكن من السيطرة على هذا البلد وتحقن الدماء بعد ذلك.

ماذا يجري في بلاد الإسلام؟

ما زال الأمر في الجزائر كما هو، ما زالت الدماء تُراق، والبراء
يقتلون، ولا يعرف من القاتل؟

ولا زالت بلاد إسلامية شتى تعاني ما تعاني.

أمر الأمة أمر تنظر له القلوب، وينقطع له نياط الفؤاد، أمر تذرف العيون من أجله العبرات، وتذهب النُّفوس من أجله حسرات.

أمر الأمة أمر ينبغي أن تفكّر فيه.

ولكن من الذي يفكّر للأمة بعد أن تمزّقت شذرات مذرة، ولم يعد هناك حكماء للأمة يمكن أن يجتمعوا كما اجتمع حكماء صهيون منذ نحو مائة سنة، وفكّروا لإقامة دولة صهيون، وخططوا لإقامتها بعد خمسين سنة، وقامت الدولة بعد خمسين سنة بالفعل؟!

أين حكماء الأمة ليجتمعوا؟

حكّام الأمة تفرّقوا وتمزّقوا، وغلبت عليهم المصالح والأهواء، فهم قد أصبحوا أسارى لكيد أعدائهم، ووساوس خصومهم، يكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم لبعض، وخصوصاً بعد حرب الخليج الثانية التي مزّقت الأمة شرّ ممزق، بضربة واحدة، ضربها ذلك الشيطان المارد، ذلك العدو الماكر الخبيث، فاستطاع أن يدمّر هذه الأمة في أموالها وثرواتها، وأن يجعل البلاد الغنية تستدين، وأن يجرّب علينا أسلحته الجديدة، ويخلّص في أرضنا من أسلحته القديمة، ويدمّر المنطقة بأموال أصحابها، ثم يحاول أن يبنيها بشركاته بأموال أصحابها أيضاً، وهو يتحكّم فيها هنا وهناك: عسكريّاً بجنوده وأسلحته وجوده العسكري المكثف، واقتصادياً، بشركاته وتدخلاته، وسياسيّاً، بما يوحّي به من وصايا ظاهرها المشورة، وباطنها الإلزام!

كلّ هذا تمّ بضربة واحدة «ضربة معلم كما يقولون» استطاع أن يمزّق الأمة، والأمة لا تدرّي ماذا يصنع بها؟
الأمة في حاجة إلى أن تُراجع نفسها.

من يراجع للأمة؟

إنّا نطمع في مجلس للحكّماء يعلو على الخلافات السياسية، ويعمل على الاعتبارات المحلية والإقليمية والعرقية والقبلية والطائفية، ويفكّر في أمر هذه الأمة، أمّة القرآن، أمّة الإسلام، الأمة التي يفترض أن تكون خير أمّة أخرجت للناس.

يا أيّها الإخوة، ما أحوج الأمة إلى أن تُحاسب نفسها في ختام العام،



وتراجع نفسها، وتنظر: ماذا صنعت في أمسها؟ وماذا تصنع في يومها؟
وماذا ستصنع لغدتها؟

هذا هو شأن الأمم الحية.

أمّا الأمم الميتة فلا طمع فيها، ولا خير فيها، ولن تفكّر في أمس
ولا يوم ولا غد.

لن تفكّر في الأمس لتعتبر به، ولن تفكّر في اليوم لتعمل له، ولن
تفكر للغد لتخطّط من أجله.

فيما ترى هل أمتنا أمّة حيّة أم أمّة كُتب عليها الممات؟

إنّا نعتقد أنّ هذه الأمة لن تموت؛ لأنّها أمّة الخلود، هي ختام الأمم،
هي الأمّة التي كلفها الله بالرسالة الخاتمة، بالرسالة الخالدة، ولذلك
تكفّل الله أن لا يهلكها بسنة عامّة، ولا يسلط عليها عدوًا من غيرها
فيستبيح بيضتها^(١)، وهيأ الله لها طائفة لا تزال قائمة على الحقّ لا يضرّهم
من خالفهم حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك^(٢).

هذا هو شأن هذه الأمة.

(١) إشارة إلى حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَسَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أَمْتِي سَيُلْعَغُ مَلْكَهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتِ الْكَتَزِينَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لَأَمْتِي أَلَا يَهْلِكُهَا بَسْنَةً عَامَّةً، وَأَلَا يَسْلُطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سُوَى أَنفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِعُهُمْ بِيَضْتِهِمْ»، وإنّ ربي قال: يا محمد، إنّي إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنّي أعطيت لأمتك ألا يهلكهم بسنة عامّة، ولا يسلط عليهم عدوًا من سوی أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبّي بعضهم بعضاً». رواه مسلم في الفتنة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥).

(٢) سبق تخریجه ص ٢٧.

هذه الأمة أمة باقية حتى تقوم الساعة، ما بقي القرآن، وما بقيت السنة، وما بقي هذا الدين.

ستظل هذه الأمة، ستظل فيها هذه الطائفة القائمة بالحق، الناصرة له، المنصورة به، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يُهْدِيُونَ بِالْحَقِّ وَيُهْدَى بِإِعْدَلْوَنَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

قبل ذلك في هذه السورة «الأعراف» قال: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يُهْدِيُونَ بِالْحَقِّ وَيُهْدَى بِإِعْدَلْوَنَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ثم قال: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ فقال الحافظ ابن كثير: قد جاء في الآثار أن المراد بالأمة المذكورة في هذه الآية هي الأمة المحمدية، ونقل عن أبي جعفر الرازبي عن الربيع بن أنس في هذه الآية حديثا يقول: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى يَنْزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَى مَا نَزَلَ»^(١).

علينا نحن إذن أن نعمل على تكثير هذه الطائفة، على تقوية عضدها وشد أزرها؛ حتى تؤدي رسالتها تحت الشمس.

وقد جرت سنة الله أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلاله، قد يضل الكثيرون، بل قد يضل الأكثرون، ولكن تظل هذه الطائفة وهذه الجماعة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلّا ما أصحابهم من لأواء - أي: من أذى - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٨٩)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.

قیل: يا رسول الله، وأین هم؟

قال: «بیت المقدس، وأکناف بیت المقدس»^(١).

أی: هم فی فلسطین وحول فلسطین من بلاد الشام ومصر.

ستظلُّ هذه الطائفة قائمة على الحقّ، فلا ينبغي أن يتسرّب اليأس إلى قلوبنا.

مهما تدلّهم الخطوب، ومهما تتوالى الكروب، ومهما تتلبّد الغیوم في السماء، فهذه الغیوم لا بدَّ أن تنقشع، ولا بدَّ أن تنكشف يوماً عن شمس ساطعة، ليس دونها غيم ولا سحاب.

إِنَّ بَعْدَ اللَّيْلِ فَجْرًا، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشّرح: ٥، ٦].

وجاء في الأثر: «لن يغلب عسرٍ يسرٌ»^(٢).

وقال ابن مسعود: لو دخل العسر جحراً لتبّعه اليسر حيث كان^(٣).

فالأمل قوي أن تستعيد هذه الأمة ثقتها بالله، ثم ثقتها بنفسها، وأن تظلَّ اليقظة وتستمرَّ الصَّحوة، رغم قوَّة الكيد الذي يدبُّ للصَّحوة وشبابها وأبنائها في كل مكان.

الصَّحوة تضرَّب بيد من حديد في المشرق والمغرب، وفي الشمال والجنوب، والضربات عنيفة.

(١) سبق تخریجه ص ٣٥٩.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢١)، تحقيق الأعظمي، وابن أبي شيبة في البعثة والسرايا (٣٤٥٣٢)، والحاكم في التفسير (٣٢٩/٢)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عمر موقوفاً.

(٣) رواه ابن الجعدي مسنده (١٠٩٩).

على قدر ما كانت الصّحوة قوية، جاءت الضربات قوية وشديدة.
ولكن هل تستطيع هذه الضربات أن تخمد الجذوة، وأن تقتل
الصّحوة، وأن تؤخّر المسيرة؟
قد تؤخّرها قليلاً، ولكن المسيرة ستستمر، والصّحوة ستمضي،
وال التاريخ لن يعود إلى الوراء.

لن يستطيع هؤلاء أن ينطحوا المريخ، أو يوقفوا التاريخ، لن
يستطيعوا أن يوقفوا الزَّحف، لن يستطيعوا أن يصدُّوا الفجر عن الطلع،
أو الشمس عن الشروق.

ما الذي نتعلم من هجرة الرسول ﷺ

لا بدّ من الأمل، وهذا درس نتعلّمه من هجرة النّبي ﷺ؛ فحينما
هاجر وخرج من بلده مطارداً هو وصاحبه أبو بكر، تبعهما أحد فرسان
العرب الطامعين في الجائزة التي رصّدتها قريش لمن يأتي بمحمد
وصاحبه حيين أو ميتين، وهي مائة ناقة، ثروة أي ثروة، وقد سمع بذلك
الفارس الجعشي المدلجي «سرaque بن مالك بن جعشم»، عرف من
بعض القادمين أنه رأى سواداً يشتبه أنه محمد وصاحبه.

فأدرك أنه محمد ﷺ فقال: لا ليس هو؛ وذلك ليدخل الجائزة - التي
يحسب أنه ضمنها - لنفسه، وأمر خادمه أن يهيئ له الفرس والسلاح،
ويخرج به خارج الديار.

وذهب فعلاً، وركب فرسه، وامتطى جواده، وأخذ سلاحه ورممه
وعدّته، وطار بالجواد حتى أدرك النّبي وصاحبه أبو بكر، فعثرت قدم
فرسه مرّة ومرّة، ثمّ غاصت أقدام الفرس في الأرض.

فُرِّعَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حِمَايَةِ رَبِّهِ، فَطَلَّبَ مِنْهُ الْأَمَانَ، وَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ لِي كِتَابًا يَكُونُ آيَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فَهِيرَةَ فَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ فِي رُقْعَةٍ^(١).

ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ بِكَ - يَا سَرَاقةً - إِذَا لَبَسْتَ سَوَارِيَ كَسْرَى؟».

قَالَ لَهُ: كَسْرَى بْنُ هَرْمَزْ؟!

قَالَ: «نَعَمْ كَسْرَى بْنُ هَرْمَزْ»^(٢).

سَمِعَ الرَّجُلُ هَذَا وَهُوَ غَيْرُ مُصْدِقٍ أَنَّ هَذَا الْمَطَارَدُ الْمَهَاجِرُ يَطْمَعُ فِي أَنْ يَرِثَ مَمْلَكَةَ كَسْرَى وَكُنُوزَهُ.

فَأَخْذَ هَذَا الْكَلَامَ، وَدَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ.

حَتَّىٰ كَانَ عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ فُتْحَتْ مَمْلَكَةُ كَسْرَى وَفُتْحَ إِيَّوَانُ كَسْرَى فِي الْمَدَائِنِ، وَجَاءَتْ كُنُوزُ كَسْرَى، وَمِنْهَا سَوَارَاهُ، فَتَذَكَّرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بُشْرَى النَّبِيِّ ﷺ لِسَرَاقةَ، فَنَادَى فِي النَّاسِ: أَيْنَ سَرَاقةُ بْنُ مَالِكَ؟

فَجَاءَ مِنْ وَسْطِ الْجَمَاهِيرِ وَهُوَ يَقُولُ: هَا أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: أَتَذَكَّرُ يَوْمَ قَالَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ كَذَا وَكَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ أَذْكُرُهُ وَلَا أَنْسَاهُ.

(١) سبق تخریجه ص ٢٤. وانظر قصة سراقة مع النبی ﷺ في باب: هجرة النبی ﷺ، من كتاب: مناقب الأنصار في صحيح الإمام البخاري (٣٩٠٦).

(٢) سبق تخریجه ص ٢٤.

فقال له: تعال ألبسك سواري كسرى.

وألبسه السوارين، وقال له: قلْ الحمد لله الذي أذلَ بالشّرك
كسرى، وأعزَ بالإسلام سراقة بن مالك أعرابياً منبني مدلج بوآلاً
على عقبيه^(١).

هكذا كان أمل رسول الله ﷺ وهو مطارد من بلده، كان يعتقد أنه
سينتصر، وأن دينه سيظهر، وأن الله ناصر عبده، ومعز جنده، وهازم
الأحزاب وحده.

وقد حدث هذا.

لا بد للحق أن ينتصر:

انتصر رسول الله ﷺ، وعاد إلى مكة - التي خرج منها مطارداً -
فاتحاً، يضرب الأصنام بيده فتخر على وجوهاه وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ
الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١].

هذا هو شأن الحق، لا بد للحق أن ينتصر، وإنما ينتصر الحق إذا
وجد له أهلاً ورجالاً يؤمنون به، ويدعون إليه، ويجهدون في سبيله،
ويتحملون تبعاته مهما قدّموا الغالي والرخيص من أجله.

لا ينتصر الحق وحده، إنما ينتصر الحق بالرجال:

وعادة السيف أن يُزهى بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل^(٢)

(١) الروض الأنف للسهيلي (١٤٢/٤)، تحقيق عمر السلامي، نشر دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - م٢٠٠٠.

(٢) انظر: ديوان الطغرائي ص ٣٠٧، تحقيق د. علي جواد طاهر، ود. يحيى الجبوري، نشر مطبع
الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.



والله تعالى يقول لرسوله: «وَإِن يُرِيدُوا أَن يَمْحَدُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» [الأنفال: ٦٢].

نحن نأمل أن ينتصر الحق، وينتصر الحق بأهله المؤمنين المترابطين المتآلفين: «وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَا تَكُنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بِنَفْسِهِ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [الأنفال: ٦٣].

فلنكن نحن من أهل الحق وجنته وأنصاره؛ فإن الإسلام لا ينتصر بغيرنا، لا يمكن أن ينصر الإسلام إلا أهله المسلمين، ولا يمكن أن ينتصر الإسلام بغير المسلمين، ولا يمكن أن ينتصر بجند السماء ما لم يكن هناك جند الأرض، جند السماء ينزل ليثبت جند الأرض ويقوّي قلوبهم: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثِبِّتو أَلَّذِينَ آمَنُوا» [الأنفال: ١٢].

نزلت الملائكة في بدر لثبت المؤمنين.

فأما إذا لم يوجد مؤمنون، فلن تنزل الملائكة على فراغ.

لنحمل روح أهل بدر، لنحمل روح المهاجرين والأنصار:

المهاجرين: «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّغَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» [الحشر: ٨].

والأنصار: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَالْأَيْمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاَصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الحشر: ٩].

الأنصار الذين وصفوا بأنهم يكررون عند الفزع ويقللون عند الطمع.

عندما تطلب النجدة، عندما تطلب التضحية، عندما يطلب البذل يكونون في أول الصفوف عند أول نداء.

وعند الغنائم، عند المكاسب والمطامع يكونون آخر الناس، وربما
لا تجدهم أصلًا.

هذا هو الذي نريده اليوم.

مجد الجدد عزيز أن نضيعه
مستعبدين وقد شادوه أحراها
هيّا بنا يا بني الإسلام نرجعه
مهاجرين كما كانوا وأنصارا^(١)

لنحمل روح المهاجرين والأنصار، ولنعمل من أجل هذا الإسلام،
لا ندّخر وسعاً في نصرته، لا نبخل بنفس ولا نفيس، ولا نضن بغالٍ
ولا رخيص، فليس لنا بقاء إلّا بهذا الدين.

نحن بغير الإسلام لا شيء، وبالإسلام كلّ شيء، ولن يعزّنا الله إلّا
بهذا الدين، كما قال ابن الخطاب: نحن كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام
فمهما نطلب العزّ بغيره أذلّنا الله^(٢).

أسأل الله تعالى أن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيراً
من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، ويُجزّنا من خزي الدنيا
وعذاب الآخرة.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله لي ولكم،
فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) من شعر الأخ الصالح محمد زكي التّجّار من أبناء محلّة زياد مركز المحلّة الكبّرى رحمه الله.

(٢) سبق تخرّيجه ص ٤٥.

الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد ورد أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً إِجَابَةً، لَا يَصَادِفُهَا عَبْدُ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتِجَابَ لَهُ^(١)، وَلَعَلَّهَا تَكُونُ هَذِهِ السَّاعَةُ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دِنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةَ لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسَنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمَنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأَمْوَارِ كُلَّهَا، وَأَجْزِنَا مِنْ خَزِيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالَنَا أَوَّلَهَا، وَخَيْرَ أَعْمَالَنَا خَوَاتِيمَهَا، وَخَيْرَ أَيَّامَنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ.

اللَّهُمَّ اجْمِعْ كَلْمَةَ الْأَمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْهُدَىِ، وَقُلُوبَهَا عَلَى التَّقْوَىِ، وَنِيَّاتُهَا عَلَى الْجَهَادِ فِي سَبِيلِكَ، وَعَزَائِمُهَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.

اللَّهُمَّ أَلْفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنَهُمْ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي الْبُوْسَنَةِ وَالْهَرْسَكِ، وَانْصُرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي فَلَسْطِينَ، وَانْصُرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي كَشْمِيرِ، وَانْصُرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي جَنُوبِ السُّودَانِ، وَانْصُرْ إِخْوَتَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي الْفَلَبِينِ، وَأَئِيدِ إِخْوَتَنَا الْمُضْطَهَدِينَ وَالْمُمْتَحَنِينَ فِي سَائِرِ أَرْضِ الْإِسْلَامِ.

(١) سبق تخریجه ص ٦٦.

اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول
بعنائك أمرهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصربين المتوحشين،
اللهم عليك بالشركين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهم فرق جمعهم، وشتّت شملهم، ونكّس أعلامهم، وزلزل أقدامهم،
وأدِل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد
من عبادك المؤمنين، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرُد عن القوم مجرمين.

اللهم خذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم لا تكينا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنبنا من
لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رحاء وسائر بلاد المسلمين.
﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عبد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ تَسْلِيْمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلام وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
وأقم الصلاة.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُو سَيْفِ الْقَرْضَابِيِّ



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٦٠٥	٣٠٥
سورة البقرة		
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	١١١	٣٦٥
﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ وَعِنْدَ رَبِّهِ ﴾	١١٢	٣٦٥
﴿وَلَلَّهِ الْمَسْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَإِنَّمَا تُولُوا فَشَّامَ وَجْهُ اللَّهِ ﴾	١١٥	٢٩٥
﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَبَعَ مِلَّهُمْ ﴾	١٢٠	٣٣٨
﴿وَكَذَلِكَ جَعَنَتُكُمْ أُمَّةً وَسَطَا إِنْكَوْنُو شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ ﴾	١٤٣	٢٩٦ ، ٤٢
﴿يَتَأْيَهَا النَّاسُ كُلُّو مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾	١٦٨	١٧٢
﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٧٣	١٣٤
﴿يَتَأْيَهَا الَّذِينَ ءاَمَنُوا كُثِيرٌ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلَىٰ ﴾	١٧٨	١٥٨
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَّةٌ يَتَأْوِلُ إِلَّا لَبِّ لَعَلَّكُمْ تَتَقَوَّنَ ﴾	١٧٩	١٥٨
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ فَمَنْ تَطَوعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾	١٨٤	١٨٤

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٢٧ ، ٧٦	١٨٥	﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَدَهُ مِنْ أَيَّامِ أُخْرَ﴾
٢٦٦	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادٍ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
٢٦٦	١٨٧	﴿أَجِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى يَسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ﴾
١٥٣ ، ٧٠ ، ٣٥	١٩٥	﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَنْكَةِ﴾
٣٢٣	١٩٧	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الْزَادِ الْتَّقْوَىٰ وَأَتَقْوُنَ يَأْتُونَى الْأَلْبَابِ﴾
٣٥٢ ، ٣٣٨	٢١٧	﴿وَلَا يَرَأُونَ يُعَذِّلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُو﴾
٣٦٦	٢١٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ﴾
٢٤٩	٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾
٥٩	٢٢١	﴿وَلَا نَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ وَلَا مَهْمَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَاتِهِنَّ﴾
٢١٣	٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
٢٦٦	٢٢٣	﴿يُنَسَاوِيكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّىٰ شَيْئُتُمْ وَقَدِيمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾
٢٣٧	٢٢٩	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَعْدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
١٩٧ ، ١٩٦	٢٣٣	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّمَ الْرَضَاعَةُ﴾
٩٧	٢٤١	﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾
١٧٩	٢٦١	﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾

سورة آل عمران

١٩	٥٤	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَذَكُورِينَ﴾
٣٤٧	٦٨	﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ وَهَذَا أَنَّىٰ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
١٢	٨٥	﴿وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
٢٥٦	١٠١	﴿وَمَن يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
١٠٤	١٠٥	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالذِينَ نَفَرُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾
١٠٤	١٠٦	﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَسَوْدَ وُجُوهٌ﴾
٤١	١٤٠	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
٣١٧	١٤٤	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾
٢٨٩ ، ٥٠ ، ٢٩ ٣٨٠ ، ٣٦١ ، ٣٤٣	١٤٧	﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا﴾
٣١٦	١٨٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَتْهُ الْمَوْتِ﴾
٢٢٨	١٩٥	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِيلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾

سورة النساء

٣٥٣	١١	﴿فَرِيقَةً مِنْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
١٣٤	٢٣	﴿حِرِّمْتَ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ﴾
٢٦٤	٢٨	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِقَ عَنْكُمْ وَحْلَقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾
٧٠ ، ٣٥ ١٥٣ ، ٨٢	٢٩	﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْتَكُمْ بِالْبَطِيلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِحَرَةً﴾
٢٦٨ ، ٢٤٩	٤٣	﴿يَتَأَبَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الْأَسْلَوَةَ وَأَنْسُمْ سُكَّرَى﴾
١١٩	٥١	﴿أَللَّهُ تَرِإِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبَهَا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَّتِ﴾
١١٩	٥٢	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَعْنِي اللَّهَ فَلَنْ يَحْدَدَ لَهُ نَصِيرًا﴾
٣٢٠	٧٧	﴿فُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا ظَلَمُونَ فَنِيلًا﴾
٣٢٠	٧٨	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٣٦	١٠٤	﴿وَلَا تَهُنُّ أَبْغَاءَ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَالِمُونَ فَإِنَّهُمْ بِالْمُؤْمِنِ﴾
٣٦٦ ، ٣٦٥	١٢٣	﴿وَلَا يَحْدُّ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا نَّقِيرًا﴾
٣٦٦	١٢٤	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّنْكِلَحَدِّ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾
٢٥١	١٤٠	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ إِيمَانَ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا﴾
١٥٢	١٦٠	﴿فَإِظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَ مَا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتِ أَحْلَاتُهُمْ﴾
١٥٢	١٦١	﴿وَأَخْذِهِمُ الْرِّبَوْأ وَقَدْ ثُبُّوْعَهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطِيلِ﴾
سورة المائدة		
١٢	٣	﴿الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾
٢٦٨	٦	﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾
١٥٨	٣٢	﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾
١٥٩	٣٣	﴿إِنَّمَا جَرَبُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾
٧١	٥١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْ لِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْ لِيَاءَ بَعْضٍ﴾
٢٩٨	٦٧	﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾
١١٩ ، ٥٨	٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
١٨٤	٨٩	﴿فَكَفَرُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشَرَةِ مَسَكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيْكُمْ﴾
٢٤٩ ، ١٤٩ ، ١٣٠	٩٠	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنَصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ﴾
٢٤٩ ، ١٤٩ ، ١٣٠	٩١	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالبغْضَاءَ فِي الْحُمُرِ وَالْمَيْسِرِ﴾
١٧٨	١٠٣	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِقَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة الأنعام		
٣٣٧ ، ٢٨	٨٩	﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ إِنْتَنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمُ وَالنُّبُوَّةُ فَإِنْ يَكْفُرُوا بِهَا هُوَلَاءُ﴾
٣١٨	٩٤	﴿وَلَقَدْ جَعَلْتُمُوا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَرَكِّبْتُمُ مَا خَوَلَنَّكُمْ وَرَأَءَ ظُهُورِكُمْ﴾
١٧٩	١٤٠	﴿فَدَّ خَيْرَ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾
١٧٩	١٤٣	﴿قُلْ إِلَّا لَذَّكَرِينَ حَرَمَ أَمِّ الْأَنْثِيَنِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأَنْثِيَنِ﴾
١٩٤	١٥١	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِيمَانِكُمْ تَخْنُونَ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾
٣٣٣	١٥٣	﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنِعِّمُوا السُّبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُّلُونَ﴾
٣٦٥ ، ٣٤٦	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٣٤٦	١٦٣	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ﴾
سورة الأعراف		
١٧٤	١٠	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا نَشَكُرُونَ﴾
١٧٤	١١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَكُمْ ثُمَّ صَوَرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِإِدَمَ﴾
٢١٣ ، ١٨٨	٢٣	﴿فَالَّا رَبَّنَا ظلمَنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾
١٨٠ ، ٨١ ، ٣١ ، ٤	٣١	﴿يَبْنَىٰ إِدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَشَرُبُوا وَلَا تُشْرِقُوا﴾
٣١ ، ٤	٣٢	﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِيَّةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبَابَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾
٣١١	٣٤	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقُدُونَ﴾
٢٥٩	٨٤	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِنْقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾
١٨٧	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٠٥	١٥٦	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوَةَ﴾
١٥٢	١٥٧	﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّيْبَاتِ﴾
١٢٦	١٥٨	﴿فُلْ يَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
٣٧٢	١٥٩	﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدَىٰ يَعْدُلُونَ﴾
٣٣٧ ، ٢٧ ٣٧٢ ، ٣٥٩	١٨١	﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدَىٰ يَعْدُلُونَ﴾
سورة الأنفال		
٣٧٧	١٢	﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثِبِّتوَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
٢٨٢	٢٥	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾
١١٠	٣٠	﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِّرِينَ﴾
١٠٤	٤٦	﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾
٣٧	٦٠	﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ﴾
٣٧٧	٦٢	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدُعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ﴾
٣٧٧	٦٣	﴿وَالَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾
٣٠٥ ، ٦١	٧٣	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَاءُهُ بَعْضٌ إِلَّا تَقْعُلُهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ﴾
سورة التوبة		
٣٤٤	٣	﴿وَأَذَنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحِجَّ الْأَكْبَرِ﴾
١٠٥	٥	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ فَخَلُوا سَيِّلَاهُمْ﴾
١٠٥	١١	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ فَإِحْوَنُكُمْ فِي الْيَنِ﴾
٣٦٠ ، ١٤٦	٣٢	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
٣٦٠ ، ١٤٦	٣٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينُ الْحَقِّ لِظَاهِرٍ عَلَى الْأَدِينَ كُلِّهِ﴾
٢٢ ، ٢١ ، ٤	٤٠	﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾
١١٤	٥٢	﴿ هَلْ تَرَبَصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبَصُ بِكُمْ﴾
٢٨١ ، ١٠٥	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾
٣٤٠	١٠٤	﴿ الَّذِي يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾
٣٥٩	١١١	﴿ فَاسْتَبِشُوا وَبِيَعْكُمُ الَّذِي بَأْيَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ﴾

سورة يونس

٣١٤	٤٥	﴿ كَانَ لَمَّا يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ الظَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾
٣٢٩	٥٨	﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ﴾
٢٩١	٨٣	﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرَيْرَةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى حَنْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَتِهِمْ﴾

سورة هود

١٧٤	٦	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾
٢٥٨	٦١	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا﴾

سورة يوسف

٢٠٤	٩	﴿ أَقْنُلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ﴾
٢٩١ ، ٢٢٣	٢٣	﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ﴾
٢٩١ ، ٢٦٩	٣٢	﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُنَتِّنِ فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمُ
٢٩٢ ، ٢٦٩	٣٣	﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾
١٧٦	٤٧	﴿ تَرَزَّعُونَ سَبْعَ سِينَ دَابَّاً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٧٧	٤٨	﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شَدَادٌ يَا كُنْ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حَصَّنُوكُنَّ﴾
٨٤	٨٧	﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾
١٧٧	٨٨	﴿ يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَاهْنَا الْضُرُّ وَجَثَنَا بِضَعَةٍ مُزْجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ﴾
٢٩٧ ، ١٣٩	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَيِّلَةٌ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَبَعَنِي﴾
١٧٦	١١١	﴿ لَقَدْ كَاتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولَئِكَ الْأَلَّابِ﴾
سورة إبراهيم		
١٣٦ ، ١٣٥	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾
٣٤٧ ، ١٩٩	٣٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾
سورة الحجر		
٢٧٨	٧٢	﴿ لَعَمِرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكُونٍ يَمْهُونَ﴾
سورة النحل		
١٧٢	١٤ - ١٠	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾
١٤٩	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّاغُوتَ﴾
١٩٥ ، ١٩٣	٥٨	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأَنْتَيْ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾
١٩٥ ، ١٩٣	٥٩	﴿ يَنْوِرَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾
١٧٣	٦٨ - ٦٦	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لِعِبْرَةً سُقِّيْكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهِ﴾
٣١٠	٧٧	﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾
٣٠	٩٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَيْهِ الْحَسَنِ وَإِيتَاهُ ذِي الْقُرْبَاتِ﴾
١٦٩	١١٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيْةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٤٧	١٢٣	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾
٢٩٧ ، ١٤٥	١٢٥	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمُحَسَّنَةِ ﴾
سورة الإسراء		
١٩٤	٣١	﴿ وَلَا نَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ هُنْ نَرْزُفُهُمْ وَإِنَّا كُلُّنَا ﴾
٢٥٨ ، ١٥٠	٣٢	﴿ وَلَا تَقْرِبُوا الْزِفْرَ إِنَّهُ كَانَ فَدِحْشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا ﴾
١٦٣	٦٥	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾
١٧٢	٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَرِمَنَا بَنِي آدَمَ وَهَمَّتْهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الْطَّيْبَاتِ ﴾
٣٧٦	٨١	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زَهُوفًا ﴾
سورة الكهف		
٢٩١	١٣	﴿ تَحْنُونُ نُفُسُّكُمْ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ أَمْتُهُمْ بِرَبِّهِمْ وَرَذِّنَاهُمْ هُدَىً ﴾
سورة مریم		
١٩٩	٦ - ٣	﴿ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً حَفِيَّاً قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَّ الْعَظُومُ مِنِّي ﴾
٢٢٣	١٤ - ١٢	﴿ يَبِحِّي خُذِ الْكِتَبَ بِقُوَّةٍ وَإِنَّهُ لِلْحَكْمِ صَبِيًّا ﴾
سورة طه		
٣٣٥	٨٤	﴿ وَعَجِّلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرَضَى ﴾
٢٤٠	١٣٢	﴿ وَأَمْرَأَهُكَ بِالصَّلَوةِ وَاصْطَرِرَ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا تَحْنُونُ رِزْفَكَ وَالْعَنْقَبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾
سورة الأنبياء		
٣١٧	٣٤	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلَدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾
٣١٦	٣٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩١ ، ٢٢٤	٦٠	﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَيَّذْكُرُهُمْ يُقَاتَلُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾
٣٤٧	٦٩	﴿ يَسْنَارُ كُفَّيْ بَرَدًا وَسَلَنَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾
١٢٦	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾
سورة الحج		
٣٤٤	٢٩	﴿ وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾
١٤٩	٣٠	﴿ فَاجْتَنَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنَبُوا قَوْلَكَ الْزُّورِ ﴾
٢٥	٤٠	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيْنِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾
سورة المؤمنون		
٢٦٣	٥	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ ﴾
٢٦٣	٦	﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ ﴾
سورة النور		
٢٦٠	٣٠	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ﴾
٢٨٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦١	٣١	﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾
٢٥٩	٣٢	﴿ وَأَنِّكُحُوا الْأَيْمَنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِحَيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَامَيْكُمْ ﴾
سورة الفرقان		
١٢٦	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
٣٦٤	٦٢	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾
سورة الشعراء		
٢١	٦٢ ، ٦١	﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَاينَ ﴾
٢٥٩	١٦٦	﴿ وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة النمل		
١٤	١٤	﴿ وَحَمَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنْتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾
٢٥٩	٥٥	﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَانِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾
سورة القصص		
٣٠٤	٣٥	﴿ سَنَشُدُ عَصْدَكَ يَا حَسِيكَ ﴾
سورة العنكبوت		
٢٥٩	٣٠	﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾
٢٢	٤١	﴿ مَثُلُ الَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ﴾
٣٢٦ ، ٢٨٩ ، ٥٠	٤٥	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
٣١٦	٥٧	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾
سورة الروم		
٣٤٢	٦ - ٤	﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّصِرْ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴾
٢٢٨	٢١	﴿ وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾
١٦٧	٤٧	﴿ وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٩٠ ، ٢١١	٥٤	﴿ أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾
سورة لقمان		
١٧٣	٢٠	﴿ أَلَمْ تَرَوْ أَنَّ اللَّهَ سَحَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ بِغَمَدٍ ﴾
سورة الأحزاب		
٢٨٣	٣٢	﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٥٩	٤٠	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾
٢٨٩ ، ٥٠ ٣٨٠ ، ٣٢٦	٥٦	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَبَّهَا الظَّالِمُونَ أَمَّا مَنْ صَلَّوْا عَلَيْهِ﴾
٢٨٣	٥٩	﴿يَتَأَبَّهَا النَّبِيُّ فَلِلَّا إِلَهَ إِلَّا وَجَهُكَ وَبَنَائِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَيلِهِنَّ﴾

سورة يس

١٩	٩	﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَكَّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾
١٨١	٣٥ - ٣٣	﴿وَإِيَّاهُ هُمُ الْأَرْضُ الْمَيَّةُ أَحْيَنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبَّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾

سورة الصافات

٣٤٧	٩٩	﴿وَقَالَ إِنِّي دَاهِبٌ إِلَى رَقِيٍّ سَيِّدِينِ﴾
٣٤٧ ، ١٩٩	١٠٠	﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾
٣٤٨ ، ١٩٩	١٠١	﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾
٣٤٨ ، ٢٩١ ، ٢٢٣	١٠٢	﴿يَبْشِّرُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾
٣٤٩ ، ٣٤٨	١٠٥ - ١٠٣	﴿فَمَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْشِّرُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾
٣٤٩	١١٢ - ١٠٥	﴿فَقَدْ صَدَقَتِ الْرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَخْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
٣٤٩	١١١	﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٤٣	١٨٢ - ١٨٠	﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾

سورة الزمر

١٤٩	١٧	﴿أَنَّ يَعْبُدُوهَا﴾
٣١٧	٣١ ، ٣٠	﴿إِنَّكَ مَيْتُ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ لَخَصِّصُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة غافر		
٢٧	٣	﴿غَافِرُ الدَّنَبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الْأَطْوَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾
سورة فصلت		
١٧٤	١٠	﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ﴾
٣٠٧ ، ٢٩٧	٣٣	﴿وَمَنْ أَحَسَنْ قُولًا مِمَّنْ دَعَ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
٢٧١	٤٢	﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
سورة الشورى		
١٤٩	٣٧	﴿وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبَرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحَشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾
١٩٣	٤٩	﴿إِلَهٌ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهُبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِذَاً﴾
١٩٣	٥٠	﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ فَقِيرٌ﴾
سورة الزخرف		
٢٩٢ ، ١٤	٢٣	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إِنْتَرِهِمْ مُفْتَدِرُونَ﴾
سورة الجاثية		
١٧٣	١٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾
٦١	١٩	﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أُولَاءِ بَعْضٍ﴾
سورة الحجرات		
٣٠٢ ، ١١٨ ، ٨٦	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
سورة الحديد		
١٠٦	٢١	﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الحشر		
٣٧٧	٨	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾
٣٧٧	٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَإِلَيْهِمْ يُحْبَّونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾
٢٨٩ ، ٢٩ ، ٨ ٣٤٣ ، ٣٢٦ ٣٨٠ ، ٣٦١	١٠	﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَّا خَوِّنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِإِلَيْمَنِ﴾
سورة الممتحنة		
٣٤٧	٤	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾
سورة الصاف		
٣٥٨ ، ٣٠٤	٤	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفَّا كَانَهُمْ بِيَنَّ مَرْصُوصٍ﴾
٢٠٧ ، ٢٦	٩	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرُهُ عَلَى الْمِنَّ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
سورة الجمعة		
١٠	٤	﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
سورة المنافقون		
٣١١	١١ - ٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾
سورة التحريم		
٢٤٠ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ٢٩٦ ، ٢٨٠	٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوْمًا أَنْفَسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا أَنَّاسٌ وَالْحِجَارَةُ﴾
سورة الملك		
١٧٢	١٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُّوًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَلَكُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة الحاقة		
٣١٩	٢٩ ، ٢٨	﴿مَا أَغْفَى عَنِ مَالِهِ هَلَّكَ عَنِ سُلطَانِهِ﴾
سورة المعارج		
٢٦٣	٢٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ﴾
٢٦٣	٣٠	﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾
سورة نوح		
٣١١	٤	﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخْرُجُكُمْ تَعْلَمُونَ﴾
سورة المزمل		
١٨٠	٢٠	﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَعَفَّنُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾
سورة المدثر		
٢١٤ ، ١٨٦	٤٤ - ٣٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي جَنَّتِ يَسَاءَتُونَ﴾
سورة الإنسان		
١٨٥	٨	﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حِلَمٍ مُسْكِنًا وَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾
١٨٥	٩	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾
سورة النازعات		
٣١٤	٤٦	﴿كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يُبْشِّرُوا إِلَّا عَشِيشَةً أَوْ ضَحَّهَا﴾
سورة التكوير		
١٩٤	٩ ، ٨	﴿وَإِذَا الْمَوْءُودُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة المطففين		
١١٤	٣ ، ٢	﴿أَلَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَانُوكُمْ أَوْ رَزْنُوكُمْ يُخْسِرُونَ﴾
سورة الطارق		
٣٤٢	١٧ - ١٥	﴿إِنَّمَا يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَهِيَ الْكَفِيرُينَ أَمْ هُمْ بِوَيْدًا﴾
سورة الأعلى		
٣٤٦	١٥ ، ١٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ، فَصَلَّى﴾
سورة الفجر		
١٨٦	١٨ ، ١٧	﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْتَضُرُوكَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
سورة البلد		
١٨٥	١٧ - ١١	﴿فَلَا أَقْنَحَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَبَّةٌ﴾
سورة الشرح		
٣٧٣	٦ ، ٥	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
سورة العلق		
٨٤	٥	﴿عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
سورة العصر		
٣٠١	٣ - ١	﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
سورة قريش		
١٦٩	٤ - ١	﴿إِلَيَّلَفِ قُرَيْشٌ * إِلَفِهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيفِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآیة
سورة الماعون		
٢٠٧ ، ١٨٥	٣ - ١	﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّهِينَ • فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ﴾
سورة الماعون		
٣٤٦	٢٠١	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾

* * *





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
٢٩٥	اتق الله حيثما كنت
٣٤	اتقوا الملاعن الثلاث
٢٤٨	اجتنبوا الخمر؛ فإنها مفتاح كل شرٌ
٢٦٠	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض
١٨١	إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليركّلها، ولا يدعها للشيطان
٨١ ، ٧٠	إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض
٢٦٧	أرأيت لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال
٣٦٧	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
١٧	أرسل النبي ﷺ إلى المدينة مبعوثه الأول: الشاب الداعية المؤمن مصعب بن عمير
٧٩	أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك
٢٠	أعدّ الرسول الكريم الرفيق الذي يهاجر معه، وهو أبو بكر
٢٠	أعدّ الرفيق الذي يهاجر معه، وأعد الدليل الذي يدلّهما على الطريق
١٣١	أفلح إن صدق



رقم الصفحة	الحديث
٣٧٥	اكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك
٣٢٢	أكثراهم ذكرًا للموت، وأكثراهم استعدادًا للموت، أولئك الأكياس
٣١٢	أكثروا ذكر هاذا اللذات: الموت
٣٠٠	ألا إنَّ أعجب الخلق إلَيَّ إيماناً لقوم يكونون من بعدهم
٣٦٢	الله أكبر، اللهمَّ أهْلِه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق
٨٥ ، ٣٣	اللهمَّ اغْفِرْ لِي، وارْحَمْنِي، وعَافِنِي، واهدِنِي، وارْزُقْنِي
٨٥	اللهمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ
١٧٣	اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجْعُ
٧٤	اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجَزِ وَالْكَسْلِ، وَالْجِنْ وَالْبَخلِ، وَالْهَرَمِ
٧٤	اللهمَّ بارِكْ لِأُمْتِي فِي بَكُورِهَا
٢٩٢	اللهمَّ لَا تَجْعَلْ مصيَّبَتِنَا فِي دِينِنَا
٢٦٦	أَمَا وَاللَّهُ، إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ اللَّهَ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكُمْ أَصُومُ وَأَفْطُرُ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ
٦٨	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَهُ مِنَ الزَّنَنِ، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ
٨٣	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجَهَّلَهُ مِنْ جَهَّلِهِ
٣٧١	إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا
٧٦	إِنَّ اللَّهَ عَنِ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسِهِ لَغَنِي
٧٨	إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمُ وَالْتَّوْلَةُ شِرْكٌ
١٧٨	إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ أَسْتَطَعْ أَلَا تَقُومُ حَتَّى يَغْرِسَهَا
٧٦	إِنْ لِجَسْدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
٢٧٤	إِنْ مَمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنُعْ مَا شَئْتَ

رقم الصفحة	الحديث
٣٧٢	إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى يَنْزَلَ عِيسَى ابْنُ مُرْيَمَ مَتَى مَا نَزَلَ
١٣١	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَمَا جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ: خَمْسٌ صَلَواتٌ
٢٠٧	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتَمِّ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتِينِ
١٩٦	أَنْتَ أَحْقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي
١٣٢	إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
١٣٩	إِنَّمَا بُعْثَتُمْ مَيْسَرِينَ وَلَمْ تُبَعِّثُوا مَعْسَرِينَ
٢٠٦	أَوْ أَمْلَكَ لَكُمْ، أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةُ مِنْ قَلْبِكُمْ
٢٥٥	أَوْ مَسْكُرٌ هُوَ؟ . قَالَ: نَعَمْ . فَقَالَ ﷺ: كُلُّ مُسْكُرٍ حَرَامٌ، وَإِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا
٣٠٠	أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟ . قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ . قَالَ: وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
ب	
١٨	بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُصَعِّبَ بْنَ عَمِيرَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُعَلِّمًا وَدَاعِيًّا إِلَى الْإِسْلَامِ
ت	
٤١	تَمَعَّدُوا وَأَخْشُو شَنْوًا
ث	
٢٥٥	ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: الْجُنُبُ، وَالسَّكَرَانُ، وَالْمُتَضَمِّنُ بِالْخَلُوقِ
٢٥٥	ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبِلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةً: الْعَبْدُ الْآبِقُ
ح	
٣٥١	حُبُّ الدُّنْيَا وَكُراہِيَّةُ الْمَوْتِ
٢٦٥	حُبِّ إِلَيْيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، وَالطَّيْبُ، وَجُعِلَتْ قَرْةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ
١٥٠	حَرَمَ الْإِسْلَامُ الْخَمْرَ وَلَعْنُ فِيهَا عَشْرًا



رقم الصفحة	الحديث
٧٢ ، ٣٣ ، ٥	حقُّ الله على كل مسلم أن يغسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده
٣٨	حقُّ الولد على الوالد أنْ يُعَلِّمَه الكتابة والسباحة والرماءة
٢٦٣	الحياة شعبة من الإيمان
٢٧٤ ، ٢٦٣	الحياة لا يأتي إلا بخير
٢٧٤	الحياة من الإيمان
خ	
١٩	خرج النبي ﷺ وهم واقفون على الباب
٧١	خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
د	
١٣١	دخل الجنة وأبيه إن صدق
٢٣	دعا النبي ﷺ أنْ يكفيه الله شر سراقة
ذ	
٢٣	ذهب إلى الفرس وركبه، ولحق بالنبي ﷺ
ر	
٢٦١	رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين
ز	
٣٤٥ ، ٣٢٧	زينوا أعيادكم بالتكبير
س	
٨٤ ، ٣٣	سروا الله العفو والعافية؛ فإنَّ أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية

رقم الصفحة	الحديث
١٣٤ ، ١٣٣	سنوا بهم سُنة أهل الكتاب
٧٣	السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب
ص	
٣٧	صارع رُكانة فصرعه
٧٥	ضم وأفطر، وقُم ونَم؛ فإنَّ لجسديك عليك حَقًا
٢٣٦	صنفان من أهل النَّار لم أرهما
٣٢٩	الصوم لي وأنا أجزي به
٢٩	صيام يوم عاشوراء إِنِّي أحتسب على الله أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَه
ط	
٣٧١	طائفة لا تزال قائمة على الحق لا يضرُّهم من خالفهم
٧٢	الظهور شَطَر الإيمان
ع	
٢٥٠	عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاميها، والمحمولة إليه، وساقيها
٣١٩	عش ما شئت فإنك ميت
١٩٣	عنَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين شاتين يوم السابع
٢١٣	عن عمره فيَمْ أَفْنَاه، وعن شبابه فيَمْ أَبْلَاه
٦٨	العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني
غ	
٧١	غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم



رقم الصفحة	الحديث
ف	
٧٦ ، ٣٦ ، ٣٢	إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًا [أي: في الراحة]، وَإِنَّ لِعِينِكَ عَلَيْكَ حَقًا
١٨١	فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامٍ بَرَكَةٌ
٧٧	فِرْ مِنَ الْمَجْدُومِ فَرَارُكَ مِنَ الْأَسْدِ
١٨٤	فَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفَطْرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ الْلَّغُوِ وَالرُّفْثِ
٣٧٩ ، ٦٦	فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً إِجَابَةً لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُ اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتِجَابَ لَهُ
ق	
١٧٠	قَالَ رَجُلٌ: لِأَتَصْدِقُنَ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ
٨٢	قُتْلُوهُ، قُتْلُهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، وَإِنَّمَا شَفَاءُ النَّعِيِّ السُّؤَالُ
٧٧	قَدْ بَايْعَنَاكَ
ك	
١٦٩	كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفَرًا
٢٠٤	كَانَ إِذَا مَرَّ عَلَى الصَّبِيَانِ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ
٢٠٥	كَانَ يَصْلِيُّ، وَهُوَ حَامِلٌ أَمَامَةً بَنْتَ ابْنِتِهِ زَيْنَبَ
٢٣٠	كَانَتْ أَسْمَاءُ بْنَتُ أَبِي بَكْرٍ تَذَهَّبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارِ ثُورٍ
٢٩٨	كَعْثَاءُ السَّيْلِ
٣٠٩	كَفِيَ بِالْمَوْتِ وَاعْطِيَ
٢٠٥	كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، لَكِنْ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهَتْ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّى يَقْضِي حَاجَتَهُ
٢١٤ ، ٢٠٠ ، ١٥٦ ٢٧٩ ، ٢٤٤ ، ٢٢١	كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَتِهِ؛ فَإِلَمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَتِهِ

رقم الصفحة	الحديث
٣٦٦ ، ٣٢٢	الكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ
٣٧٥ ، ٢٣	كَيْفَ بَكَ يَا سُرَاقَةً إِذَا أَلْبَسْكَ اللَّهُ سِوَارِيْ كِسْرَى؟!
ل	
١٠٤	لَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهُمْ كَوَا
٣٧٢ ، ٣٥٩	لَا تَزَال طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعْدُهُمْ قَاهِرِينَ
٣٣٧ ، ٢٧ ٣٧١	لَا تَزَال طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يُضُرُّهُمْ مِنْ خَذْلِهِمْ
٢٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢١٢	لَا تَزُولُ قَدْمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسَأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ
٥٩	لَا تَصْحُبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِي
١٥٣ ، ٧٠ ، ٣٥	لَا ضَرَرْ وَلَا ضَرَارْ
٢٦ ، ٥	لَا هِجْرَةٌ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكُنْ جَهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفَرُوا
٢٤٨	لَا يَزِنِي الرَّازِنِي حِينَ يَزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرُقِ السَّارِقَ حِينَ يَسْرُقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
٧٧	لَا يُورِدْ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍ
٢٣٤	لَتَتَبَعَنَ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ [طَرَائِقُهُمْ وَتَقَالِيدُهُمْ] شَبَرًا بَشَبِرٍ، وَذَرَاعًا بَذَرَاعٍ
٢١٩	لَتَفْتَحَنَ الْقَسْطَنْطِينِيَّةَ، وَلَنِعْمَ الْأَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ
١٦	لَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودٌ فَلَا يَسْبَقُنَّكُمْ إِلَيْهِ
٢٥٠ ، ١٥٠	لَعْنَ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً: عَاصِرُهَا، وَمُعْتَصِرُهَا، وَشَارِبُهَا، وَحَامِلُهَا
٨٣	لَكُلُّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أَصَبَبْ دَوَاءَ الدَّاءِ بَرَأً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى
٣٢٩	لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُما: إِذَا أَفْطَرَ فَرَحْ بِفَطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحْ بِصَوْمِهِ
٦٩	لَمْ تَظْهُرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يَعْلَمُنَا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ



رقم الصفحة	الحديث
٤٠	لِمَّاقِ نُسِيَّة بَنْتِ كَعْبٍ مِّنْ مَقَامِ فَلَانْ وَفَلَانْ وَفَلَانْ
٧٩	لَهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهَبِ الْبَأْسَ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِيُّ، لَا شَفَاءَ إِلَّا شَفَاُوكُ
٢٦٧	لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِي أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ
١٨٣	لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا؛ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ
٧٦	لَيْسَ مِنَ الْبَرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ
١٤٢	لَيْسَ مَنًا مِنْ لَمْ يَرْحِمْ صَغِيرَنَا، وَيَوْقُّرْ كَبِيرَنَا
١٨٥	لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارَهُ جَائِعَ
٢٩	لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لِأَصْوَمَنَ التَّاسِعَ
م	
١٨٥	مَا آمَنَ بِي مِنْ بَاتِ شَبَعَانًا، وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ
٢٥٤	مَا أَسْكَرَ كَثِيرٌ فَقِيلِهِ حَرَامٌ
٢٥٤	مَا أَسْكَرَ مِنْهُ الْفَرَقُ [الفرق: مكيال كبير] فِيمِلْءُ الْكَفَّ مِنْهُ حَرَامٌ
٣٤٠	مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبُ -
٨١	مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْيَالَاتٌ يُقْمِنُ صُلْبَهُ
١٧٨	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرِعُ زَرْعًا أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا؛ فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ
٢٨٠	مَا نَحَلَّ وَالَّدُّ وَلَدَهُ أَفْضَلُ مِنْ أَدْبَرِ حَسْنٍ
٣٠٣	مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ مِثْلَ الْجَسَدِ
٢٠٨	مُرِّوا أُولَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعَ سَنِينَ
١١٨	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ
٧٤	الْمُسْلِمُ الْمُلْتَزَمُ أَنَّهُ إِذَا أَصْبَحَ، أَصْبَحَ طَيِّبُ النَّفْسِ نَشِيطًا

رقم الصفحة	الحديث
٧٣	من آذى المسلمين في طرّقهم وجبت عليه لعنتهم
١٩٤	من ابتلي من هذه البناء بشيء
١٧٨	من أحيا أرضًا ميتة فهيه له
٨٤ ، ٣٢	من أصبح آمناً في سربه، معاً في بدنـه، عنده قوٌّ يومـه
٧٨	من تطـبـبـ وـلـمـ يـعـلـمـ مـنـهـ طـبـ؛ـ فـهـوـ ضـامـنـ
٧٨	من تعلـقـ شـيـئـاـ وـكـلـ إـلـيـ
٢٥٣	من حبس العنب أيام القطاـفـ لـيـبـيـعـهـ مـمـنـ يـتـخـذـهـ خـمـرـاـ
١٣٢	من سـرـهـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـىـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ الـجـنـةـ فـلـيـنـظـرـ إـلـىـ هـذـاـ
٢٥٥	من شـرـبـ الـخـمـرـ لـمـ تـقـبـلـ لـهـ صـلـاـةـ أـرـبـعـينـ صـبـاحـاـ
٧٨	من عـلـقـ تـمـيمـةـ فـقـدـ أـشـرـكـ
٧٣	من كان له شـعـرـ فـلـيـكـرـمـهـ
٢٠٤	من كان له صـبـيـ فـلـيـصـابـ لـهـ
٢٠٦	من لا يـرـحـمـ لـاـ يـرـحـمـ
٣٠٢ ، ٨٦	من لا يـهـتـمـ بـأـمـرـ الـمـسـلـمـينـ فـلـيـسـ مـنـهـمـ،ـ وـمـنـ لـمـ يـصـبـحـ وـيـمـسـيـ نـاصـحـاـ اللـهـ
٢٤٨	من لـقـيـ اللـهـ مـدـمـنـ خـمـرـ لـقـيـهـ كـعـابـدـ وـثـنـ
٣١	المـؤـمـنـ الـقـوـيـ خـيـرـ وـأـحـبـ إـلـىـ اللـهـ مـنـ الـمـؤـمـنـ الـضـعـيفـ
٣٠٤ ١١٩ ، ١٠٢	المـؤـمـنـ لـلـمـؤـمـنـ كـالـبـنـيـانـ يـشـدـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ
١٨٢	المـؤـمـنـ يـأـكـلـ فـيـ مـعـيـ وـاحـدـ،ـ وـالـكـافـرـ يـأـكـلـ فـيـ سـبـعـةـ أـمـاءـ
٧٣	نـظـفـواـ أـفـنـيـتـكـمـ وـلـاـ تـشـهـوـاـ بـالـيـهـوـدـ



رقم الصفحة	الحديث
٣٠٠	نعم، قوم يكونون من بعدهم، يؤمنون بي ولم يروني
٧٥	نعم، يا عباد الله، تداووا؛ فإنَّ الله ما وضع داء إلَّا وضع له دواء
٢٧٨	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصِّحة والفراغ
١٥٤ ، ٣٥	نهى النبي ﷺ عن كلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍ
—	
٨٠	هي من قدر الله
و	
٢٧٤	والحياة شعبة من الإيمان
٢١٣	وشاب نشأ في عبادة الله
٨٥ ، ٣٣	وعافي فيمن عافيت
٢٦٧	وفي بُضع أحدكم صدقة
٢٥١	ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر
٢٠٥	ونعم الفارسان هما
ي	
٢١	يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
٢٠٤	يا أبا عمير، ما فعل النَّعْير
١٥	يا أيها الناس قولوا: لا إِلَهَ إِلَّا الله
٨٢	يا رسول الله، صَلَّى بنا وهو جنب!
٢٦٠	يا علي، لا تُتبع النَّظرة النَّظرة؛ فإنما لك الأولى، وليس لك الآخرة



رقم الصفحة	الحديث
١٥٣ ، ٨٢	يا عمرو، صلیت بآصحابك وأنت جنْب؟!
٣١٣	يا مُحَمَّد، عِش ما شئت فِإِنَّك مَيْت، واعْمَل مَا شَاءَتْ فِإِنَّك مَجْزِي بِهِ
٢٥٩	يا مُعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ أَسْتَطَعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَرْوَجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُضُ لِلْبَصَرِ
١٥	يا مُعْشَرَ الْعَرَبِ، أَدْعُوكُمْ إِلَى كَلْمَةٍ إِذَا آمَنْتُمْ بِهَا وَاتَّبَعْتُمُونِي
٣٢٩	يَدُعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِيِّ، وَيَدُعُ الشَّرَابَ مِنْ أَجْلِيِّ، وَيَدُعُ لَذَّتَهُ مِنْ أَجْلِيِّ

* * *





فهرس الموضوعات

٤	◦ من الدستور الإلهي للبشرية
٥	◦ من مشكاة النبوة الخاتمة
٧	◦ مقدمة
٩	◦ مقدمة
١٢	◦ ١ - ملامح من الهجرة النبوية
١٣	◦ دعوة التوحيد
١٤	◦ المشركون يعارضون دعوة التوحيد
١٦	◦ بيعة العقبة
١٧	◦ أول مبعوث في الإسلام
١٨	◦ اجتماع المشركين في دار الندوة
٢٠	◦ هجرة النبي ﷺ وصاحبها أبو بكر رضي الله عنه
٢٢	◦ هل كان هناك عنكبوت؟ هل كان هناك حمام؟
٢٣	◦ وعد النبي ﷺ لسراقطة بسواري كسرى
٢٥	◦ مجتمع المدينة المنورة

٢٨.....	المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان
٣١.....	٢ - الرياضة في الإسلام
٣٦.....	العنصر الثاني المرونة والقدرة على الحركة والسرعة
٤١.....	العنصر الثالث الخشونة
٤٢.....	المجتمع «القطري» مجتمع عربي مسلم أصيل
٤٣.....	أيها الغربيون، لكم دينكم ولنا ديننا ..
٤٦.....	شيخ الأزهر وقضية الحجاب في فرنسا
٤٨.....	حرية الإنسان الدينية أن يلتزم بدينه ..
٥١.....	٣ - هدم مسجد «بابري» في الهند
٥٢.....	ماسِ وكوارث معظمها في بلاد المسلمين
٥٣.....	من روائع هذا الدين ..
٦٠.....	لا بد من وقفة
٦٧.....	٤ - طاعون الهند ..
٦٧.....	عقوبة الفاحشة ..
٦٩.....	ما السر في هذا؟ ..
٧٢.....	الإسلام جاء وشرع الطهارة والنظافة ..
٧٧.....	إقرار سنة الله في العدوى ..
٧٨.....	الإسلام يقف في وجه المدعين في قضية الطب ..
٧٩.....	التداوي والإيمان بالقدر ..
٨١.....	تشريع الرخص من أجل سلامة البدن ..

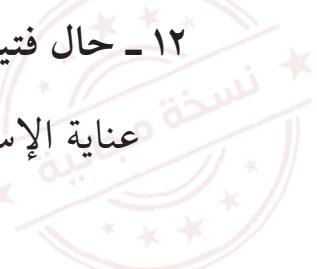


٨٣.....	لكل داء دواء
٨٦.....	٥ - مشاهداتي في الهند
٨٨.....	سمات المجتمع الهنودسي
٩١.....	دخول الإسلام الهند
٩٦.....	مشكلات عدة يواجهها المسلمون
١٠٧.....	٦ - القنبلة النووية الباكستانية وقضية كشمير
١٠٩.....	القنبلة الإسلامية النووية
١١١.....	امتلك غير المسلمين للقنبلة النووية
١١٢.....	باكستان تهدّد
١١٤.....	قضية كشمير
١١٩.....	أشد الناس عداوة للمسلمين إسرائيل والهند
١٢٢.....	٧ - الرحلة إلى اليابان
١٢٤.....	كتاب الشيخ الجرجاوي عن اليابان
١٢٧.....	ما الذي يمنع من انتشار الإسلام بين اليابانيين؟
١٢٧.....	اليابانيون ينتشر عندهم دينان
١٢٨.....	مسؤولية المسلمين عن الدعوة إلى الله
١٣٠.....	عقبات في دعوة اليابانيين
١٣٢.....	منهج التدرج في الدعوة
١٣٦.....	ما معنى منصرين للمسلمين؟
١٣٨.....	المسلمون مقصرون

١٤٠	هذا ما ينبغي أن نعرفه
١٤٠	بماذا انتشر الإسلام في البلاد التي دخلها؟
١٤٤	اليابانيون عندهم قدر من المادّية والفردية
١٤٧	٨ - اليوم العالمي لمكافحة المخدرات
١٤٨	تحريم المخدرات في القرآن والسنّة
١٥٠	فما هي الخمر؟
١٥١	تحريم القرآن للخبائث
١٥٣	نهي القرآن عن إلقاء النفس إلى التهلكة
١٥٦	مقاومة الآفات القاتلة
١٥٨	عقوبة التعزير
١٦٠	الخمر والضروريات الخمسة
١٦١	ما الوقاية من هذا؟ وما العلاج لهذه الآفة؟
١٦٤	اعتبار مجلس النواب الأمريكي «القدس» عاصمة لإسرائيل
١٦٨	٩ - يوم الغذاء العالمي
١٦٩	الجوع خطر على العقيدة
١٧٩	الجوع خطر على العبادة
١٧٠	الجوع خطر على السلوك
١٧١	الجوع خطر على العقل والفكر
١٧١	الجوع خطر على الأمن
١٧٦	تخطيط يوسف عليه السلام لمواجهة المجاعة
١٧٨	الإسلام يواجه أزمة الجوع بهذه العناصر



١٨٩.....	١٠ - اليوم العالمي للطفولة
١٨٩.....	اهتمام الإسلام بالطفل
١٩١.....	اهتمام الإسلام بجميع الأطفال
١٩٥.....	اختيار الاسم الحسن المولود
١٩٥.....	الرضاع حق من حقوق الطفل
١٩٩.....	الأنبياء طلبو من الله سبحانه أن يرزقهم الذرية
١٩٩.....	الأطفال نعمة يجب أن تُشكر وأمانة يجب أن ترعى
٢٠٢.....	الفرق بين الحب والفساد للطفل
٢٠٤.....	مداعبة النبي ﷺ للأطفال
٢٠٧.....	لاعب ابنك سبعاً
٢١١.....	١١ - حال شبابنا اليوم
٢١٢.....	الثروة الحقيقية هي الإنسان
٢١٣.....	مسؤولية الشاب عن نفسه
٢١٥.....	فراغ الشباب
٢١٨.....	سماسترة الفساد
٢٢٠.....	من المسؤول؟
٢٢٣.....	الشاب الذي يريد الإسلام
٢٢٤.....	شباب هذه الأمة مرجون لنصرة دينهم
٢٢٦.....	١٢ - حال فتياتنا اليوم
٢٢٨.....	عناية الإسلام بالمرأة



٢٢٨	واجب المجتمع تجاه الفتيات
٢٣٠	ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟
٢٣٥	ماذا نملك نحن؟
٢٣٨	المثل الأعلى لفتاة المسلمة
٢٣٨	خطر الطاقة الجنسية
٢٤١	١٣ - الشباب ووباء المُسَكِّرات
٢٤٢	حرب غير ملعنة
٢٤٤	غياب الرقابة الأسرية
٢٤٥	ماذا يصنع هؤلاء الشباب في غيبة أعين الرقباء؟
٢٤٧	انظروا كيف يفقد الإنسان عقله
٢٥٣	حماية المجتمع من أسباب الفساد والخلل
٢٥٤	ما أسكر كثيرون فقليله حرام
٢٥٧	١٤ - العِفَّة والإِحْصَان
٢٥٨	تهذيب الإسلام للغرائز البشرية
٢٥٩	مساعدة المجتمع لمن يرد الزواج
٢٦٠	حرمة كل ما يؤدي إلى الفساد الجنسي
٢٦٠	غض البصر
٢٦٢	خطر الجاهلية الحديثة
٢٦٥	لا رهبانية في الإسلام
٢٦٩	مفاهيم جديدة باسم التطور



٢٧٢	١٥ - معاكسة الفتیان للفتیات
٢٧٢	ظاهرة مؤسفة بين الشباب
٢٧٥	دلالة هذه الظاهرة على ضعف الدين
٢٧٥	دلالتها على ضعف الخلق
٢٧٦	دلالتها على فراغ النّفس من المُثل العُليا
٢٧٩	ضعف التربية الأسرية من الصّغر
٢٨١	ضعف التربية المدرسية
٢٨١	ضعف الرقابة الاجتماعية
٢٨٣	مسؤولية الفتیات في زیّهن وحركاتهن
٢٨٤	مسؤولية الإعلام
٢٨٤	تعاون المؤسسات كلّها
٢٨٥	ضرورة الرقابة والعقاب
٢٩٠	١٦ - وصایا للشّباب المسلم المغترب
٢٩١	الشّباب هم حملة الدعوات الرّبّانية
٢٩٢	الشّباب المسلم في أمريكا
٢٩٤	مسؤوليات المسلم المغترب
٣٠٨	١٧ - موعظة الموت
٣٠٩	الموت واعظ صامت
٣٠٩	الحقيقة الغائبة الحاضرة هي الموت
٣١٠	الموت أقرب من لمح البصر

٣١٢	اذكروا هاذا اللذات
٣١٤	هذه هي الدنيا
٣١٦	كل نفس ذائقه الموت
٣٢٠	لا نجاة من الموت إذا جاء الأجل
٣٢٤	الشيخ عبد اللطيف زايد في ذمة الله
٣٢٧	١٨ - خطبة عيد الفطر
٣٢٧	التكبير في العيد و معناه
٣٢٨	مزية الأعياد الإسلامية
٣٢٩	فرحة العيد وبم تكون ولمن تكون؟
٣٣٠	فرحة أخرى نتظرها، عيد النصر
٣٣١	ما يكيده اليهود لنا
٣٣١	إنهم يبيتون أمراً، ولا نستبعد شيئاً
٣٣٣	عيد توحيد الأمة على كلمة الإسلام
٣٣٣	لا مبرر لليلأس فالغد لنا
٣٣٣	ظهور الصّحوة من المبشّرات
٣٣٤	أثر الصّحوة في ميادين الجهاد
٣٣٤	أثر الصّحوة في أرض الإسراء والمعراج
٣٣٥	أمل الحكم الإسلامي في السودان
٣٣٦	واجبنا مساندة الصّحوة
٣٣٨	مؤامرات القوى المعادية



٣٣٨.....	ماذا يُرضي هؤلاء؟
٣٤١.....	خبر كاذب عن الشيخ الغزالى
٣٤٤.....	١٩ - خطبة عيد الأضحى
٣٤٤.....	يوم الحجّ الأكبير
٣٤٤.....	يوم التّحر
٣٤٥.....	المعنى الربّاني والمعنى الإنساني
٣٤٦.....	الأضحية تذکیر بموقف إبراهيم وإسماعيل
٣٤٧.....	«إبراهيم» ضحى بكلّ شيء لله
٣٥٠.....	حاجتنا إلى تضحية إبراهيمية
٣٥١.....	حب الدُّنيا وكراهية الموت
٣٥٢.....	الحرب على الإسلام في الداخل والخارج
٣٥٣.....	زماننا وزمان القدامى
٣٥٤.....	وماذا نقول نحن؟
٣٥٤.....	انباثق النُّور من الظلام
٣٥٦.....	لكن الأمة لم تزل بخير
٣٥٨.....	عصر الصَّحوة الإسلامية
٣٦٢.....	٢٠ - وقفۃ بين عام أفل وعام أقبل
٣٦٢.....	وجوب محاسبة النفس
٣٦٣.....	لا بد للمسلم أن يكون أمين مع نفسه
٣٦٦.....	فرقٌ بين الرِّجاء والأمنية



٣٦٧	الأُمَّة تحاسب نفسها
٣٦٩	ماذا يجري في بلاد الإسلام؟
٣٧٠	أين حكماء الأُمَّة ليجتمعوا؟
٣٧٠	من يراجع للأُمَّة؟
٣٧٤	ما الذي نتعلم من هجرة الرسول ﷺ؟
٣٧٦	لا بد للحق أن ينتصر
٣٨٣	٠ فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٤٠١	٠ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٤١٣	٠ فهرس الموضوعات

* * *



فهرس كتب المجلد

١٦٦ - خطب الشيخ القرضاوي (٣) ٥

١٦٧ - خطب الشيخ القرضاوي (٤) ٤٥٩

* * *

